الدوحة

المجلة القطرية الثقافية الشهرية
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

- في ذكرى كربلاء العظيمة: بقلم خالد محمد خالد
- قصيدة جديدة للدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- الحياة والموت في بحر ملون



لماذا صدر قرار بحرمان الفلسطينيين من قراءة مقدمة ابن خلدون ؟

حاجة الثقافة العربية إلى نزعة التحليل الاجتماعي

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

هناك اليوم ثقافة عربية متأزمة حائرة تقف أمام باب مسدود ، من ناحية . وهناك ـ من ناحية أخرى ـ واقع عربي متفاعل شديد التعقيد يسير فى طريق آخر لا تستوعبه هذه الثقافة ولا تبصر معالمه برؤية واضحة ..

فكيف السبيل الى وصل ما انقطع بين الثقافة العربية المعاصرة وبين واقعها العربي فى أبعاده الحقيقية والشمولية ؟

إن هذا الواقع قد اخذ يسير فى طريقه الصعب ، حسب قانونه ومنطقه الخاص ، نحو غاياته ، رغم السنوات العجاف الأخيرة .. أما الثقافة العربية فمازالت تحمل العبء الثقيل الذى ألقته على كاهلها هذه السنوات العجاف .

وقد حان الوقت لتنهض الثقافة العربية وتلحق بواقعها العربي فى تفاعلاته ومخاضاته ، وأن تنفض عن نفسها الشعور بالاحباط والعقم وعدم الجدوى ، وتتخلص من البكائيات الشعرية الغامضة ومذاهب الفكر المثقل بالتنظير البعيد عن واقع الأمة والعاجز عن الالتحام بقواها الحية ..

ونرى ان نزعة « التحليل الاجتماعي النقدى » ذات الحس التاريخي الواقعي هي حلقة الوصل الضرورية التى نحتاجها لنقيم الجسر بين الثقافة العربية الجديدة ، وبين واقعها العربي .

نزعة التفكير الاجتماعي ، اى التحليل العلمي ، المنطقي والواقعي ، لمسيرة تاريخنا وحاضرنا ، واحتمالات مستقبلنا .. هذه النزعة هي أشد ما افتقر إليها أدبنا وأدباؤنا فى أغلب مراحل النهضة العربية الحديثة .. وهي النزعة التى أشاح عنها الجمهور العربي فى سواده الأعظم عندما برزت فى كتابات عدد من كتابنا ومفكرينا القلائل .

إن جمهورنا ما يزال يطرب لنثر المنفلوطي ، الرومانسى العاطفي ، اكثر مما يستمع إلى ابحاث احمد امين فى دراساته لتاريخ العقل فى الاسلام .

وإن هذا الجمهور مازال يصفق لنزار قباني فى غزلياته اكثر بكثير مما يتوجه الى دراسات الدكتور على الوردي فى تحليله الاجتماعي لتاريخ العرب وواقعهم ، بل اني على يقين من ان بعض « المثقفين » العرب سيفاجأ بهذه المقارنة بين على الوردي الذى لم يسمعوا به بعد ـ على جهوده المشهودة فى البحث الاجتماعي المبدع ـ وبين نزار قباني .

وهذا الخطأ الثقافي تاريخي ، ويعود



● طـه حسين
لماذا لم نهتم بدراسته الرائدة عن ابن خلدون



● علي الوردي
لاتوجد له صورة في أرشيف الصحافة العربية رغم دراساته الاجتماعية اللامعة .



● نزار قباني
شعره الغزلي اكثر شهرة وانتشارا من اى دراسة فكرية عربية .



● احمد امين
دراساته للعقل العربي اقل انتشارا من اى قصة عاطفية رومانسية .



● المنفلوطي
اسلوبه العاطفي اكثر انتشارا من اساليب العقلاء والحكماء العرب .

الى بداية النهضة . لقد انتشرت بين أيدي القراء العرب دواوين أبي نواس والمعري والمتنبي ، أكثر مما انتشرت مقدمة ابن خلدون ، على الرغم من أن الحاجة التاريخية الملحة للعرب كانت تتمثل فى نهج مقدمة ابن خلدون ، اكثر مما كانت تتمثل فى شعر النواسي والمعري والمتنبي ؛ على ما للاحياء الأدبي واللغوي من أهمية لا تنكر ، ولكنها أهمية لا تتقدم بأي حال ، ويجب الا تتقدم اليوم ، على أهمية الحاجة القصوى لوصل الثقافة العربية الحاضرة بالموقف المتقدم الذى وصل إليه فكر ابن خلدون فى نظرته العقلانية التحليلية المتزنة للتاريخ وللحاضر ولطبيعة المجتمع والحضارة وتحولاتها

وإذا كانت الحضارة العربية قد توقف ابداعها بعد ابن خلدون مباشرة ، فلم تتواصل مدرسته ولم يتصاعد تياره ، فان الواجب التاريخي كان يتطلب أن تبدأ النهضة العربية الحديثة به ، قبل أن تتجه الى الشعراء الجاهليين والعباسيين ، أو ان تتجه على الأقل الى احياء فكره الاجتماعي المبدع بقدر ما عملت فى مجال الاحياء الشعري واللغوي .. ولكن ذلك لم يتحقق للأسف مما أصاب الثقافة العربية المعاصرة بالترهل البلاغي ـ سواء كان ترهلا تقليدياً أو ترهلا يتزيا بالحداثة ـ وافقدها الحس النقدى القادر على استشراف طبيعة المراحل التاريخية التى تمر بها الأمة فى هذا العصر الحافل بالتحديات ..

لقد واجه ابن خلدون انحطاطاً اجتماعياً وأخلاقياً فى عصره وشهد العديد من الهزائم والمظالم ، ولكنه لم يتجه الى نظم المرثيات والبكائيات ضد ذلك الواقع ـ كما يفعل شعراؤنا «الطليعيون» هذه الأيام ـ بل اتجه بعقله وقواه كلها لفهم ذلك الواقع على ضوء ارتباطه بالمراحل التاريخية السابقة ، واستخرج من هذا الدرس تلك القوانين والخلاصات والمبادىء التى جعلت فيلسوفاً حديثاً من فلاسفة التاريخ ، هو أرنولد توينبي ، يقول عن ابن خلدون إنه اعظم عقل فى كل زمان ومكان . والطريف المؤسف أن الكثيرين من المثقفين العرب حفظوا عن «توينبي» مقولته هذه عن ابن خلدون ، دون أن يعودوا الى ابن خلدون نفسه والى مقدمته ليكتشفوا بانفسهم كيف توصل «توينبي» الى ذلك الحكم الجليل ..

الاكثر من هذا ، أن أديباً عربياً مثل طه حسين ، الخالد فى عمق الضمير العربي وفى صلب الاهتمامات العربية ، كتب بحثاً رائداً عن ابن خلدون ، فلم ينتشر ولم يذع بين القراء العرب ، كما انتشرت كتب طه حسين الأدبية الأخرى

حاجة الثقافة العربية إلى نزعة التحليل الاجتماعي

عن الشعر الجاهلي وعن المعري وعن المتنبي ؟

فلماذا استمعنا الى طه حسين عندما حدثنا عن الشعراء ولم نستمع إليه عندما حدثنا عن ابن خلدون ؟!

بل إن طه حسين ذهب الى ابعد من ذلك ـ من واقع ادراكه العميق لأهمية البعد الاجتماعي التاريخي فى الثقافة ـ فكتب لنا تاريخ صدور الاسلام على ضوء قوانين العلوم الاجتماعية في « الفتنة الكبرى » و « علي وبنوه » وغيرهما ولكن امثال هذه الدراسات لطه حسين ظلت الأقل انتشاراً وذيوعاً بين الجمهور العربي لأنها حدثته بلغة عقلية لم يتعودها فى تمثله لتاريخه الذى اعتاد أن يتلقى احداثه بعاطفية رومانسية لاتتسع إلا للاعجاب او للاستنكار ، دون ان يكون فيها موقع وسط للنظرة المتزنة التى تحاول ان تفهم قبل أن تصدر الحكم إعجاباً او استنكاراً .

وبقينا ننظر الى طه حسين من خلال رداء الأديب الضرير أبي العلاء المعري ، دون ان نستشف الصورة الأعمق لطه حسين التى تمثلت فى تجسيده لشخصية ابن خلدون وفكره .

أما تاريخنا وواقعنا فقد ظللنا نتلقى اصداءهما من خلال روايات واقاصيص كروايات جرجي زيدان التاريخية ؛ وقصص محمد عبد الحليم عبد الله المغرقة فى رومانسيتها ؛ وكلا النوعين أدب سردي لا يرقى الى مستوى التفسير والتحليل والاضاءة المستقبلية .

وصحيح ان الكثيرين من أدباء المدرسة الحديثة رفعوا شعار « الالتزام » بقضايا الواقع والأمة .. ولكن كيف جاء ذلك الالتزام ؟ .

لقد كان التزاماً عاطفياً او أيدولوجياً بشعارات مغلقة محددة اكثر مما كان التزاماً نابعاً من الفهم الشمولي الناضج لحركة التاريخ فى صعودها وهبوطها ، لذلك تحول التزامهم ذاك الى بكائيات مفجعة عندما حلت الهزائم ، وانمحى التفاؤل الحتمي بانتصار حركة التاريخ ، وسمعنا منهم لوماً وتقريعاً للأمة اكثر مما تعلمنا منهم كيف يكون الصمود ، وكيف يكون التفاؤل بحتمية الانتصار مهما تعرجت مسيرة التاريخ ، وكيف يكون تصحيح هذه المسيرة .

كما اننا لا ننكر الأثر الاجتماعي العميق لأدب الشرقاوي ونجيب محفوظ وسواهما من أقطاب الرواية الاجتماعية التحليلية التى مثلت ربما الالتفاتة الوحيدة فى الأدب العربي لأهمية البعد الاجتماعي ـ التاريخي ؛ ولكن هذا التيار لم يتمكن من الاستمرار فى ظروف الهزيمة والتراجعات ، وتحولت هذه الرواية ذاتها على ايدي أصحابها انفسهم الى اللامعقول والسوريالية والرمزية المظلمة .

اضف الى ذلك أن النظرة التحليلية النقدية الاجتماعية لم تنتشر ولم تطبع العقل العربي والكتابات العربية على اختلافها بطابعها وميسمها ؛ وهو ما نريده ونقصده بهذه الدعوة الى تعميق النزعة الاجتماعية فى ادبنا وثقافتنا كلها

أجل ان المطلوب ، ليس فقط نشر دراسات فى علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، وليس ظهور مدرسة ادبية معينة تهتم بالناحية الاجتماعية فى الأدب فشيء من هذا قد تحقق ، وانما المطلوب أن يستوعب العقل العربي اهمية النظرة التحليلية الاجتماعية فى معالجة كافة المسائل وفى مختلف انواع النتاج الادبي والفني والثقافي بحيث يبدع الشاعر قصيدته وهو مدرك لأبعاد تلك النظرة ، ويكتب الروائي قصته وهو مستوعب لروحها ، ويكتب الصحافي مقالته وهو ملم باصولها ، ويرسم الفنان لوحته وهو عارف بماهيتها ، بل ويتخذ رجل الدولة العربي قراراته ومواقفه ، ويرسم نهجه ، وهو مطلع على قوانينها وأسسها .

المطلوب أن تضيء النظرة الاجتماعية دهاليز العقل العربي كله ، وتنفذ الى خلاياه وخفاياه ، فلم يعد من المناسب تفسير التاريخ والحاضر وواقع الأمم بمقياس الأقدار أو النوايا او البطولات ، أو الأخيار والأشرار ، أو الحظ الحسن او السيىء وإنما هناك قوانين تاريخية واجتماعية تنهض بمن تنهض من الأمم ، وتقعد بمن تقعد من الأمم ينهض من استطاع أن يفهمها ويعمل بمقتضاها ويتخلف من خالفها وعجز عن اللحاق بشروطها ومتطلباتها . وهذه هي «السنن» الكونية والتاريخية التى حدثنا عنها القرآن الكريم فى العديد من آياته الحكيمة .

إن التنمية لها شروطها ومستلزماتها .

وإن التقدم الحضاري له شروطه التى لا يمكن التحايل عليها أو التعويض عنها بالمال أو بغيره ..

وإن مواجهة العدو لها ضرورتها التى لا يمكن التهرب منها باي وسيلة من وسائل التهدئة المصطنعة ..

وإن الوحدة العربية لها حتمياتها التى لا يمكن اخفاؤها تحت اية صيغة شكلية .. وهكذا ..

هذه هي القوانين التاريخية والاجتماعية التى نعنيها والتى لا يتوفر الادراك والعمل بها إلا من خلال الاستيعاب الناضج للفكر الاجتماعي المتحرك ، ومن خلال النظرة التحليلية النقدية لمسار التاريخ وواقع المجتمع وبذور الغد .

ونحن عندما ندعو الأدب والشعر والفن الى التزام هذه النظرة فلا نقصد أن يتحول الى مواعظ اجتماعية او إلى مقولات فكرية جافة ؛ بل إلى استيعابها وهضمها وتمثلها ، وتحويلها الى مشاعر وأحاسيس ونبضات حية فى القصيدة والمقالة والرواية والمسرحية واللوحة . وليس صحيحاً ما يذهب اليه البعض من أن الأديب لا يستطيع التعبير ـ فنياً وجمالياً ـ إلا عن العواطف والانفعالات والتجارب الشعورية الخالصة وحدها ..

إن أدق الافكار واعقد الفلسفات

● مطلوب من المال العربي طبع عدة ملايين من مقدمة ابن خلدون في إطار عصري وجذاب

نحن نظلم يوم «كربلاء» ظلماً كبيراً ، حين نجعل من نكراه مناسبة لاجترار الأحزان والآلام والعويل .. إنه ليس كذلك أبداً إذا نحن تعمقنا جوهر الواقعة ، فرأينا عظمة الثبات ، وروعة البطولة ، وعزة الايمان ، وجلال التضحية فى مهرجان للحق هيهات أن يكون له نظير !!



بقلم
خالد محمد خالد

عندما تحمل بيمينك هذا العدد من المجلة يوم صدورها ، يكون بينك وبين اليوم العظيم الخالد بضعة أيام معدودة تهل بعدها ذكرى «كربلاء» المجيدة ..

تهل ذكرى اليوم العظيم بالامه وبطولاته .. بعظمته ومأساته .. يوم تجلت فيه قداسة الحق وشرف التضحية واستحق ان ياخذ مكانه العالى بين أيام الاسلام الخالدة .

إنه يوم الثوار – أروع ما يكون الثوار .. يوم الحسين ورفاقه الأبرار .. يوم علم الدنيا أن الحق مثوبة نفسه ، وقيمة ذاته . فلا النصر مزية له ، ولا الهزيمة إزراء به .. يوم وقفت فيه قلة صامدة تؤمن بشرف الحق ، امام كثرة كاثرة لا تحترم الحق .

اجل .. اثنان وسبعون مؤمناً من آل بيت الحسين عليه السلام وانصاره برزوا لملاقاة جيش قوامه اربعة آلاف مقاتل فى حرب غير متكافئة . لنقل إذن إنهم برزوا لمناياهم وهم يعلمون ، ورفضوا كل فرص النجاة من تلك المنايا ، مؤثرين الموت على حياة تشهد غمط الحق ، وثلم شرف التضحية .. !!

رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه تاركين وراءهم ظهرياً مناعم العيش الرافه ، حاملين تبعات رشدهم وإيمانهم ، معلنين ان الاسلام لم تمت رجاله ، ولا نصلت اعلامه .. وأن آل بيت الرسول لا يزالون كما اريد لهم أن يكونوا . أساتذة للناس فى فن التضحية والفداء ، وبيت القرابين والشهداء .. !!

● ● ●

استشهد الخليفة الثالث «عثمان بن عفان» رضى الله عنه فى ظروف حالكة ، وفتنة جامحة ، وبايع المسلمون فى المدينة امير المؤمنين «علي بن ابى طالب» واعرض «معاوية» والى الشام يومئذ عن البيعة ، مبرراً رفضه بأن لابد أولا من الثأر لدم عثمان . ورأى الامام ببصيرته المضاءة بنور الله أنها كلمة حق أريد بها باطل ، وأن دولة «الطلقاء» على وشك ان تقوم ناشرة الفتنة ، والفساد .. من اجل ذلك لم يتخل الامام عن واجبه تجاه تمرد معاوية .. معاوية

الذى سنسمع اباه فيما بعد يقول موصياً اهل بيته : «لقد صار الأمر اليكم ، فلا تدعوه يفلت ، وتلقفوه تلقف الكرة فانما هو الملك . ولا ادرى ماجنة ولا نار» !! كما سنلتقى به وهو يمر بقبر «حمزة» فيقف مخاطباً الجدث الراقد تحت التراب : «يا ابا عمارة . إن الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيوف قد صار الى غلمان بنى امية» !!

غلمان بنى أمية .. هذا ما كان يحاذره «علي» ويخشاه .. ولقد ابى معاوية إلا الحرب فخاضها الامام فى موقعتى «الجمل» و «صفين» وتلتها الأحداث التى انتهت باستشهاد الامام .. وخلا الجو لمعاوية . وكان الحسن عليه السلام قد خلف اباه فى الأمر ورأى الخير فى ان تضع الحرب اوزارها ، وانهى الخلاف بصلح عقده مع معاوية .. طاب لمعاوية عيش الملك ، ولم يقنع بان يذهب به وحده تاركاً للمسلمين من بعده حق اختيار من يرفع الراية ويجلى عنها رهق الرغام .. بل كانه تذكر وصية ابى سفيان «لقد صار الأمر اليكم فلا تدعوه يفلت ، وتلقفوه كالكرة» .. وهكذا قرر معاوية ان يضع الكرة بين قدمى ولده «يزيد» فاخذ له البيعة بالسيف وبالقهر .. وبعد حين يموت معاوية ويخلفه يزيد ..

كان يسمى «يزيد القرود» وكان آخر من يصلح ، بل آخر من لا يصلح ليجلس من الأمة المسلمة حيث جلس من قبل ابو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلي .. كان استخلافه فى الاسلام وعلى المسلمين كارثة لم يبتل بمثلها الاسلام .. ايكون يزيد القرود خليفة فى جيل لايزال يحيا فيه رجال شامخون من أمثال الحسين وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وقيس بن سعد بن عبادة وغيرهم من أصحاب الرسول ؟!..

لقد كان ضمن بنود الصلح الذى عقده الحسن مع معاوية ان يكون الامر من بعده للمسلمين . يختارون من يرضون دينه وامانته وعدله ، لكن معاوية حنث بالعهد وخالف الميثاق . وبالسيف اخذ البيعة ليزيد !!

واصبح يزيد خليفة بعد وفاة والده . وتلهى عن امر الاسلام والمسلمين بفهوده وقروده ، وجعل له فى كل مصر من الأمصار والياً أعمىَ البصيرة قاسى الفؤاد .

وليس هناك ما يصور استئثار معاوية ويزيد بالخلافة بغير حق سوى شهادة «معاوية الثانى» ابن يزيد . فبعد موت يزيد خلفه معاوية الثانى . ولم يلبث فى الخلافة سوى بضعة أشهر ثم جمع المسلمين فى مؤتمر مشهود ووقف فيهم يقول : «ايها الناس : إن جدى معاوية نازع الأمر اهله . ومن هو احق منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسابقته فى الإسلام وهو «علي بن ابى طالب» ولقد ركب بكم ما تعلمون حتى اتته منيته ، فصار فى قبره رهين أعماله . ثم تقلد أبى «يزيد» الأمر من بعده ، فكان غير اهل له . ركب هواه ، واخلفه الأمل ، وقصر به الأجل ثم صار فى قبره رهين ذنبه واسير جرمه .. وإن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء منقلبه وقد قتل عِترة رسول الله ، وأباح الحرم ، وخرب الكعبة .. وما انا بالمتقلد امركم ، ولا بالمتحمل تبعاتكم ، فاختاروا لأنفسكم والله لئن كانت الدنيا خيراً ، فقد نلنا منها حظاً . ولئن كانت شراً فكفى ذرية ابى سفيان ما أصابوا .. ألا فليصل بالناس حسان بن مالك ، وشاوروا فى خلافتكم يرحمكم الله » .. وبعد هذه الكلمات المفعمة بالحق والورع غادر منبره الى داره ، وظل معتكفاً بها حتى لقي ربه راضياً مرضياً .

● ● ●

إن هذه الكلمات الصادقة التى قالها معاوية بن يزيد لتكشف عن عدالة القضية التى سيكرس الحسين حياته من اجلها ، لا طامعاً فى خلافة ، ولا مفتوناً بدنيا ، بل ذائداً عن الاسلام رجس يزيد وبغى الأمويين . ولقد رفض البيعة ليزيد أيام اخذها له معاوية ، وغادر المدينة الى مكة مدبراً خواطره وافكاره حول القضية التى شغلته كما لم يشغله شىء سواها .. وذات يوم ياتيه رسل اهل الكوفة يدعونه الى زيارتهم ليبايعوه ، وليدفعوا معه عن الاسلام والمسلمين رهق يزيد ، وعار يزيد .. ولم يكن له أن يتخلف عن هذه الدعوة ، فسارع الى تلبيتها ، وارسل ابن عمه «مسلم بن عقيل ابن أبى طالب» الى الكوفة لياخذ له البيعة ، ويوافيه بالأنباء .

لقد كان للحسين طبيعة نقية ، جياشة وثائرة . يربطها بالحق ولاء عجيب وتستمد من فضائل الاسلام العالية ومن تراث حسبه العريق زاداً لا يفنى من الصمود والمثابرة .. واذا كانت الطبول تدق اليوم معلنة قيام خلافة كاذبة لحفيد ابى سفيان ، فلابد أن يجد الاسلام من يدفع عنه الكارثة ، ولابد أن يجد المسلمون من يدرأ عنهم الطوفــان.

كان الأمر نضالا شريفاً تتطلبه قداسة الاسلام .. لم يكن امر مغنم ، او سلطان ، ولم يكن طموحاً شخصياً يحتاج الى موازنة بين فرص النجاح واحتمالات الاخفاق . بل هى قضية الحق وحده . وللحق فى قلب حفيد النبى مكان لا يطاله رغب ولا رهب !! ومتى تكون التضحية من اجل هذا الحق إذا لم تكن اليوم وامجاد الاسلام تتحول الى مزرعة اموية .. وتراث المسلمين يستحوذ عليه مخلوق عابث ، ومصايرهم الكبرى تمسك بها ايدى وصوليين جباة ، وجلادين طغاة ؟!! ..

وقرر الامام الحسين السير الى الكوفة .. بمن ..؟ بالذين اختاروا أن يخرجوا معه وعددُهم اثنان وسبعون من أهل بيته وأصحابه .

في ذكرى كربلاء العظيمة

خرج بهذه القلة المؤمنة ، وهو يعلم انه سيلاقى جيشا كثير العدد وافر العتاد . ولقد حاول نفر من اصحاب الرسول ثنيه عن الخروج . منهم عبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وأبو سعيد الخدرى . ولكنه يجيبهم جميعاً بعبارة واحدة وحازمة : «لقد عزمت على المسير ، وإنى ماض باذن الله» ..ومضى لغايته الجليلة ومهمته الثقيلة .. وفى الطريق تترى عليه الأنباء بانصراف أهل الكوفة عن نصرته بعد ان بطش بهم ابن زياد والى يزيد ، واعمل فيهم سيوف القتل والازهاق .

لقيه فى الطريق الفرزدق الشاعر فساله «الحسين» كيف تركت الناس ؟ فاجابه : «تركتهم قلوبهم معك ، وسيوفهم مع بنى أمية» فلا يزيد الحسين على ان يقول : «لله الأمر من قبل ومن بعد» !! ..

ثم يلقاه عبد الله بن مطيع فيتعلق بثيابه صارخاً وضارعاً وسائلا اياه ان يرجع الى مكة فليس فى انتظاره بالكوفة سوى الموت .. فلا يزيد على ان يقول : «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» !! ..

ويلقاه ثالث ، فيساله الحسين عن الأنباء ، فيجيبه بانها سيئة وأن ابن عمه مسلم بن عقيل قد قتله ابن زياد شر قتلة !!

كل ذلك وهو مصمم على ان يتم مسيرته . ذلك انه لم يخرج ليحرز نصراً مضمونا . بل خرج ليؤكد حق الاسلام فى ان يحمى نفسه من الضلال والأفك ، وليكفر فى تضحية مجيدة عن خطيئة الصمت الذى لاذ به كثير من المسلمين .

لو كان الحسين قد خرج مستمداً شجاعته وجسارته من مساندة أهل الكوفة له لرجع من حيث جاء . ولكنه كان يستمد شجاعته من إيمانه بالحق إيماناً يهد الجبال .. وهكذا مضى لغايته ، قاطعاً الصحارى المتلظية ، مجتازاً ـ فى مشقة وكبد ـ اغوارها ونجودها .. وفجاة يجد نفسه أمام قوة من الف مقاتل ارسلها ابن يزيد لتستطلع انباء الحسين وصحبه ، ولتقودهم اليه اسرى اذا التقوا بهم . ويرفض الحسين ان يستسلم لهم ، ويمضى والقوة من خلفه حتى يبلغ مكانا موحشا فيحط ومن معه الرحال . ثم يسال مااسم هذا المكان ، فقيل له : كربلاء .. فتذكر يوم كان مع أبيه وهو فى طريقه الى صفين . ولما شارف الامام على هذا المكان سأل عن اسمه ، فأجيب بانه « كربلاء » فدمعت عيناه ، وقال « هنا محط رحالهم ، ومهراق دمائهم » !! ..

الآن يتذكر الحسين كلمات ابيه ويعرف سرها ومغزاها ..

كان بلوغه كربلاء فى غرة المحرم ، سنة إحدى وستين للهجرة .. وفى الأيام التالية وصل جيش ابن زياد . ثلاثة الاف انضموا الى الالف السابقة فصار تعداده اربعة الاف مقاتل . هم الذين سيلقاهم «الحسين» فى اثنين وسبعين لا غير من رجاله !!! ..

وعلم ابن زياد فى الكوفة بما يجرى فى كربلاء ، فأرسل لقائد جيشه ان يطلب من الحسين البيعة ليزيد .. وكان جواب الحسين : «لا أجيب ابن زياد الى ذلك ابدا ، وإن يكن الموت فمرحبا به» .

وضحت نوايا المجرمين أمام الحسين .. إنهم يريدون إذلاله ، او يريدون حياته ، او يريدونهما معا .

أما الهوان فالممات دونه .. وأما حياته فحسبه شرفا وخلودا أن تذهب فى سبيل كرامة الدين الذى تربى فيه على أيدى جده وابيه ..

واقترب جيش ابن زياد فحاصر الطريق الى شريعة الماء بخمسمائة فارس ، وذلك حتى يحرموا الحسين وأهله وصحبه شربة ماء !! ..

أمر يدعو الى الجزع . ولكن المؤمنين الصادقين لا ياسفون على خطر ولا يجزعون من قدر .

الآن لا أمل ـ ادنى أمل ـ فى نصر عسكرى . بيد ان الأمل معقود بنصر آخر. نصر يتمثل فى بذل الحياة من اجل الواجب . وفى إعطاء القدوة بروعة الثبات ، وفى اضاءة ضمير الحياة بجلال التضحية !! ..

ولهذا ، فنحن نظلم «يوم كربلاء» ظلماً كبيراً حين نجعل من ذكراه مناسبة لاجترار الاحزان والآلام والعويل .. إنه ليس كذلك أبداً اذا تعمقنا جوهر الواقعة فرأينا عظمة الثبات ، وروعة البطولة ، وعزة الايمان ، وجلال التضحية فى مهرجان للحق هيهات أن يكون له نظير !!!..

● ● ●

والآن تعالوا نسرع الى مكان المعركة الأليمة والعظيمة ، فان ساعاتها الحاسمة تقترب ..

نحن الآن مع اليوم التاسع من المحرم وقد ولى نهاره ودلف ليله ، حيث جمع الحسين اصحابه وقال لهم هذه الكلمات التى تشهد بعظمته : «إنكم لتعلمون أن القوم لا يريدون غيرى ، وإن يومى معهم غد .. وإنى قد اذنت لكم جميعاً ، فانطلقوا فى غير حرج . ليس عليكم منى ذمام .. هذا هو الليل قد غشيكم فانطلقوا فى سواده قبل ان يطلع النهار وانجوا بانفسكم» .. وصاح الجميع فى مثل زئير الاسود : «معاذ الله . بل نحيا بحياتك ونموت معك» !! .. وتقدم منه ابنه «علي ابن الحسين» فتى لم يجاوز عمره تسعة عشر عاما ، وسأل أباه : «ألسنا على الحق ياأبتاه؟؟» فأجابه : «بلى ، والذى انفسنا بيده» فصاح فتاه العظيم : «إذن والله لا نبالى» !! وارتفع الأبطال جميعاً الى مستوى الموقف المجيد الذى سيجعلون منه درسا فريداً لأجيال البشرية فى الولاء الباهر للحق ، وفى التضحية الشاهقة من أجله . وعادوا الى مضاربهم وخيامهم يشحذون السيوف ، ويبرون السهام ، ويصقلون الرماح ...

● ● ●

وطلع الصباح . صباح العاشر من المحرم ، ووقف الحسين يعبىء رجاله ، فتقدم شباب آل البيت لياخذوا مكانهم

فى الصفوف الأولى ، فدفعهم أصحاب الحسين قائلين : «معاذ الله أن تموتوا ونحن أحياء نشهد مصارعكم .. بل نحن أولا ، ثم تجيئون على الأثر» !!!

وبرز الجمعان للقتال ـ أربعة آلاف فى جانب ، واثنان وسبعون فى الجانب الآخر .

ومن عجب أن جيش ابن زياد خرج للقتال بعد أن صلى بهم قائدهم صلاة الفجر ، وقرأوا فى التشهد : «اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد» ثم انفلتوا من صلاتهم يحصدون بسيوفهم الآثمة آل محمد !!!

بدأ القتال ضارياً رهيباً ! فجن جنونهم ، وهجم فرسانهم فى وحشية ، وبرز لهم فرسان الحسين الذين لم يزد عددهم عن اثنين وثلاثين فارساً .. فأحاطوا بفرسان عدوهم ، ثم انهالوا عليهم يطوحون رءوسهم كالذباب .. وكبر الحسين تكبيرة هزت الأرض والجبال ، وانقذف يضرب بسيفه ، وكأنه قدر يكتب المصارع وينزل المنايا .. وحين يرى جيش ابن زياد تفوق أصحاب الحسين يلجئون الى عملية قذرة ، فيضرمون النار فى الخيام التى يقيم فيها النساء والأطفال من آل بيت الحسين وعلى رأسهم السيدة العظيمة «زينب بنت علي» .. بيد أن ذلك لم يفت فى عضد المجاهدين الذين أحاطوا بالحسين يفتدونه ، وكلما رأى أحدهم منيته تقترب أسرع الى الحسين فقبله ثم صاح : موعدنا الجنة !! ..

لقد كان الواحد منهم يقاتل وكأنه جيش وحده ، ولا تكاد أعينهم المجهدة تقع على الحسين يقاتل وحده عشرات من الأعداء القساة حتى تنتفض فيهم كبرياء الأسود ، ويتضرم بأسهم ، وينهضون للنزال حتى يقع أجرهم على الله شهداء ممجدين !! ..

وقضوا نحبهم جميعاً واحداً إثر واحد فلنحن الجباه تحية للرجال !!..

وتقدم آل البيت ليكونوا فى المعركة مسك الختام .. تقدموا نحو مصايرهم العظيمة .. لم يعد الذى يضنيهم الظما الى الماء الذى حرمهم منه المجرمون ، بل الظما للشهادة والشوق الى الجنة .. وكان أولهم انطلاقاً الى صفوف العدو «علي بن الحسين» فتى ـ كما قلنا ـ لم يجاوز التاسع عشرة من سني عمره ، ووقف يصيح :

أنـا علـي بن الحسـين بن علـي
نحـن ورب البيـت أولـى بالنبـي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعـي

وفجأة تحيط به عشرات السيوف الباغية ، ممزقة جسده النضير ، والشريف . ويحمل الى الفسطاط فلا تكاد عمته «زينب» تراه حتى تعلو زفرات أساها ، وتنكب على الأشلاء الطاهرة تضمخها بدموعها وشجنها .. وها هو ذا أصغر آل البيت سناً تناله سيوف المجرمين فيهوى كالنجم وهو ينادى : يا عماه .. فيلبى الحسين على ابن أخيه ـ القاسم بن الحسن ـ ويتملى فى جسده المثخن رونق الزهور ، وعبير النبوة ، ولأول مرة تسيل عبرات الأسد ، ويقول مخاطباً الجثمان المسجى بالنور : «عزيز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك فلا ينفعك فى يوم كثر واتره ، وقل ناصره» .. ويحمله بين ذراعيه الى فسطاط أهله ويرقده الى جوار جثمان ابنه علي ، ثم يعود لهول المعركة من جديد .

لك الله ، أبا عبد الله !! ..

والآن فقد سقط آل بيته جميعاً شهداء ، وبقى وحده بين أنياب الثعابين .. ويواجه البطل أعداءه فى جولة أخيرة ، فتقع ضربة سيف على رأسه الشريف ، ويحمل سيفه ودماؤه تنزف .. ويحيط به القتلة ، وقد سمروا فى أماكنهم زائغة أبصارهم ، واجفة قلوبهم ، فقد كانوا على كثرة ما اقترفوا من جرم ، وسفكوا من دم ، يهولهم دم الحسين ويتفادى كل منهم وزر الاجهاز على حياته !!..

وفجأة يصيح فيهم «شمر بن ذى الجون» قائد الفرسان ورجس البشرية كلها . يصيح فيهم مهدداً ومتوعداً فيتقدم أحد رجاله من الحسين ويضربه بالسيف على معصم يسراه ، فتطير كفه .. ويتقدم ثان فيضربه على عاتقه ، فيقع على الأرض ، ويحاول النهوض فيحيط به القتلة ويوجهون اليه الضربة الأخيرة والمميتة .. ويسارع نحو جثمانه «شمر بن ذى الجون» فيحتز رأس البطل ليحمله هدية ليزيد وابن زياد .. تماماً كما قدم من قبل رأس نبى الله يحيى عليه السلام هدية لسالومى ـ بغى من بغايا بنى اسرائيل !!!..

● ● ●

هكذا وقف الحسين وأهله وصحبه من أجل الحق موقفاً يستحق ببطولاته وتضحياته وبواعثه أن يكون عيداً ، لا مأتماً ..

لقد رفضوا الباطل ، واختاروا الحق .. ثم رفضوا الصمت ، وآثروا المقاومة .. ثم رفضوا المساومة ، وصمدوا مع ايمانهم . واقتحموا الهول فى مشهد فريد مقررين بمحض اختيارهم وارادتهم أن يمنحوا أمتهم ، بل والبشرية كلها هذه القدوة الباهرة فى التضحية ، وهذا الفداء المجيد للحق .. وكأنما هيأ القدر هذه المعركة وهؤلاء الرجال ليؤكد شرف التضحية ، وقداسة الحق .. وإنه مادام الحق بحاجة الى تضحيات تحميه وتفتديه ، فان التضحية إذن هى شرف الانسان ، وشرف الحياة .. ومادامت التضحية شرفاً ، فيجب أن يصرف النظر عن الشكل الذى يفرضه عليها الطغاة ، فليست التضحية حفلاً ساهراً .. وسواء على البطل أن يستشهد وجسده سليم ، أو يقضى وجسده ممزق .. أن يبقى رأسه فى مكانه من الجسد ، أو يفصل الرأس ويمثل بالجسد .. فكل ذلك وأكثر منه يغطيه شرف التضحية وكرامتها .

وهنا أكثر من أى موقع آخر ، يتحول الأسى الى مجد ، والفواجع الى بطولات !!..

خالد محمد خالد ـ القاهرة



منذ مدة غير بعيدة ، بدأ الناس يسمعون بوجود مؤسسة جديدة فى دنياهم ، هي اتحاد الادباء ، او اتحاد الكتاب ، أو رابطة الكتاب والفنانين ، تبعاً للقطر الذى تقوم فيه مؤسسة من هذا النوع . اما فى سورية وحدها ، فقد أطلق على هذه المؤسسة اسم اتحاد الكتاب العرب ، لا الكتاب السوريين ، وهو يضم ما يزيد عن اربعمائة كاتب وشاعر وروائي وقصصي ، معترف بهم رسمياً ، بالاعتماد على الكتب المطبوعة لهم ، والتى وجد أصحاب الاختصاص انها ترقى بهم الى منزلة العضو ، فى هذا الاتحاد . فاذا مر العربي يوما في شارع المزة الكبير فى دمشق ، راعه ان يرى بناء ضخماً من ستة ادوار ، فى كل منها ما يعادل فى المساحة اربعا وعشرين غرفة . معقولة المساحة ، او اكثر ، ولو انها تضم بعضها الى بعض احياناً لتصبح قاعة مكتبة او قاعة اجتماع ، او ما يشبه ذلك من حاجات النشاط الأدبي .

وكان يوم ١٩٨١/٨/١٩ موعداً للانتخابات الجديدة لمجلس الاتحاد ... فغصت القاعة الكبيرة بالكتاب والأدباء ، للتداول فى موضوع جلستهم ، وكانت الفرصة مناسبة لتوارد الخواطر ، بصورة عفوية ، وصحيح ان هذا المبنى الضخم يدعى باسم اتحاد الكتاب ، ولكن بيت الحكمة الذى انشاه هارون الرشيد فى قول ، والمامون فى قول آخر عام ٢١٧ هجرية ، يذكر باتحاد الكتاب العرب ، من وجوه شتى ، كل منهما مبنى ضخم ، وكل منهما انشيء لوجه الله تعالى ، ولوجه الثقافة .

ولقد وصفت دار الحكمة ، او بينتها فى كتب التاريخ ، المختلفة ، وجاء اخيرا الأستاذ سليم طه التكريتي فخصها بمقال نشرته مجلة المورد فى عدد ممتاز هو العدد الرابع لعام ١٩٧٩ ، وجاء فى وصفه لها « انها كانت مقسمة الى عدد من الأقسام والقاعات والغرف ، فهناك غرف للتدريس ، يحضرها الطلاب من مختلف أو سائر أنحاء العالم لتلقى العلوم على أيدى اساتذة منتخبين لتدريس تلك العلوم . اما المكتبة فكانت تتالف هي الأخرى من عدد من الغرف ، مزودة برفوف تصف عليها الكتب . »

« وإلى جانب المكتبة وغرف التدريس كانت توجد قاعة واسعة مخصصة لالقاء المحاضرات ، وعقد المناظرات العلمية ، وفى هذه القاعة كان الجدال والنقاش يدور علانية – وبمنتهى الحرية – حول شتى الموضوعات المختلفة ، بما في ذلك جملة الموضوعات التى تخص العقيدة الاسلامية . »

« وهناك غرفة خاصة معدة للاستراحة يؤمها الدارسون والمدرسون والمطالعون والعاملون فى المكتبة ، ليستريحوا فيها من عناء العمل ، وهناك يشنفـون اسماعهم بالاستماع الى الأنغام الشجية التى يعزفها جوق موسيقى فى القاعة ذاتها . »

« وافردت في بيت الحكمة غرف اخرى للمترجمين ، واخرى غيرها للذين

يقومون بمراجعة الترجمات وتنقيحها ، في حين تقوم غرف خاصة بالنسلخين الذين يقومون بعملية النسخ اما لانفسهم أو لحساب الغير ، وكذلك توجد غرف معدة لعمل المجلدين ، واخرى للوراقين ، وخارمـــي الكتب ، والمناولين الذين ينقلون الكتب من الرفوف الى المطالعين والنسلخين والمجلدين . ولقد حفظ لنا التاريخ اسماء الكبار من مديري هذه الدار . مثل سلم وابي منصور محمد الخازن ، وكبار المجلدين ، مثل أبي أبحـــا الحريش ، وحتى اسماء بعض المناولات والمناولين ، مثل توفيق السوداء ـ وهذه امراة لا رجل ـ واسماء كبار المترجمين الذين ربما كانوا مديرين ايضاً ، مثل سهل بن هارون ، وحنين بن اسحق ، وثابت بن قرة ، ويوحنا بن ماسويه »

ويقال أن بيت الحكمة هذا قد أنشيء عام ٢١٧هـ ، أو ٨٣٢م ، أو على الاقل هذا ما يراه : ديلاس اوليري في كتابه عن الفكر العربي ومكانته في التاريخ .

ومع كل هذا الوصف . فاني لا استطيع التاكيد بان دار الحكمة المامونية كانت أضخم بناء من اتحاد الكتاب العرب في دمشق ، او اقل ضخامة . وإذا كان هنالك من فرق بين وظائف البنائين أو الدارين ، فهو في الترجمة التي تعهدتها دار الحكمة المامونية ، على حين ان هذه الوظيفة قد اصبحت من اختصاص وزارة الثقافة ، والتعليم العالي ، واساتذة الجامعات ودور النشر الكثيرة ، ولا سيما في بيروت والقاهـــرة .

غير ان التساؤل الآخر المتصل بداري الحكمة هاتين ، لا صلة له بالحجم المادى ، وحده ، بل بالأثر المعنوي ، بالدرجة الأولى ، وبالسمعة التاريخية . فاذا تحدثنا عن الثقافة العربية قبل دار الحكمة . لم نقل انها ضئيلة الشان ، أو ضعيفة القيمة ، ولكن قلنا انها عربية بالدرجة الأولى . أما بعد دار الحكمة ، فان الثقافة العربية مضت في طريقها الى تمثل الثقافة الأجنبية كلها ، والثقافة اليونانية بوجه خاص ، واضافتها الى الثقافة العربية ، وانشاء ثقافة عربية ـ اسلامية ، جديدة ، كانت ، خلال ثلاثة قرون على الأقل ، هي الأولى من نوعها في العالم ، ولعلها كانت هي «الثقافة» بالمعنى العالمي ، وعندما انحدر العرب سياسياً وثقافياً ، كانت هذه الثقافة هي الجسر الذى عبر عليه الغرب ليصل منه الى الحضارة المعاصرة . ومهما يكن حجم بيت الحكمة ، كبناء ، فان أثره في الثقافة كان اعظم منه بما لايقاس . ترى ايبلغ من شان اتحاد الكتاب العرب ، أن يكون له هذا الشاو ، وأن يؤثر في الثقافة العربية على الأقل مثل ذلك التاثير ، أو نصفه ، أو ربعه ، أو ثمنه ، او جزءاً لا على اليقين منه ؟ إني لأرجو ذلك بكل اخلاص .

إلا ان اتحاد الكتاب فتي جـــداً ، فهو لما يستكمل العام الثاني عشر من عمره ، على حين ان بيت الحكمة عاش كما يقال حتى سقوط بغداد على يد هولاكو . فمن الظلم ان نتوقع منه ، وهو في طفولته هذه ، ان يكون له مثل الأثر الذى كان لمثيله البغدادي . إلا أن أثر بيت الحكمة لم يظهر بعد ثلاثـــــة قرون من انشائه ، او بعد سقوط بغداد ، ولكن منذ السنوات الأولى لوجوده . واين في الدنيا مؤسسة يسجل التاريخ اسماء مديريها وخدمها معاً ؟ كما يسجل تفاصيل دقيقة عن صور نشاطها؟ إلا أن الاهم من ذلك كله انه قلما عرفت مؤسسة ثقافية . بهذا الوزن ، وهذا التاثير العميق ، وهذه السمعة .

وهنا يتساءل الانسان : ان دار الحكمة لم تكن جامعة بالمعنى الحديث، ولكنها كانت كانها جامعة ، لأن الطلاب كانوا يتلقون محاضرات كثيرة فيها ، ولأن النقاش الحر كان مفتوحاً فيها في مختلف المواضيع ، وحتى في الدين . وليس الأمر تماماً كذلك في اتحاد الكتاب . إلا أن هذا الاتحاد جزء من مؤسسات ثقافية كثيرة . منها الجامعات السورية وغير السورية ، ومنها وزارات الثقافة التى تمدنا بكثير من الترجمات العظيمة لكبار المؤلفين ، ومنها وزارات التعليم العالي ، وهي تطبع الكثير من الكتب العلمية . وكل هذه أقدم عهداً من اتحادات الكتاب كلها ، بزمن طويل ، فالأزهر ، وجامعة القرويين ، وصور التدريس القديمة في المساجد ، كانت موجودة باستمرار . فلم انقطع الابداع ، أو انعدم المبدعون ، ولم يعرف اى وجود سليم للحركة الثقافية في الوطن العربي ـ والاسلامي ايضا ؟ او كل هذه المؤسسات لا تعدل ، على قدمها الكبير او الصغير ، مانشا من اثار عن وجود بيت الحكمة البغدادي ؟ إن ذلك حقاً لأمر غريب ، لاسيما إذا عرفنا ان رجال هذه المؤسسات ، كلهم او اكثرهم ، من خريجي الجامعات الغربية ، ولم يحتاجوا الى مترجمي بيت الحكمة ، ليطلعوهم على مصادر الثقافة الغربية ، فكان هذا البيت قد تضاعف آلاف المرات وتكاثر عدد رواده آلاف الآلاف ، وكثرت محاضراته ، واغتنت مكتباته الى ما لا نهاية .. إلا انه مع ذلك ولا يزال عقيماً ، لايلد شيئاً .

إني اذكر الآن مقالا لوصفي حجاب في المجموعة التى نشرتها الجامعة الأمريكية ، عام ١٩٦٧ ، كسجل للمحاضرات التى القيت عن الفكر العربي ، منذ عام ١٨٦٦ حتى عام ١٩٦٦ (في بيروت طبعا) . ومتعة هذا الكتاب أو بؤسه انه يقارن الانتاج العلمي العربي ، في سنة ٦٥ ، بما يجب ان يكون عليه ، لو انه متناسب مع عدد المواطنين العرب ، فاذا به يجده في حدود ٣٪ من حصتهم الطبيعية .

دار الحكمة العربية

بين الماضي والحاضر

ويلاحظ الحجاب من جهة اخرى ، على ما اذكر ، ان هذا الانتاج يكون فى العادة أضخم ، كلما كان البحث العلمي فى البلد ، اكثر حداثة ، تماماً كما يحدث فى تنمية البلاد المتخلفة ، إذ ان استثمار الثروات المهدورة من قبل ، يرفع بسرعة من معدل التنمية الى مستوى اكبر من ذاك الذى تعرفه البلاد الراسخة القدم فى استثمار ثرواتها . لكن هذا القانون لم ينطبق على الحالة العربية » مما حملنى على الظن اني لم افهم ما عناه الباحث منه بوضوح . وعلى كل حال فان بلاداً يفترض ان تنتج من الأبحاث ٣٪ ، ولا تنتج إلا واحداً بالمئة من هذه النسبة » لهي بلاد عجيبة حتى لكان تخلفها نفسه متخلف جداً .

ولكن الاحراج اكبر ، عندما تتنبأ ، بصورة او باخرى ، عن مستقبل هذا الانتاج . افيمكن مثلا ان يكون تافهاً اليوم وكبيراً غداً أو بعد غد ، أو فى الأفق المنظور لعام ٢٠٠٠ على الأقل . اظن ان اى باحث كالحجاب عاد الى هذا الموضوع من جديد ، لوجد فرقاً ضئيلا بين مستوى عام ٦٥ ومستوى عام ٨١ . ولكن من يعنيه هذا الامر جدياً ، حتى يتناوله برصانة معقولة .

والمصيبة هنا هي ان نسبة القوة العلمية هي التى تعين نسبة قوتنا العسكرية ، وان الأولى إذا ضعفت ، تنعكس ضعفاً على الثانية . ومتى ؟ تماماً فى الوقت الذى يجب ان تقوى هذه الى ابعد درجة ، لتعادل قوة عدونا الاسرائيلي . فماذا عسانا ان نصنع إذا ظلت قوتنا العلمية – وبالتالي العسكرية –تزداد هبوطاً ، وقوة عدونا تزداد صعوداً ؟.

ولربما قيل ان القضايا الاجتماعية متازرة ، متاثرة ، ولابد ان يعم التخلف سائر وجوه حياتنا ، إذا كنا متخلفين . فكيف نطمع ان نكون أغنياء «ثقافيا» ، ونحن نعاني كل هذا التخلف الحضاري والسياسي والاجتماعي . إلا ان الأمور ليست بهذه البساطة ، فالشعر الجاهلى وهو من أرقى صور الشعر العربي ، عاش فى حضارة بدائية او شبه بدائية. وإذا قيس الشعر اليوناني القديم بالشعر العربي ، لم يرجح عليه ، على شدة الاختلاف بين الحضارتين . ومع ذلك فان من الصعب على اي انسان عاقل ألا يرى فى الشعر الجاهلي ، صورة غنية جداً للروح الشعرية ، تعادل شاعرية اليونان وتفيض عنها ، بل اننا لا نعرف لاية امة فى عهدها الجاهلي ، ادبا كالادب العربي الجاهلي ويلاحظ بلاشير فى كتابه عن ابي الطيب المتنبي ، قائلا :

« ومن التضاد المدهش ، والكثير الحدوث فى التاريخ مع ذلك ، انه فى اللحظة التى كان فيها سلطان العباسيين اخذاً فى الزوال ، وحين كانت القرمطية تحرض الناس على الثورة ، كانت الفعالية الفكرية والفنية، مازالت متالقة جداً فى الشرق » (١)

فهل حكم علينا إذن ان ننشيء مؤسسات ضخمة البناء هزيلة المضمون دوماً ، وان تبقى كذلك باستمرار ؟ واترك هنا كل بحث عن الثقافة الغربية ، واقف عند الثقافة التقليدية فيما يتصل باللغة العربية ، فهل يعرف القراء ان استاذاً جامعياً من اى قطر عربي ، انتج كتاباً فى مثل وزن «خصائص» ابن جـني ، أو قريباً من هذا الوزن ؟ وإنى أعرف ولاشك ، ان وطننا انتج بعض الشعراء العظماء مثل شوقي ، حافظ ابراهيم ، خليل مطران ، بشارة الخورى وابراهيم ناجي ، بدوى الجبل ، عمر ابى ريشة ، نزار قباني ، سليمان العيسى ، وآخرين من الطراز الحديث مثل أدونيس ، وصلاح عبد الصبور ، وعلى الجندى ، وامثالهم من العراق وسورية ومصـر والمغرب ، كالسياب والبياتي .. عدا المبدعين من الوزن القديم ، وعلى راسهم العراقي الجواهرى. واعرف كذلك ان بعض أعمال هؤلاء قد ترجمت الى اللغات الأجنبية ، مما يشير الى تقدمها على الصعيد العربي ... ولكن من قال إنها كذلك على الصعيد العالمي ؟ وهل يعرف المغرب ، او الشارع فى المغرب اسماً عربياً متالقاً فى الأدب مثل طاغور الهندى ؟

لابد إذن لهذا القصور الادبي ، وهذا العجز عن الابداع العالمي ، من سبب او عدة أسباب مجتمعة ، فماذا عساها ان تكون ؟

ولابد لهذه الأسباب من ان تكون داخلية او خارجية . فاذا كانت داخلية ، فهذا يعنى ان البنية العرقيـة لشعبنا عقيمة ، متخلفة ، قاصرة ، وإذن فلا يمكن أن نكون غير اولئك العرب الذين ندعي الانتساب إليهم . ترى هل حل فى الأرض شعب آخر ، اخذ بمكان اولئك العرب القدماء ، وافنى كل من له بهم صلة ؟ ولماذا لم نع ذلك ، فنسمى انفسنا باسم الشعب الذى اصبحناه ؟

الحق ان هذه الفرضية غير مقبولة ، لا علمياً ولا اخلاقياً . والمواهب الانسانية شائعة فى كل مكان .. بالنسبة نفسها من الوجهة السيكولوجية ... إن سانغور شاعر مبدع سنغالي ، ولا اظن ان احداً سمي بغير اسمه كشاعر ، لكن اسمه عالمي ، وليس محلياً . وبالتالي فلا مجال لقبول اية فرضية فى عقم اصيل ، متصلة بانحطاط العرق .

لم يبق إذن إلا الأسباب الخارجية المتصلة بحرية الأديب أو الباحث او

الكاتب ، أو بمدى التشجيع الذى يلقاه هؤلاء ، وصورة الحياة التى يعيشونها. ولكن جـب الوطن العربي من أوله الى اخره ، وحاول أن تجد صورة للحياة يتمتع فيها الموهوبون من شعبنا بمستوى لائق من الكرامة الفردية ، أو بالقدرة على التصريح علنا بما يفكرون أو يرون أو يرتأون لشعبهم ، ومستقبله أو حاضره ؟ ولكن لننف هذه الفردية التى يقبلها أكثر الناس بما يشبه البداهة ، فبماذا نستطيع أن نعلل كل هذا التخلف العلمي والادبي وحتى اللغوي ... إني اقرا أكثر المجلات رصانة فى الوطن العربي ، وارى فيما يكتب الكتاب اللامعون اخطاء لغوية فاحشة وفاضحة ، بغض النظر عن قمة الفكر الذى يعبرون عنه ، فبماذا نعلل هذا الواقع كله ، إن لم يكن لا بالعرق وخصائصه ، ولا بالظروف واوهامها ؟ واكثر من ذلك أن نتساءل : هل من بارقة امل فى تغير هذه الأوضاع عما قريب ؟

وكثيراً ما القى الأصدقاء من كل الأعمار ، واطرح عليهم أسئلة تشغلني وتؤرقني وتملؤني شعوراً بالبؤس واليأس . ومن هذه الأسئلة ما اعبر عنه بما يلي :

● ـ كم عدد الأيام التى فرحتم بها فرحاً قومياً ، بنصر وطني او قومي ؟

● ـ كم عشتم صور الحزن القومي ؟

● ـ هل تعتقدون أن دولة عربية واحدة او مجموعة دول عربية تستطيع إذا جد الجد ، أن تهزم اسرائيل الآن ؟

● ـ هل تعتقدون أن ذلك فى وسعها، فى المنظور القريب وحتى العام ٢٠٠٠ مثلاً ؟

● ـ فى اى الشروط نستطيع أن نجابه اسرائيل بنجاح . وهل هذه الشروط هي هذه التى نعيش فى ظلها ؟ عربياً اولا ، ثم عربياً ودولياً معاً .

● ـ هل تظنون أن القوى العاملة ، من كل الأنواع ، مستثمرة استثماراً حسناً ، فى وطننا أو أن الهدر فيها كبير وبالتالى كم هو الفرق بين قدراتنا الكافية ، وقدراتنا الفعلية ، بين انتاجيتنا الواقعية ، وانتاجيتنا الممكنة

ولن اذكر جواب الناس الذين طرحت عليهم هذه الاسئلة ، ولا اجوبتي هنا ، لسبب معقول حتماً ، لا لسبب اخر يتصل بالنزوة ، او الرغبة ، او الهزل . إلا انى الخص ذلك كله بالقول : إن الأكثرية الساحقة من المجيبين ترى اننا ننشيء مؤسسات ضخمة من كل نوع ، وحتى مؤسسات الطاقة النووية ، ونعرضها على الأنظار ، ولكنها جميعاً كاتحاد الكتاب العرب تشكو امر الشكوى من عظمة المظهر ، وضالة المضمون . ولابد أن القيادات العربية تعرف ذلك مثل كل الناس . افلا ترى إذن ان هنالك خطا ما فى أوضاعنا ، وأنه لابد له من تصحيح سريع ؟ واظن أن اكبر ما يواجهه العرب فى واقعهم هذا هو الاعتقاد « الفوقـــي » ان كل شيء على ما يرام . وأن الله لم يخلق حتى الآن اروع من هذا الواقع القائم

وانه ليس فى الامكان أبدع مما كان ، فى الحين الذى نجد فيه القضية العربية مع عدوها الأول مافتئت تزداد تعقيداً منذ عام ١٩٢٠ حتى الآن . وان خط القوة العدوة صاعد وخط القوة العربية هابط ، أفيمكن ان ينشا عجزنا هذا عن سلامة السلوك العربي ، أو عن شيء آخر ربما كان فيه شيء ما غير سليم . ؟

ولا انسى طبعا القول : ان الكثيرين يلقون التهمة على الاستعمار والامبريالية ... وفى ذلك قول غير مرفوض ... لكن هل كل ما يصيبنا فى الداخل والخارج لا ياتي إلا من الاستعمار والامبريالية ، وما من شيء فينا نحن إلا وهو سليم ؟ إني اتمنى ذلك من كل قلبي ، اى اتمنى أن يكون المذنب هو «الآخر» لا «نحن» ... ولكن يجب ان يقتنع الناس بصحة هذه الدعوى .

ولقد روى لي الصديق ، القريب الراحل العزيز ، الدكتور سامي الدروبي حكاية خلاصتها أن رجلا حمل الى مستشفى المجانين لانه كان يظن انه حبة شعير او قمح لا ادري ، وكان يخشى من كل دجاجة فى الطريق ، خوفاً من أن تاكله فضاق صدر الرجلبمنزله الجديد ، واقنع الطبيب المداوي انه شفى من وهمه ذاك ، وانه يستطيع العودة الى بيته بسلام وامان . وكان هذا ما يرجوه الطبيب . فاخذ بيده وسار معه فى فناء المستشفى ، فى الطريق الى الادارة ، لتنظيم شكليات الخروج . وفى ذلك الفناء وجد رجلنا هذا بعض الدجاجات . فامتلأ قلبه فزعا واحتمى وراء الطبيب مما يفزعه . فعجب الطبيب منه وساله :

ـ اما قلت لي انك شفيت ، وانك لم تعد تعتقد انك حبة شعير ؟

واجاب الرجل :

ـ صحيح هذا أيها الطبيب . انا اعرف وانت تعرف انني لست حبة شعير ، ولكن كيف نحمل هذا الدجاج اللعين على الاعتقاد مثلنا ، انني لست حبة شعير ؟ .

وهكذا انا ، فاني مقتنع بان كل شيء فى دنيانا على اتم ما يكون ، وكذلك الذين تهمهم القضايا العربية من فوق، فانهم مثلى فى هذه القناعة . ولكن كيف نحمل الناس على التصديق بان كل شيء سليم . على حين ان الواقع كله مريض ؟

د. حافظ الجمالي ـ دمشق

---

١) ابو الطيب المتنبي . بلاشير . ترجمة ابراهيم الكيلاني ، ج (١) ، ص (١٤)

أنتخب فرحي

في مناسبات الحزن



بقلم
عبدالله جفري

إني استأذن حين أتأهب .. فاطرح – في البداية – هذا السؤال :

– هل أدخل هذه الساحة ، أم استمر خارجها مسمراً .. ثلجياً ، أحاور الأصداء وانكفىء ؟!

في البداية – أيضاً – يراودني سؤال آخر أطرحه هنا :

– هل أصبح إدراك الانسان للمفاهيم ، وللفكر ، وللفن ، وللارتقاء الحسي والذوقي .. إدراكاً منكفئاً ، مصدوماً بالمتغيرات المسلطة على رؤية الانسان ووعيه وشجونه ؟!

– ما هو الفارق بين داخل الساحة وخارجها ؟!

إنني اتلفت في كل الجبهات .. إنساناً منتمياً الى هذا العصر بمشاكله ، وبمتناقضاته ، وبقشوره ، وبانينه ، وضحكاته،اليوم يبدو الانسان محكوماً بالتلفت .. لأنه مرهون بالأصوات المفاجئة ، ومنساق بعد ذلك وراء الفجائية ذاتها !!

وساجيب على السؤال الأول .. بأن آذن لنفسي بالدخول الى هذه الساحة !

ساجيب على سؤال – افترضه منبثقاً منكم – عن المقصود بالساحة ، وأقول : ان كل قضية تهمنا هي ساحة يتبارز وسطها نقيضان متوالدان من احتياجاتنا ، ومن مفاهيمنا . وكل رغبة تتبلور في داخلنا هي ساحة ستخلو بعد قليل من اهتماماتنا بقتلنا لتلك الرغبة أو قتلها لنا ! .. وكل هدف يتضح من طموحنا هو ساحة .. نحن في الغالب لا نملك حدودها ، ولكننا نركض في فراغها حتى الاغماء وحتى المـوت ! .

نحن رهائن « ساحة » ننزف فوقها عمرنا ، ونقطر اشجاننا ، ونتباغض ، ونتحاب ، ونحارب ونموت ، ونقتل ، وننتصر ، ونضيع ، ولكن ثمن وا د هذه الصراعات ، وهذه الأهداف ، وهذه الرغائب أن تكون لها جميعاً قيم ومضامين لحياة كريمة ، ومفاهيم لتشييد مجتمع راق وحضاري !!

وأجيب على السؤال الآخر فاقول :

● حينما ينكفىء الادراك يصبح الحظ أعمى ! .. وهذا قول اشتقه من الترسبات الموروثة من اجيال ماضية .. رغم قناعتي التامة ان الجهد لا يخضع للحظ ، وأن الاجتهاد لا يسمى حظاً ، وإنما هو متأرجح ما بين الخطأ والصواب . فالانسان – إذن – إما مخطىء ، وإما مصيب .. ولكنه لن يكون محظوظاً أو سيىء الحظ !

بعد ذلك .. لا يمكن أن نسلم وعينا لانكفاء الادراك .. فرغم أن العالم يضم

أمما قطعت شوطا باهرا وبعيداً على درب الحضارة ، لكنها ضعيفة أمام متغيراتها المتصادمة ، لكنها مضطربة بفعل انكفاء إدراكها لمصالح الانسان المشتركة .. لأنها تنحصر فى مصالحها الخاصة !!

لهذه الأسباب تتقوض حضارات ، وتتفجر حضارات ، وكما قال « شبنجلر » إن الانسان المليء بالشجون .. لابد أن يعرف أن ما يمتلىء به ليست شجونه ، وإنما هي شجون غيره التى يعاني منها

فانت تبكي إذا فقدت شيئاً يخصك ، ولكنك تبكي اكثر إذا فقدت إنساناً تغليه ، أو إذا هجرك من تحبه ، ولا تبكي إذا هجرت من يحبك !!

وانت تتنازل لغيرك عن أشياء كثيرة ، ولكنك لن تتنازل من اجل نفسك عن أشياء تضرك لأنك تزاحم بها الآخرين . فالآخرون هم شجونك ودموعك وابتسامتك ، والشاعر يفعل ذلك ايضا بدون أن يدري .. فالخنساء تنازلت عن شبابها وأنوثتها من اجل أخيها «صخر» ، أو بسبب حزنها عليه ، ولكنها لم تتنازل عن حزنها ولوعتها على «صخر» من أجل أنوثتها وشبابها !!

وهذه النظرة قد تبدو متارجحة إذا انطلق جدل لمناقشتها ، وإذا تركز الجدل حول رفض التنازل عن أشيائنا الحميمة أو الخاصة بنا .. باعتبار أن الانسان أناني ، ولكن انانية الانسان ليست من اجله بل هي من اجل ما يريد ، وهو يريد لنفسه ، ولكن الذى يريده لنفسه يعطيه كل نفسه ، أو أغلى ما عنده !!

هنا .. اقترب من النقطة الأخرى التى تاملت جوانبها .. ولابد أن تكون مرتبطة بما طرحته من شواهد ، أو من حوار !

هذه النقطة هي مخاض لانطباع تشكل فى محتوى الجيل الذى يشهد لنا وعلينا ، وهي رؤية ــ محددة ! ــ لحصيلة عاطفة انسانية تضيع فى غبار قبح الرغائب واحتياجاتها ، وهي معاناة ذات حين .. تقتل القاتل والقتيل ، ويبقى داخل الساحة لا أكثر من انقاض حضارية ، وتهدمات نفسية .. كانت «مرحلة» فى حياة الأجيال السابقة وأصبحت معاناة للجيل المعاصر !!

وساستلهم دليلي من عاطفة الانسان ، ومن وسائل التعبير عن هذه العاطفة ، وأسال :

ــ ما الذى تبقى من عاطفة الانسان ؟

ــ الجواب : عندما اراد الكاتب الأمريكي « همنجواى » أن ينتحر لم يقل للعالم : انتحرت لهذا السبب ، ولكنه قتل نفسه فى صمت ، وترك الضجيج لمن تحلقوا حول جثته ، ولكنه قبل ان يموت كان يكتب رواية لم تكتمل ، وتركها عند سطور قال فيها : إذا كان ما تبقى من الحياة هو مزيد من قبح المصالح ، ومن عاهات الوجدان .. فلابد أن يكون الموت إجابة رائعة على هذا السخف !

والانتحار ليس حلا ، ولكنه نتيجة .

كذلك فان عواطف الناس لم تعد «وجداناً» ، ولكنها اصبحت لا أكثر من مضمون للوجدان ، واختلفت تلك المضامين وتلاحت !!

فالعاطفة موجودة ، ولكنها دائمة التلفت .. متسابقة وراء الفجائية ذاتها .

وقد قال المؤرخ المعاصر « توينبي » وهو المؤرخ الذى لا دخل له بالشعر ، والفن :

● «في شبابي أردت أن اتعلم الرسم ، فكانت أولى محاولاتي انني رسمت سماء زرقاء ، وغصن شجرة ، وطائراً يحلق فى المدى ، وقبل عام واحد فقط أردت أن أهرب الى الرسم ، فكانت آخر محاولاتي انني رسمت مدفعاً ، ومساحة حمراء تعني اللهب ، وبوماً فى داخله !! » .

وأراد المؤرخ أن يقول : لقد تبدلت الحياة ، ان المتغيرات هي حصيلة الرغائب المجنونة ، والمصالح القبيحة ، وهي تعبير لعصر القلق والخوف من الحروب ، ومن الأمراض ، ومن المجاعات ، ومن الاكتشافات الفتاكة !!

واستوقفتني عبارة قديمة صرح بها شاعر عربي معاصر لاحدى المجلات فقال :

● إنني متوتر ومجنون ، لا تسالوني عن شعري ، فمازلت مبدعا وفنانا واكتب الشعر الجيد ، ولكنه ليس الشعر الوجداني .. بل هو الشعر المناضل ، أو الشعر القنبلة . إن هذا هو عصري وعالمي !!

وتجعلني هذه العبارة انكفىء ولا ارتد . اتقلص ولا اتمدد ، انوح ولا أدري قضيتي !!

إنني انتحّب فرحي فى مناسبات الحزن !

إنني ارشح طموحي لخدمة مصالحــي !

انني عاطفي ومتسلخ ، بل إنني ارعرع شجوني واصدمها !!

لقد قال ذلك الشاعر ما استهجنته بنفسية الانسان المتعب .. المبدد فى أصداء تلك المسلحات !

وهل هناك داع للسؤال ؟!

وهل يصبح من الضروري انتظار الاجابة ؟!

أي سؤال .. وأية اجابة ؟!

إنني لا احاور الفهم ، ولا اترصد الادراك .

إنني ــ فقط ــ أتفصد حزنا ويقهرني العالم !

لست شاعراً ، ولكنني ولدت فى دواعي الشعر !!

كان الشاعر «طرباً دوراً» ينثر أشعاره فى الطرقات على شعر حسناء فتغنى شعره كانها تشم زهوراً !

وكان الشاعر يدخل مسابقات «البراعة» من اجل الارتفاع بقيمة الكلمة فياخذ جائزة ، أو جاهاً .. فكانه يحول الدنيا الى معزوفة موسيقية !

وليست هذه قيمة الشاعر كلها ، ولكن المحتوى الوجداني كان هو القيمة . فما قيمة إنسان بلا مضمون وجداني ؟!

ان العالم يبدو بلا مضمون وجداني ..

أنتخب فرحي

في مناسبات الحزن

العالم يتحول الى سياسة ، والشعر يحترق فى هذا التحول .. فلابد ان يقترب الشاعر من آلام امته ، وعندما اندلعت حركة المقاومة الفلسطينية انبثق عنها شعراء المقاومة : درويش ، والقاسم ، وكانت لهما ولادة اكبر من حجم معطياتها الشعرية او الفنية .. كان الاعتبار لوظيفتهما اولا ، وعندما اضطربت دروب « محمود درويش » تحول الى شيء عادى، أو تحدد كشيء سياسي ، ولكنه كشاعر ربما كان مبدعاً .. إنما هذا الابداع توقف عند محتوى وجداني محدد !

ومحمد الفيتوري ـ برغم شاعريته المبدعة ـ فقد تسلق صدور الناس وأذهانهم وشجونهم يوم غنى لافريقيا ، ثم تحول غناؤه سياسياً فتحدد ، ثم توقف عند الصوفية أو أغرق نفسه فى محتوى وجداني محصور !

ويوم أصدر الفيتورى « معزوفة الى درويش متجول » ظن البعض انها بداية جديدة لمرحلة مغايرة للشاعر ، ولكنه لم يكن اكثر من متلفت متوتر !!

وبحث «أدونيس» عن ذلك المضمون الوجداني .. إنه ـ ايضا ـ يعاني من التفاتاته المتوترة .. إنه يخاطب الحجر كزهرة ، ويعصف بالزهرة كبرق .. انه يتحدث عن عصره برؤية لا يمتلكها ، ويترافع عن قضايا مشروخة كانه «ديوجين» !

أما « صلاح عبد الصبور » فبعد مسرحيته الشعرية « ليلى والمجنون » حاول جاداً أن يصعد فوق تراكمات مضمونه الوجداني .. لكنه حدد رؤية معينة فى زمن ما ، ثم اختلطت المرئيات عنده حتى الصمت !

و «غادة السمان» لا تستطيع أن تصف شيئاً الآن ، ولكنها تحتد أمام اي شيء ، وكل شيء . إن هذه الحدة ليست بالضرورة هي مضمونها الوجداني ، ولكن مضمونها الأصيل متوتر متلفت ..

يهبط تارة ، ويحلق تارة اخرى ، وهذا التحليق هو تعبيرها ، فهي بارعة فى التعبير عن شيء غير معروف او غير متواجد !!

وفى الصحف والمجلات العربية حملة متناقضة على «نزار قباني» .. لأنه شاعر يدخل قدما واحدة ، ثم يخرجها ، ويجرب بالقدم الأخرى .. فهو يحاول أن يفتح طريقاً يجسد موته زمنا يعترف به غيره ، ولكن هذا الزمن يبهت فى الملامح التى يرسمها «نزار» لأنها ملامح مترددة ، أو لأن تامله لتلك الملامح بعد رسمها تامل متلفت متوترة !

وكل هؤلاء توقفوا عن اعطاء الجديد ، وعن ولادة رؤية جديدة لزمن مامول . انهم جديرون بالعذر ، ولكن المضمون الوجداني لكل جيل يتجاوز الأعذار .. فاما ان يقوى عليها ، وإما ان تهشمه !!

● وذات مرة جاء احد النقاد العرب المعروفين ، وهو الناقد «غالي شكري» فقال :

ـ «واللحظة التى يدعونها الالهام او الوحي ، والتى يقرر فيها الشاعر هذا الأسلوب أو ذاك هي نفسها اللحظة التى يقرر فيها إيصال هذه الفكرة أو تلك .. هذه اللحظة هي الأبنة الشرعية لمجاهدات الفنان مع الحياة والثقافة ، وهي أيضاً الثمرة الموضوعة لتكوينه الذاتي المنفرد ، أو ما يجب ان ندعوه بالضمير الفني ، وهو لا يرادف الضمير الاخلاقي » !!

وهذا الناقد قد أراد أن يشتم شعراء معينين ، والفكر والفن ليسا فى حاجة الى شتامين ، او فى حاجة الى من يحدد أن هذا الشاعر ذو ضمير اخلاقي ، أو ضمير فني ، ولكن المحور هنا ان نناقش فى ضمير القضايا التى تواجهنا ، وفى ضمير الأحداث التى تفاجئنا ، فالشاعر إنسان قبل كل شيء .. بل هو اكثر حساسية لأنه يستلهم المضمون الوجداني لأمته ، أو لجيله ، فهو ـ إذن ـ محكوم بالمتغيرات ، أو مصدوم بالمتغيرات التى تسلط على رؤية الانسان ووعيه وشجونه .. بمعنى أنه إما أن يعبر ، وإما أن ينكفىء . بمعنى أنه إما أن يكون على صواب ، أو يكون على خطا . وكيف يتحدد الصواب وكيف يتم الاعتراف بالخطا ؟!

إن المحتوى العاطفي هو الآن لا أكثر من تلفت متوتر ..

وأن الأبعاد الثقافية .. لا تنفصل عن ذلك المحتوى الوجداني ... لأنها تستنهض رؤية جيل بكامله !!

وكلنا ننتمي الى هذا الجيل الباحث عن إدراكه بكل الوسائل والتصور ايضاً !

إنني أُدَجِّن عاطفتي لئلا تجمـــح .

إنني أعاني من إدراكي ووعيي ، واتكسر فوق أرصفة الأسئلة العقيمة التى لاتلد الاجابات المنتظرة !

إنني جيل يختبىء فى غبار الحروب ، ويحترق بلهب القوى العالمية التى تصنع تلك الحروب !

إنني شاعر ، وسمسار .. انادى على حقوقي الانسانية من داخل محتواي الوجداني واتهدم !!

لقد بات العشق فجائية التصور ، فالأنثى التى تعشقها إما متشائمة منك ، أو متفائلة بنفسها ، والحدث الذى تنتظره إما عن وعي متصادم او شجن مكثف ، وانت لاتعشق لتروي محتواك الوجداني وإنما لتغرقه !

إنني انحبس وانهمر وتشربني نفسي !!

عبد الله جفري ـ جده

قــــالواهـــــذاالشهـــر...

ارضنا مقدســة وهي ليست للبيــع ولا للايجـــار

غسان تويني مندوب لبنان في الامم المتحدة

لقد ضبطنا مع بعض الحجاج منشورات وصورا تخلط بين الدين والسياسة وتدعو لتاليه الأفراد وتعمل على تحريف العقيدة الاسلامية وهو امر باطل ومسيء للاسلام ومرفوض شرعـــا .

الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير مكة المكرمة

« روبرت ماردوخ » صاحب جريدتي « التايمز » و « الصنداي تايمز » ما هو إلا قرصـان استرالـي سيطر على شارع الصحافــة في لندن عندمـا اشتـرى الصحيفتين ودفع ٦٥ مليون دولار .

جريدة الأخبار القاهريــة

ريجان هو افضـل رئيـس لامريـكا في هـذا القـرن .. ويجـب ان نعطيـه فرصة !! .

هنكلي ـ الشاب الأمريكي الذي حاول اغتيال ريجان في ٣٠ مارس الماضي

تم الاتفاق بين بنك دبي الاسلامي وجمعية دبي التعاونية واكبر المصانـع المنتجة للدجاج في الدانمرك على ذبح الدجاج المصدر منها الى الدول الاسلامية يدويـا ووفق قواعد الشريعة الاسلاميـة ، وسيكتـب على الغــلاف الخارجي للدجاج باللغة العربية أنها ذبحت باليد وبحضور ممثل إسلامي .

وكالات الأنبـاء

إن اعتراف « تاتشر » بمنظمة التحرير الفلسطينية يجبرها في النهاية على الاعتراف بالجيش الجمهوري الايرلندي كحركة من حركات التحرير وهو ما ترفضه تاتشر وتخشـاه على الدوام .

دبلوماسي بريطاني

باريس ليست وطني .. باريس تكفيها مشاكلها . أريد ارضا تكون وطنا لي . اشعر بمسئوليتي تجاه الوطن وأحس بواجبات الوطن نحوى .. إن الوطن كالولد لا تستطيـع استبدالــــه .

الكاتب اللبناني ابراهيم سلامــة

إن القنبلة النيوترونية تقتل العاملين على الآلات الكاتبة امام الاتهم التي تبقى صالحة للعمل ، وتقتل العلماء دون أن تصيب « الكمبيوتر » أو العقل الالكتروني ، وهذه القنبلة تقضي على رجال الاعمال في مكاتبهم دون اتــلاف الملفــات ، وهي تقتل العمــال في المصانع دون أن تتوقف الآلات .. إن جميع مؤيدي برنامج صنع قنبلة نيترونية هم من اكلة لحوم البشر .

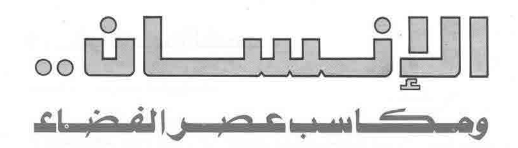
من كتاب (فلتسقط الحرب) للكاتب الفرنسي مارك جينست

حقق شاب في العشرين من عمره اسمه مارك راى « ٢٥ عاما » رقما قياسيا في الصراخ عندمـا استطـاع أن يصرخ ٣٤ ساعــة متواصلــة .

جريدة الشرق الأوسط

أتمنى أن تسود الحرية إلى آخـر مداهـا في حيـاة النـاس على اختـلاف أوضاعهـم وأعني بالحريـة هنـا : القانـون وليـس كســره أو اختراقــــه .

زكي نجيب محمــود



بقلم : إبراهيم السمان

لقد شغل غزو الفضاء العالم فترة من الزمن فى الستينات وبلغ اهتمام الناس به ذروته عند هبوط الانسان على سطح القمر . وقد أنفق العالم شرقه وغربه أموالا طائلة فى طريق انتقاله الى عصر الفضاء . ومن الطبيعي أن يتبادر الى الأذهان السؤال التالي : « ما هي مكاسب عصر الفضاء التى تحققت بعد كل هذا الترقب والعناء ؟ »

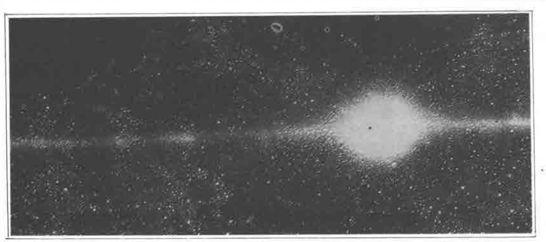
الشيء الثابت أن ما انفق على البحوث المتعلقة بغزو الفضاء لم يذهب سدى . فبعض مكاسب عصر الفضاء يبدو واضحا للجماهير عامة . وبعضها لا يتضح لغير المختصين . وهناك أشياء مازالت فى عالم الغيب . وقد قرأت عشرات الكتب والمقالات التي تتناول ثمار عصر الفضاء إلى أن اطلعت على كتاب « مكاسب عصر الفضاء » لثلاثة من المؤلفين هم : فردريك أوردواى ، وكارسيبي آدامز ، ومتشل شارب . وهو كتاب يتميز عن غيره من المراجع باحتوائه الشامل لمكاسب عصر الفضاء فى معظم ميادين الحياة المعاصرة نعرض فى هذا المقال جوانب منها لأنه من المتعذر الاحاطة بها فى مقال واحد او اثنين ..

فمن المنافع العلمية المنبثقة عن عصر الفضاء منتجات جديدة لاستعمال المنازل والصناعات . فحادث اشتعال النيران فى سفينة الفضاء ابوللو الذى راح ضحيته ثلاثة من رواد الفضاء عام ١٩٦٧ ادى إلى البحث عن مواد غير قابلة للاشتعال من اجل استخدامها فى سفن الفضاء التى تحمل الرواد . فتم انتاج اكثر من (٣٣٠٠٠) عينة لم يقبل سوى نسبة أقل من واحد فى المائة منها. وهذا كان سببا فى اكتشاف اكثر من مادة مضادة للحريق . وفى تكنولوجيا الطعام تم إنتاج اغذية مركزة ذات كثافة عالية وخفيفة الوزن وتشغل أصغر حيز ممكن ولا تحتاج الى تبريد لحفظها من العطب .. وبدات صناعة حفظ الماكولات ، فاذا بمخازن البقالة اليوم تعرض للبيع منتجات مجمدة بنزع المياه بالاضافة الى تطبيق أساليب التغليف الفنية التى وضعت خصيصا لماكولات الفضاء . واستفادت كذلك وسائل الطهي وحفظ الطعام من بحوث الفضاء الجوى ..

وتعتبر صناعة الملابس ميدانا هاما آخر للاستخدام التجاري الناتج عن التحسينات التى توصل اليها هذا العلم وقد ارتبطت بحوث الفضاء بتصميم المنازل نتيجة الخبرة فى تخطيط انظمة المحافظة على حياة رواد الفضاء . كما ظهرت اجيال جديدة ـ إذا جاز هذا التعبير ـ من مواد البناء المتناهية القوة والمتانة . وقد يكون من أغرب المعدات المستحدثة فى برامج الفضاء هي التى تصنع من الجليد ؟

وأما ثورة العقل الالكتروني فلا نجدنا بحاجة إلى التاكيد أن بحث الفضاء هو الأب الشرعي للعقل الحاسب الالكتروني وتطوره المتواصل .

وفى ميادين الصحة والطب ، فانه يتعذر تقييم الآثار التى احدثتها بحوث الفضاء فى بعض المعارف الاساسية فى علوم الاحياء ووظائف الأعضاء فى مقال محدود . فقد جنت العلوم الطبية الكثير من الثمار الفضائية فى مجالات عديدة مثل التحول الغذائي للاكسجين فى جسم الانسان وفائدته العلاجية بزيادة الضغط عليه عند سطح البحر ، وإذا



كان من أهم متطلبات رحلات الفضاء الماهولة هو إجراء قياسات فسيولوجية من مسافات متناهية البعد .. فكيف يستطيع طبيب على الارض ان يعرف درجة حرارة او سرعة نبض رائد الفضاء وهو فى مدار يبعد (١٢٠) ميلاً عن الأرض أو يمشى على سطح القمر ؟ وبفضل البحوث تم تحقيق ماكان يبدو للناس ضرباً من الخيال ..

ويعتبر نظام مراجعة عمل القلب لعدد من المرضى فى أن « واحد » هو أيضا نتيجة بحوث الفضاء ..

أما طب الأسنان فقد ظفر بنصيبه من مكاسب عصر الفضاء . فاحد تلك المكاسب هو جهاز يمكنه الكشف عن مناطق الاسنان التى لابد أن يبدأ تسويسها قبل أن يتحدد بالرؤية أو بأية وسيلة اخرى . وكان هذا الجهاز قد سبق انتاجه اصلا لتحليل عينات من تراب سطح القمر ؟ ومن الأشياء النموذجية لمثل هذه المكاسب هو حفار الأسنان ذو السرعة العالية ..

وامتدت اجنحة عصر الفضاء فاظلت المستشفيات والصيدليات ..

أجهزة رصد الكوارث

وادرك رواد الفضاء ان وسائل الانطلاق المدارية سوف تكون منصات نموذجية للمشاهدة ومراقبة أحوال المحيطات والأرض والجو . فتحولت الأقمار الصناعية لخدمة الانسان . فمنها يمكن مشاهدة مساحات واسعة من الماء واليابسة . وبذلك تحقق تسخير الأقمار الصناعية لخدمة الأرصاد الجوية وإجراء الدراسات للكشف عن الموارد الطبيعية ورسم الخرائط الجغرافية .

فقد أصبح من السهل معرفة ملامح الكرة الأرضية من بصماتها فى الطيف الكهرومغناطيسي كما نعرف الانسان من بصمات اصابعه أو نبرات صوته ..

وان معظم الصور التى تلتقطها الاقمار الصناعية واضحة ومفصلة بشكل يمكن معه تحديد موارد الأراضى والمحيطات بكنوزها المختلفة .

وقد استفادت صناعات عديدة من المعلومات الواردة من اقمار المحيطات كصناعة صيد السمك وصناعة شحن السفن وذلك عن طريق تحديد حجم الصيد المنتظر ومدى هدوء البحر فى مناطق صيد الأسماك ..

واما الخدمات التى قدمتها اقمار المحيطات فى ميادين الشحن فقد شملت اختصار وقت السفر والاقتصاد فى استهلاك الوقود وتقديم المعلومات الدقيقة عن أحوال الطرق البحرية ومدى سلامة الملاحة فيها لاسيما المناطق التى تكثر فيها جبال الجليد الطافية فوق سطح ماء . وقد لا يصدق القارىء أن ما يعرف بجزيرة الثلج يصل طولها أحياناً الى أكثر من خمسة عشر ميـلا وسمكها الى مائتى قدم .

ومن مكاسب عصر الفضاء أجهزة رصد الكوارث الطبيعية وتقدير كميات المياه المخزونة فى الانهار والبحيرات وتحديد مستوياتها .. والكشف عن التلوث وكذلك أجهزة الانذار باستهلاك كميات المياه محلياً واقليمياً وعالمياً .

واما هذه المكاسب فى افاق الاتصالات فكانت قمة الانجازات .. فاقمار الاتصالات تملأ أجواء العالم .. فقد جعلت منه فعلا لا قولا قرية صغيرة

• • •

لقد انهى عصر الفضاء عصور العزلة وجعل من العالم المختلف الالوان والأشكال اسرة واحدة فى ميدان الاتصالات الفضائية ..

وهكذا تتوالى انتصارات الانسان فى عصر الفضاء بحثا عن حياة افضل توفر السعادة للاجيال القادمة على حد ما تنشره وتذيعه وتعرضه وسائل الدعاية والاعلام ــ فهناك فرق ، كما نعلم جميعاً بين الدعاية والأعلام لا مجال للدخول فى تفاصيله ضمن هذا المقال ..

واليوم .. وبعد كل هذه المكاسب . هل الانسان سعيد حقا على هذا الكوكب ؟ وهل هو صادق مع نفسه ؟ إن واقع العالم الملتهب ينفى ذلك .. فان جميع تلك المكاسب فى عصر الفضاء لاتوازى بحال من الاحوال الخسارة فى فضاء القيم والأخلاق والمثل العليا ؟ . فماذا يفيد الانسان ماله بعد حياته التى اصبحت رهينة اقذر أسلحة عصر الفضاء ، بل انذل سلاح عرفته البشرية: نعم القنبلة النيوترونيـــة ؟؟

ابراهيم السمان ــ عمان

تعريب التعليم الجامعي

والبنــــاء الحضـــاري للأمّـــة

بقلم الدكتور: محمد عاطف كشك

الحديث عن استعمال اللغة القومية فى التعليم ونشر نتائج العلوم حديث شائع على السنة الأفراد والجماعات والهيئات . لكنه شائع أيضاً أن يتم تناول القضية بشكل قاصر ومنهج غير ملائم وطريقة متسرعة لا تتناسب مع خطورة وأهمية قضية حيوية مثل قضية استعمال اللغة القومية . لذلك سوف نحاول فى هذه الدراسة القصيرة مناقشة عدد من الأبعاد التى تضع قضية تعريب التعليم فى الاطار الذى نعتقد أنه الاطار الملائم لتناولها .

وفى هذا الاطار يتم تناول تعريب التعليم باعتباره جزءاً من قضية اشمل هى قضية استعمال اللغة القومية فى كافة المجالات . واستعمال اللغة القومية بدوره جزء من قضية أكبر وأشمل هى قضية التنمية وبناء الأمة . وسوف نناقش استعمال اللغة القومية باعتباره ليس مجرد دفاع عن النفس بل باعتباره وسيلة ضرورية لاكتشاف الجذور لكي نعرف بالضبط اين نقف حتى يمكن لنا ان نقتحم العالم المعاصر .

لذلك فاننا سوف نحاول فى البداية مناقشة بعض التناقضات والمغالطات الشائعة فى تناول قضية استعمال اللغة القومية ، ثم نحاول بعد ذلك ربط القضية بابعادها الصحيحة فيما يتعلق بالتنمية والبناء الحضارى للأمة ، وتحقيق الوحدة الثقافية للشعوب ، وتحقيق الارتباط بالواقع . ونقل العادات والقيم ، ونقل التكنولوجيا ، والتكامل العربى .

وفى عدد من الملاحظات الختامية سوف نشير الى بعض الوسائل التى يمكن بها تحقيق تقدم ملموس فى محاولات تعريب التعليم .

أولا : تناقضات ومغالطات

عند تأمل الأبعاد المختلفة لقضية تعريب التعليم الجامعى فى وضعها الراهن يمكن اكتشاف عدد من التناقضات والمغالطات التى تحتاج الى وقفة لفحصها ونقدها . ويمكن مناقشة أهم هذه التناقضات والمغالطات فى النقاط التالية :

١) يمكن تقسيم الدول العربية فيما يتعلق باستعمال اللغة العربية فى التعليم والحياة الى مجموعتين : مجموعة الدول التى استطاعت ان تحافظ على استعمال اللغة العربية فى معظم مراحل التعليم وفى الحياة والتعاملات الرسمية ، ثم مجموعة الدول التى استطاع المستعمر ان يفرض عليها لغته لدرجة انها وجدت نفسها بعد الاستقلال ومعظم افرادها لا يستطيعون ان يتكلموا او يفهموا لغتهم القومية كما حدث فى الجزائر وتونس . ومن الغريب ان المجموعة الاخيرة تقدر ضرورة بذل جهود مضنية ومخلصة لاستعادة مكانة اللغة العربية ، فى حين ان مجموعة الدول التى حافظت على اللغة العربية طوال فترات الاحتلال هى التى تتصاعد فيها الآراء التى تشكك فى صلاحية اللغة العربية لاحتواء العلوم الحديثة وقدرتها على التعبير ومتابعة التغيرات العالمية السريعة وخاصة فى مجال العلم والتكنولوجيا . والتفسير الوحيد الذى نستطيع أن نقدمه لهذا التناقض هو ان الدول التى سادت فيها لغات غير لغتها القومية قد اتيحت لها الفرصة لان تلاحظ اكثر الاثر الهدام لاهمال اللغة الام وان تؤمن اكثر باستحالة تحقيق الوحدة الثقافية والاستمرارية التاريخية وربط الاجيال الجديدة بواقعها ، مما أدى الى تخبط وفشل عمليات التنمية المتكاملة ، فى حالة الاستمرار فى تجاهل اللغة القومية . والوقوع فى مثل هذا التناقض الغريب ليس نادر الحدوث فهو شائع على مستوى الأفراد او على مستوى الدول عندما تتجاهل قيمة ما تمتلكه بالفعل .

٢) مغالطة شائعة ايضاً فيما يتعلق باستعمال اللغة العربية يرددها كثير من العلماء مؤداها أن اللغة العربية عاجزة عن استيعاب التقدم العلمى والمصطلحات العلمية والحضارية التى نشأت فى لغات اخرى . ولن نرد على هذه المغالطة او هذا الخطأ بمحاولة ترديد ما قيل كثيرا عن خصوبة اللغة العربية وغناها وقدرتها غير المحدودة على استيعاب كل مصطلحات العلم الحديث عن طريق البحث فى

تعريب التعليم الجامعي

التنمية الحضارية : بُعدٌ من أبعاد التنمية الشاملة

تسود المشاكل المتعلقة باستعمال اللغات القومية فى البلاد الفقيرة المتخلفة ومعظمها كانت محتلة لفترات طويلة وحصلت على استقلالها حديثا جدا/ وجميع هذه الدول تحاول ـ بدرجات وطرق مختلفة ـ أن تعبر الفجوة الواسعة بينها وبين الدول المتقدمة عن طريق عمليات التنمية . ويصعب بالتالى تناول قضية استعمال اللغة القومية بمعزل عن قضية التنمية وعندما نتكلم عن التنمية فاننا نتكلم عن بناء الأمة بشكل كامل . وهذا البناء لا يمكن أن يكون احادى الجانب وإلا فقد التوازن والاستقرار اللازمين لأى بناء ، فعملية التنمية تتطلب تكامل الأبعاد العلمية والتكنولوجية والثقافية والجمالية للتنمية . ولذلك فليس هناك الآن فرد او شعب او حكومة على درجة من الوعي يمكن أن تعتبر الثقافة مجرد ترف او ترفيه وتسلية ، بل يزداد الوعي باهمية الثقافة كخطوة كبرى وضرورية فى بناء الأمم ، ويزداد ادراك اهمية تحديد استراتيجية للتنمية فى الدول النامية باعتبار ان التنمية الفعالة لابد وان تشمل على الأقل اربعة ابعاد اساسية هي : النمو الاقتصادى ، والتناسق مع البيئة ، والعدالة الاجتماعية ، والبناء الحضاري .

والوحدة الثقافية هي سبيل بناء الامة حضاريا ، فالوحدة الثقافية هي الوسيلة الأساسية لتدعيم تماسك المجتمعات المستقلة حديثا أو التى مازالت تناضل من اجل استقلالها . وهى الوسيلة الوحيدة الفعالة للوقوف امام محاولات التمزيق والتفرقة . ومن المستحيل بناء وحدة ثقافية فى مجتمع يعتبر نفسه مجرد سوق للثقافة وليس امة . وطريق تحويل الامة من مجرد سوق للتيارات الثقافية الى شريك فعال فى الحوار والتبادل بين الشعوب هو بناء وحدة ثقافية لها .

الثقافة : احدى الاحتياجات الأساسية للبشر

ضمن استراتيجيات التنمية التى تجد قبولا عاما واهتماما متزايدا فى العالم كله تحتل استراتيجية اشباع الحاجات الأساسية للغالبية العظمى من افراد المجتمع مكانة بارزة والاحتياجات الأساسية لا تشمل فقط الطعام والملبس والمسكن والعمل وكل وسائل الرخاء المادى . لكنها تشمل ايضا ـ او لابد ان تشمل ـ وجود هدف للحياة ، وهذا بعد ثقافى . وقد يصاب البعض بالدهشة عندما يرى او يسمع عن الاحباط واليأس والتعاسة لدى نسبة كبيرة من افراد المجتمعات الصناعية المتقدمة والتى حققت قدرا كبيرا من الرخاء المادى لمعظم افرادها ، لكنه لا يوجد فى الحقيقة اى مبرر لهذه الدهشة ، حيث ان الرخاء المادى ـ رغم ضرورة توفر حد ادنى منه ـ إلا انه وحده ليس كافيا لاشباع كل احتياجات الانسان . بل ان مستويات عالية من الرخاء المادى بدون التفات كاف الى ضرورة وجود هدف للحياة يهدد الانسان الفرد وكذلك المجتمعات بفقدان الاتزان لأنه يخاطب جانبا واحدا منها ويهمل الجانب الآخر الذى لا يقل اهمية عن الجانب المادى .

الاخلاص للماضى وسيلة التأثير فى الحاضر والمستقبل

المعضلة التى تواجهها الثقافة العربية اليوم ـ مثلها فى ذلك مثل بعض الثقافات الأخرى ـ يمكن صياغتها فى السؤال التالى : أليس هناك امل فى ان تلعب الثقافة العربية دورها فى العالم المعاصر فى نفس الوقت الذى تظل فيه مرتبطة بجذورها الحقيقية وقيم البيئة العربية ؟ بمعنى اخر : كيف نظل مخلصين لماضينا وكيف نستطيع ان نعطى من قيمنا للعالم ؟ هذه بالطبع مشكلة عسيرة ولا توجد معادلة جاهزة لحلها والجدل حولها مستمر ومتصاعد لفترة طويلة . لكننا فى المقام الأول يجب ان نحدد الهدف وراء محاولتنا الاخلاص لماضينا ، فلا يجب ان نفعل ذلك لمجرد بعث ماض قديم او بدافع من التعصب او الشعور بالنقص او الخوف من التفاعل مع الثقافات العالمية المعاصرة ، بل يجب ان يكون مفهوما اننا حين نخلص لماضينا فذلك لكى نعيش اكثر حرية واكثر اعتمادا على النفس فى العالم الجديد الذى يتشكل امام انظارنا . ولا يجب ان نظل متفرجين حتى يتشكل العالم لنا ، بل يجب ان نساهم بفعالية فى تشكيل العالم ، وان تكون مساهمتنا ـ فى الأخذ والعطاء ـ على قدر عظمة تراثنا وتاريخنا وعلى قدر ما نرجوه لحاضرنا ومستقبلنا من روعة .

الاستمرار التاريخى اذن ليس هدفه مجرد بعث الماضى بل هدفه الأساسى أن يكون لنا دور فى تشكيل الحاضر وصياغة المستقبل واذا تركنا النظام العالمى الجديد يتشكل تماما بواسطة غيرنا فانه فى هذه الحالة سوف يهمل او يتجاهل رغباتنا وقيمنا واهدافنا . واذا كان لهذه الرغبات والقيم والأهداف ان تكون متضمنة وبارزة فى النظام العالمى الجديد فلابد لنا من الاغتراف من تاريخنا وتراثنا ، ولابد لنا من أن نعيد اكتشاف التاريخ ونعيد بناء الاستمرارية التاريخية .

اللغة ونقل العادات والقيم

نحاول فى كثير من المناسبات ان ننتقد وان نحارب انتشار العادات والقيم التى لا تناسبنا ولا تتفق مع تراثنا وتاريخنا والبيئة التى نعيش فيها . وهناك بعض من يعتقد ان مجرد ذكر جملة «قيم وعادات مستوردة» كفيل باقناع الناس برفض هذه العادات والقيم . وهنا مغالطة أخرى تحاول جعل كلمة «مستورد» مرادفة لكلمة ضار . وهذا فى الحقيقة اتجاه ـ فضلا عن انه متناقض مع نفسه ـ فهو اتجاه خطر وهدام لاننا فى الواقع نستورد أشياء كثيرة نافعة ولن نستطيع ان نغلق ابوابنا وعقولنا عن العالم . لكن اذا اردنا الاتجاه الصحيح لتناول قضية نقل العادات والقيم واختيار ما يلائمنا ورفض ما لا يتفق معنا ، فيجب أن نربط ذلك بقضية استعمال اللغة القومية . فما هو غائب فى معظم المحاولات هو ربط اللغة بقضية انتقال العادات والقيم الاجتماعية وانتشارها .

لكن يجب أن يكون مفهوما ان رفض كثير من نماذج الغرب التى لا تناسبنا ليس معناه رفض لغاتهم (او سلعهم) ، لكن عندما تكون لغتنا القومية محترمة فاننا فى هذه الحالة يمكن ان نفصل بين اللغة كوعاء وبين ما تحتويه من مضامين .

علم لا يصل للناس علم بلا قيمة

كيف يمكن توصيل نتائج العلم واكتشافاته وانجازاته الى الغالبية العظمى من الناس ؛ هذا هو اهم تحدٍ يواجه العلم المعاصر فى الوقت الذى ينمو فيه العلم بسرعة خرافية ويزداد فيه التخصص ضيقا بصورة تعجز معظم الناس عن متابعة اهم نتائجه ، فالعلم له لغته الخاصة التى يفهمها العلماء ، لكن العالم الأصيل يعتبر أن تبسيط العلم لكى يصل الى اكبر عدد ممكن من الناس هى اخطر واجهل مهمة ينبغى عليه أن يقوم بها . والعقبات فى سبيل قيام العلماء بهذه المهمة كثيرة وليس من المناسب أن نضيف اليها عقبة جديدة وخطيرة بان نكتب العلم ونعلمه للطلاب بلغة اجنبية بعيدة عن متناول معظم الناس .

اللغة والتكنولوجيا الملائمة

مصطلح التكنولوجيا الملائمة من اكثر المصطلحات استعمالا فى الوقت الراهن لأنه ثبت فى مناسبات وحالات عديدة للغاية فشل

التكنولوجيا فى حل المشاكل أو مساهمتها ربما فى تكثيف وزيادة حدة المشاكل القائمة لانها تكنولوجيا غير ملائمة للظروف التى تستعمل فيها . فالوسائل والاساليب التكنولوجية التى تم اكتشافها فى ظروف بعينها (طبيعية ـ اقتصادية ـ اجتماعية ـ سياسية ـ ثقافية) لا يمكن نقلها نقلا ساذجا واستعمالها فى ظروف مختلفة تماما . لذلك تتصاعد فى العالم كله الدعوة الى ضرورة خلق التكنولوجيا الملائمة ، ويمكن ان يتم ذلك بعدة طرق لابد وان تشمل اعادة اكتشاف وفحص وتنقية الأساليب التقليدية وتطويع الأساليب الحديثة للظروف المحلية وابتكار اساليب جديدة خاصة لتلائم هذه الظروف . لكن ذلك كله سوف يكون من الصعب جدا انجازه لو اننا لم نبذل جهودا جادة وعميقة فى استعمال اللغة القومية فى التعليم ونشر نتائج العلم لان التكنولوجيا ـ مثل العادات والقيم ـ يمكن ان تنتقل مع اللغة ، ولن نستطيع تطويع المضمون واكتشاف مضامين جديدة ما لم نستعمل اللغة القوميه كشكل لهذه المضامين . كما ان لغتنا تتخلف عن متابعة العصر ما لم ننقل اليها ونعبر بواسطتها عن التقدم العلمى والتكنولوجى حيث يعتبر العلم والتكنولوجيا فى الوقت الراهن من اهم الروافد التى تثرى اللغات وتساهم فى تطويرها وجعلها حية باستمرار ـ واللغة لم تكن ابدا ـ ولن تكون عائقا فى سبيل انتشار العلم والتكنولوجيا بل ان العلم والتكنولوجيا يساهمان فى اثراء اللغة وتطويرها . وما لم نفهم هذه العلاقة جيدا فسوف نظل تابعين ومقصرين فيما يتعلق بنا من عطاء سواء فى العلم او فى اللغة .

● ارتباط العلماء والطلاب بالواقع

نسمع ونقرا كثيرا عن ضرورة اهتمام العلم والتعليم بحل مشاكل الواقع والارتباط بالبيئة الطبيعية والحضارية . واحيانا نسمع ذلك ممن لا يستطيعون أو لا يرغبون فى الحديث والكتابة بلغتهم القومية . واى ادعاء عن الارتباط بالواقع سوف يكون سخيفا واية محاولة لذلك سوف تكون فاشلة مادامت اللغة القومية غير مستعملة فى التعليم وفى كتابة نتائج العلوم ونشر التكنولوجيا . فالعلماء عندما يكتبون ابحاثهم بلغة اجنبية والأساتذة عندما يعلمون طلابهم بلغة غير لغتهم القومية إنما يخلقون نوعا من العزلة والتغريب عن المجتمع ويكونون قشرة تطفو فوق سطح الواقع غير متصلة به وغير قادرة على ان تؤثر فيه او ان تتاثر به .

وفى هذه الحالات لا يصح لنا ان نستغرب ميل العلماء والأجيال الجديدة من الخريجين الى الهرب من مشاكل مجتمعاتهم ، او حتى الهرب من مجتمعاتهم نفسها ، او جهلهم الفاضح بمشاكل البيئة التى يعيشون فيها ، او عدم ربطهم العلم والتكنولوجيا بالأبعاد الانسانية والفلسفية السائدة فى بيئتهم ، او تعاليهم على المجتمع ككل وبحثهم باستمرار عما يستطيعون اخذه بدلا من بحثهم عما يستطيعون ـ او ما يجب عليهم من عطاء للمجتمع الذى اعطاهم بلا حدود . صحيح أن لجميع هذه الاعراض او الأمراض اسبابا اخرى كثيرة لكنه يستحيل تماما حلها بمعزل عن قضية اللغة المستعملة فى العلم والتعليم .

● اللغة والتكامل العربى

الكلام عن تكامل الدول والشعوب العربية ايضا كثير جدا وشائع . لكن الانجازات فى هذا المجال مازالت مخيبة للآمال . والتكامل لن يكون تكاملا حقيقيا بغير أن يتضمن تبادل وتكامل المعرفة والثقافة وبخاصة العلم والتكنولوجيا ، واللغة العربية هى التى يمكن ان تكون القناة المناسبة لهذا التبادل والتكامل وتحقيق الوحدة الثقافية ليس فقط داخل كل دولة عربية بل بين الدول والشعوب العربية .

ثالثا : ملاحظات ختامية

لا اعتقد انه من المناسب ان انزلق فى محاولة ساذجة لوصف عدد من التوصيات أو الحلول الجاهزة التى يمكن بها علاج المشاكل العديدة المتعلقة بتعريب التعليم الجامعى . كان نقول مثلا يجب على الجامعات كذا وكذا ويجب على الأساتذة كيت وكيت . فالقضية كما رأينا متشعبة متعددة الأبعاد عميقة الجذور . وقد اثبتت خبرة الافراد والامم ان الحلول البسيطة عندما يتم اقتراحها لعلاج مثل هذه المشاكل المعقدة غالبا ما تفشل ، او تساهم فى تعقيد المشكلة بدلا من ان تساهم فى حلها . ومع ذلك فلا استطيع ان اتنصل تماما من المسئولية المفترضة فى الكاتب والمفكر ـ كما هى مفترضة فى الطبيب ـ من انه بالاضافة الى محاولة التشخيص السليم لابد وان يصف العلاج . غير اننى فى الملاحظات التالية سوف اركز على المنهج والاسلوب اكثر من تركيزى على المقترحات والاجراءات العملية :

● رأينا الارتباط الوثيق بين استعمال اللغة القومية والبناء الحضارى للامة باعتباره بعدا هاما من ابعاد التنمية الشاملة . واذن فليس مناسبا بالمرة ان يتم تناول قضية تعريب التعليم او استعمال اللغة القومية باعتبارها قضية هامشية قليلة الاهمية بل يجب ان يتاح لها ما هو مطلوب لعلاجها من جهد ووقت واموال على كل المستويات .

● رأينا ايضا كيف ان القضية معقدة متعددة الابعاد واذن فان تناولها وعلاجها يجب ان يتم بطريقة متانية عميقة تستبعد من حساباتها الحلول السهلة غير المدروسة . واول خطوة فى هذه الطريقة هى الدراسة والتقييم لكل ابعاد المشكلة واسبابها ـ الظاهرة والخفية ـ وانتشارها ومدى تاثيرها .

● الجهود التى تبذلها الهيئات العلمية واللغوية يجب ان تتاح لها فرصة التناسق والتكامل والتبادل . كما يجب ان تتمتع باكبر قدر من المرونة . فالتعصب والجمود هما اعدى اعداء التقدم فى مجال استعمال اللغات القومية .

● التاليف والترجمة والنشر كلها وسائل يجب ان ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا فلن نستطيع ان نؤلف بدون ترجمة ولن نستطيع ان نترجم بدون نشر . والنشر وخاصة فى مجال المصطلحات العلمية والتكنولوجية هو الذى يضمن شيوع المصطلح وقبوله بالتدريج ويفقده غرابته على الاذن ويساهم فى مشاركة الناس وملاحقتهم للتقدم العلمى والتكنولوجى . وللأسف فان غياب او قصور وسائل النشر هو السبب الرئيسى الذى يقف حتى الآن عقبة عسيرة فى وجه بذل جهود قيمة فى التاليف والترجمة ويحجب نتائج الجهود القيمة التى بذلت بالفعل .

● تعليم اللغات سواء العربية او اللغات الأجنبية الحية بطريقة جادة وعميقة خطوة اولية واساسية . ولن يمكن التقدم فى هذا المجال فى ظل القصور والتخبط فى نظم ومناهج التعليم السائدة فى معظم انحاء العالم العربى .

وبعد . فان القضية اكبر واعقد من قدرتى ـ على تغطية كل ابعادها وهى فى حاجة الى مواصلة البحث والجهد والوقت سواء على مستوى المفكرين والعلماء والافراد او الهيئات والجماعات . لكنها بكل تاكيد فى حاجة ايضا الى بذل وتنسيق الجهود على مستوى الحكومات والشعوب .

د. محمد عاطف كشك

السينما التسجيلية في قطر

خطوات على الطريق

التجربة جديدة فى مدينة الدوحة .

وهو من الوجوه التى بدأت تأخذ دورها المستقبلي من اجل ايجاد قاعدة لاستخدام السينما كوسيلة للتعليم والتوجيه والاعلام ..

وهو لا ينسى ما قاله يوماً رائد السينما التسجيلية فى العالم « جون جريرسون »عن الفيلم التسجيلي : «إنه يخلق العزم والارادة القوية فى نفوس المتفرجين ، ويضفي على الشيء البسيط طابعاً من النبل والسمو » !

وعندما تطلب منه ان يقدم بطاقته الفنية ، فانه يقول لك فى تواضع شديد : اسماعيل خالد .. مشرف على وحدة الافلام التسجيلية والوثائقية فى قطر .. قضيت عاماً فى دراسة الفنون المسرحية فى الكويت .. ثم اتجهت الى القاهـرة مع صلاح درويش وأبو جسوم لدراسة المسرح فى أواخر عام ١٩٧٢ ، حيث التقيت بالفنان الكبير زكي طليمات ، الذى اخذني من يدى الى عميد المعهد العالي للسينما ـ وقتئذ ـ جمال مدكور ، لأواصل مشوار حياتي فى قسم الاخراج والسيناريو حتى عام ١٩٧٨ .. وعدت الى الدوحة لأعين مديراً مساعداً للمركز الخليجي لتنسيق التدريب الاذاعي والتليفزيوني ، ثم تم اختياري كرئيس لمركز الأفلام التسجيلية والوثائقية عقب صدور قرار بانشائه فى اول يوليو من هذا العام ..

أفلام قطريــــة

ولكن كيف بدأ ميلاد وحدة الأفلام التسجيلية والوثائقية فى قطـر ؟ .. يقول اسماعيل خالد : نظرا لاهمية الفيلم التسجيلي فى عالمنا المعاصر ، قررت وزارة الاعلام الاهتمام بهذا المجال فانشأت هذه الوحدة خلال هذا العام ، وجعلت رسالتها تتلخص فى :

● انتاج افلام تسجيلية تخاطب بها المتفرج فى الخارج ..

● دراسة المشروعات المقدمة من مؤسسات خارجية لانتاج الافلام عن قطـر ..

● متابعة أعمال فرق التصوير الأجنبية التى تاتي الى البلاد بهدف انتاج افلام وثائقية وتسجيلية عن قطر

● عمل مكتبة افلام تضم كل ما يتم تصويره عن دولة قطـر قديماً وحديثاً

● انتاج افلام وثائقية للاستخدام المستقبلي ، بحيث تحفظ ضمن ارشيف خاص حتى يمكن اعارتها للمؤسسات والشركات العالمية التى تحتاجها ..

● المعاونة فى انتاج افلام سينمائية عن منطقة الخليج حسب حاجة هذه المنطقة وحسب قرارات مؤتمرات وزراء الاعلام لدول الخليج العربيـة وضمن الخطة المقترحة ..

● انتاج جريدة قطر الناطقة لتعرض فى دور السينما المحلية ..

● المعاونة فى انتاج أفلام المناسبات القومية لعرضها فى التليفزيون ..

نواة أرشيف الأفلام

ونسأله : إذن هل هناك لجان ستعد خطة للانتاج القطري فى كل عام ؟ ..

ويقول : نعم .. ستشكل لجنة برئاسة سعادة وزير الاعلام الاستاذ عيسى غانم الكواري ، لاقرار خطة الانتاج السنوية .. وتضم اللجنة فى عضويتها الاستاذ محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل الوزارة ، والاستاذ شاهين الكواري مساعد وكيل الوزارة .. وتضمني اللجنة باعتباري رئيسا للوحدة ، كما تضم بعض الخبراء ممن لديهم دراية وخبرة بهذا العمل الفني .. وستقدم لهذه اللجنة خطة عمل تطرح أفكار الأفلام المطلوب انتاجها لتنفذها على مراحل ، إضافة للأعمال الدورية المطلوبة مثل جريدة مصـر الناطقة ، وستستعين اللجنة بمخرجين وكتاب من الخارج للقيام بعمل افلام تحت اشراف الوحدة.



اسماعيل خالد رئيس مركز الافلام التسجيلية اثناء حواره حول التجربة الجديدة في الدوحة

كما ستقوم بانتاج افلام مشتركة مع شركات خارجية لها سمعتها وكفاءتها الطيبة فى العالم ..

● ولكن كيف ستحصلون على الأفلام التسجيلية والوثائقية القديمة والنادرة بحيث تكون نواة لأرشيف الوحدة السينمائية ؟

ـ سنجمع اولا كل الأفلام الوثائقية التى لدى شركات البترول .. وهناك بعض افلام وثائقية عن قطر فى بعض البلاد العربية .. وهناك مجموعة افلام تسجيلية عن المنطقة فى الـ (بى.بى.سى) .. وهذا بالاضافة الى الحصول على بعض افلام تسجيلية قديمة من بعض الشخصيات القطرية مثل الأستاذ يوسف درويش وحسن المعايرجي الاستاذ فى جامعة قطر الذى وجدنا لديه ٢٠ فيلما وثائقيا من عام ١٩٥٠ حتى الآن .. وستجهز الوحدة باحدث الأجهزة والفنيين والخبراء الذين لديهم دراية طويلة فى هذا المجال الفني الهام ..

اول الأفلام

ويقول اسماعيل خالد أن اول أعمال تقوم بها وحدة الأفلام التسجيلية خلال الفترة القادمة :

● فيلم تسجيلي عن قطر ، يجرى الاتفاق من أجله مع المخرج الكندى جون فيني الذى يعتبر من اهم مخرجي الأفلام القصيرة فى العالم ، والذى سبق ان اخرج فيلما عظيما عن نهر النيل بعنوان « ينابيع الشمس » ..

● فيلم عن صور الحياة فى قطر ، يعرض بمناسبة يوم ٢٢ فبراير عام ١٩٨٣ ، ويخرجه المخرج الكندى الشهير « رالف كيرشن » ..

● فيلم «عشر سنوات مباركة» الذى سيعرض فى ٢٢ فبراير عام ١٩٨٢ ، وتقوم شركة افلام الخليج ـ وهي شركة قطرية ـ بتنفيذه .

● فيلم « شاهين » الذى يمثل الغزوات الأجنبية للخليج ، ويصور مابين أوربا والخليج ، وتصل تكاليف انتاجه مابين ٥ الى ٦ ملايين دولار ، وهو فيلم مشترك مابين قطر والكويت ، ومن اخراج خالد الصديق .

● فيلم «الديمقراطية والشورى فى دولة قطر » وسينفذه المخرج المغربي أبو غالب عتيقي الذى يعيش فى ايطاليا ويعمل كرئيس للبرامج السياسية فى التليفزيون الايطالي .. ونفس هذا المخرج سيقوم بعمل فيلم عن تنمية الثروة الطبيعية لخدمة الانسان ، وسيصل الى الدوحة فى ديسمبر القادم لاجراء دراسات ومقابلات وزيارة الأماكن الهامة كالمصانع والجامعة والمدارس ..

الحرب الاعلامية

ويرى اسماعيل خالد ان الفيلم التسجيلي يربط الجهد الفردى بعجلة الهدف العام ، ويوسع من افاق حجرة الدراسة ، ويمنح كل فرد فى مكانه وعمله فكرة حية عن المجتمع الذى يحظى بشرف الانتماء إليه ، وهذا بالاضافة الى ان السينما هي اقدر وسائل مخاطبة الجماهير على التقريب بين العناصر المختلفة فى هذا العالم الواسع والتعبير عن الطبيعة الحية لاعتماد افراد المجتمع على بعضهم البعض ..

ويقول ان السينما التسجيلية من اهم الوسائل الاعلامية التى يمكنها أن تخدم قضايانا الكبرى وفى مقدمتها قضية الصراع العربي الصهيوني ، فهذا الصراع اعتمد على الاعلام منذ نشاته ، ومازال يقوم بدوره النشيط لتحسين صورة اليهودي فى العالم بطريقة غير مباشرة ولكسب عطف العالم والحصول على تاييده ، وقد نجح فى ذلك ووصل الى ذروة النجاح الاعلامي فى العالم اثناء حرب عام ١٩٦٧ ، واعتمد فى ذلك ـ فى المقام

السينما التسجيلية في قطر

خطوات على الطريق

● الحس القومي لا يتكون عند فناني السينما بمجرد أن يولد الإنسان على تراب أرضه !

الأول – على اجهزة الاعلام التى كان فى مقدمتها الفيلم التسجيلي !

● هل معنى هذا اننا فى حاجة الى توحيد الجهود وتقديم افلام تسجيلية على مستوى كبير لخدمة قضايانا القومية ؟ ..

– نحن فى حاجة حقيقية الى هذا الاتجاه ، بشرط ان يكون العمل الفني غير مباشر ، وبحيث نقدم للذهن الأوربي والعالمي ما يقنعه وما يجعله مؤمنا بقضايا امتنا وأهدافها الغالية ، وبحيث نبدأ أولا بدراسة ما قدموه للعالم حتى نتعرف على طبيعة العدو الذى نخوض معه الحرب الاعلامية الشرسة !

الحس القومي

وعندما نساله عن تصوره عن ميلاد السينما التسجيلية فى قطـر والاهداف التى يجب أن تسعى اليها ، فانه يقول : علينا أن نجعل السينما فى قطر ترتبط ارتباطاً مباشرا بالمثقفين سواء فى الأدب المحلي او الأدب العربي أو العالمي ، والا تعتمد على الفطرة التجارية لانها رسالة تعبر عن نبض المجتمع ووجدانه وواقع الحياة والناس فمن اقوى اسباب ازمة الفكر فى السينما المصريـة ان هذه الصناعة دخلتها منذ البداية نسبة كبيرة من العناصر الأجنبية امثال فريتز كرامب والفيزى ارفانيللي وادمون توجا وغيرهم ، وكان طبيعيا الا يفهم هؤلاء الحرفيون تراث وظروف المجتمع الذى يعملون من خلاله وان تفقد السينما المصرية فى نشاتها كل صلة لها بالحياة والناس .. وقد قال احد النقاد المعروفين ان الحس القومي لا يتكون عند فناني السينما بمجرد ان يولد الانسان على تراب الأرض ولكنه يولد بالتعرف على التاريخ القومي تعرفاً حقيقياً عميقاً ، حتى يستطيع الفنان ان يفهم شخصية بلده ويحس بشخصية الانسان فى بلده ويعرف طبيعة الشعب ونفسيته وتاريخه .. ولذا فان السينما فى قطر تحتاج الى جيل مدرب ، قارىء لتاريخ بلاده ، متحمس لمسيرتها على دروب التطور والنهضة الشاملة ..

حول السينما

ويتطرق الحديث مع اسماعيل خالد الى عدة نقاط حول السينما ، لنصل معه الى عدة حقائق :

● الفيلم الجزائري بدأ عالمياً وهو يتجه الآن – للأسف – اتجاهاً جماهيرياً يفقده الكثير من السمعة العالمية التى وصل اليها عبر رحلة من العمل والعرق.

● لماذا لا تشارك وزارات إعلام دول الخليج فى انتاج فيلم روائي يخدم القضية الفلسطينية ويشترك فيه كبار النجوم فى العالم ؟ ... إن هذا الفيلم يمكنه ، لو عولج بطريقة فنية ، بعيدة عن المخاطبة المباشرة ، أن يلعب دورا إعلامياً فعالا فى العالم كله ..

● الانصراف عن انتاج فيلم أخناتون يعتبر نكسة للأفلام العربية النظيفة ، خاصة وان مخرجه شادى عبد السلام سبق ان أذهل العالم بفيلمه العالمي «المومياء» .. فلماذا نحاول دائماً تعطيل وحجب الأشياء الساطعة فى حياتنا ؟ !

● كان جريرسون رائد السينما التسجيلية يقول دائما « تاريخ السينما حافل بالأفكار والادوار التى بدات طيبة ولكنها فقدت قيمتها واتجاهاتها نتيجة لتفاهة رجال العرض وتدخلهم فى الانتاج .. وهي عبارة تحتاج من كل السينمائيين فى العالم العربي إلى وقفة نتساءل فيها جميعاً عن الطريقة التى تمكننا من تنمية ادوارنا وتطوير فنوننا بصورة تخاطب عقل وضمير العالم كله !

● كانت أول مرة تظهر فيها كلمة الأفلام التسجيلية فى مقال كتبته مجلة « نيويورك صن » فى فبراير عام ١٩٣٦ ، وكانت مقتبسة عن تعبير فرنسي يطلقونه على افلام الرحلات ، وقيل فى المقال ان الفيلم التسجيلي هو الذى يعالج الأحداث الواقعية الجارية باسلوب فيه خلق فني .. غير ان هذا التعريف سرعان ما اتسع نطاقه لتصبح رسالة الفيلم التسجيلي اكبر وأوسع مجالا ..

● ● ●

وهكذا نرى أن الحديث مع اسماعيل خالد يمتد الى اكثر من موضوع .. بداية من التجربة الجديدة التى تعاصرها مدينة الدوحة .. الى رسالة السينما فى عالمنا العربي وأهمية دورها فى إبراز قضايانا ".

دولة قطـر
وزارة الإعـلام
إدارة الثقافة والفنون



إعــلان

٧
أصوات فى القصة القطرية الحديثة
« من اجل اكتشاف المواهب الابداعية ورعايتها »

تعلن ادارة الثقافة والفنون ـ عن تنظيم مسابقة فى كتابة القصة القصيرة :

شروط الاشتراك :

١ ـ الاشتراك مفتوح للقطريين من الجنسين .
٢ ـ للمشترك حرية اختيار الموضوع الادبي
٣ ـ يحق لكل متسابق الاشتراك بقصة واحدة لا تتجاوز عشر صفحات فلوسكاب .
٤ ـ الا تكون القصة قد سبق نشرها باية وسيلة اخرى .
٥ ـ تقدم القصة على ثلاث نسخ مطبوعة على الالة الكاتبة او مكتوبة بخط واضح ـ مع الانتباه الى ضرورة عدم كتابة اسم المشترك أو عنوانه على اية نسخة من النسخ المقدمة .
٦ ـ ترفق مع كل قصة ـ ورقة موضحا بها اسم المتسابق وعنوانه كاملين ـ ثم توضع فى ظرف مغلق وترسل بالبريد المسجل ـ ويراعى ان يكتب على الظرف العنوان الاتي :

ادارة الثقافة والفنون ـ مسابقة القصة القصيرة
ص . ب ٢٣٣٢
الدوحة ـ قطر

٧ ـ تبدا المسابقة اعتبارا من تاريخ نشر هذا الاعلان ـ وتنتهي بتاريخ ١٩٨١/١٢/٣١م .
٨ ـ سوف تشكل لجنة تحكيم من كبار الكتاب والنقاد فى الوطن العربي تتولى عملية التحكيم فى المسابقة وإعلان اسماء الفائزين .
٩ ـ الادارة غير مسئولة عن إرجاع القصص الى اصحابها سواء فازت او لم تفز .
١٠ ـ ستقوم الادارة باصدار القصص الفائزة بالمراكز السبعة الأولى فى كتاب بعنوان (٧ أصوات فى القصة القطرية الحديثة) .

الجوائز :

سوف تمنح القصص الفائزة بالمراكز السبعة الأولى الجوائز الاتية :
١ ـ الجائزة الأولى : ٦٠٠٠ ريال
٢ ـ الجائزة الثانية ٤٥٠٠ ريال
٣ ـ الجائزة الثالثة : ٣٥٠٠ ريال
٤ ـ الجائزة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة : ٢٥٠٠ ريال .

مع تحيات
إدارة الثقافة والفنون
وزارة الإعلام



بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة المالية والبترول / ادارة شئون الموظفيـــــن / الدوحة/قطر ص.ب ٣٦

إعـــلان

تعلن ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول بدولة قطر عن حاجتها لشغل الوظائف التالية للعمل بالمجلس الأعلى لرعاية الشباب ووزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة الزراعة والصناعة .

اولا : المجلس الأعلى :

اسم الوظيفة والراتب	الشروط الواجب توافرها فى المرشح
١) مشرف فنى (لبيوت الشباب) الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	مؤهل جامعى مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل .
٢) مشرف فنى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تربية اجتماعية مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل بالهيئات الشبابية والخدمة العامة .
٣) مشرف تربية فنية : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تربية فنية مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل .
٤) مشرف مسرحي : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس المعهد العالى للفنون المسرحية او التمثيل مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل .
٥) مشرف موسيقى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس المعهد العالى للموسيقى مع خبرة لا تقل عن ٨ سنوات فى مجال العمل .
٦) مشرف فنى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	مؤهل جامعى مع خبرة فى مجال الاشراف الفنى بالمنشات الرياضية لا تقل عن ١٠ سنوات .
٧) مصور سينمائى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	مؤهل جامعى مع خبرة لا تقل عن ٨ سنوات فى مجال العمل .
٨) محرر صحفى : الراتب الأساسى من ٣٢٥٠ الى ٣٦٥٠ ريالا قطريا	مؤهل جامعى مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات فى مجال العمل .
٩) مصور فتوغرافى : الراتب الأساسى من ٣٢٥٠ الى ٣٦٥٠ ريالا قطريا.	مؤهل متوسط مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٨ سنوات .
١٠) محمض افلام : الراتب الأساسى من ٢٨٥٠ الى ٣٢٥٠ ريالا قطريا	مؤهل متوسط مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٥ سنوات .
١١) امين مكتبة فنية : الراتب الأساسى من ٣٢٥٠ الى ٣٦٥٠ ريالا قطريا.	ليسانس اداب قسم مكتبات مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٥ سنوات .
١٢) مترجم : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	ليسانس آداب قسم لغة انجليزية مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٨ سنوات .
١٣) محاسب ميزانية : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تجارة شعبة محاسبة مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٨ سنوات .
١٤) محاسب : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تجارة شعبة محاسبة مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٥ سنوات .
١٥) احصائى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تجارة قسم احصاء مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٨ سنوات .
١٦) باحث فنى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	مؤهل جامعى مع خبرة فى اعداد البحوث الخاصة بالأنشطة الشبابية والرياضية لا تقل عن ١٠ سنوات .

ثانيا : وزارة العمل والشؤون الاجتماعية :

اسم الوظيفة والراتب	الشروط الواجب توافرها فى المرشح
١ ـ مدير عدد (٢) ومديرة عدد (٢) لمراكز اجتماعية : الراتب الشهرى من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	جامعى خريج اجتماع او علم نفس على ان يكون قطرى الجنسية .

٢ ـ مرشد اجتماعى عدد (٢) ومرشدة اجتماعية عدد (٦) : الراتب الشهرى من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	جامعى خريج اجتماع أو علم نفس مع خبرة لا تقل عن (١٠) سنوات فى مجال العمل .
٣ ـ باحث اجتماعى عدد (٨) : الراتب الشهرى من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	جامعى خريج اجتماع او علم نفس مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل .
٤ ـ وكيلة مديرة المركز الاجتماعى : الراتب الشهرى من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	جامعية خريجة اجتماع أو خدمة اجتماعية على أن تكون قطرية الجنسية .
٥ ـ مدربات فى فن التفصيل والخياطة واشغال الابرة عدد (٣) : الراتب الشهرى من ٢٨٥٠ ـ ٣٢٥٠ ريالا قطريا	دبلوم أحد المعاهد المعترف بها مع خبرة لا تقل عن ٦ سنوات فى مجال العمل .

ثالثا : وزارة الصناعة والزراعة :

الوظيفة والراتب الأساسى	المؤهل والخبرة
اخصائى تراخيص صناعية : من ٤٥٠٠ ـ ٥٢٥٠ ريالا قطريا .	بكالوريوس هندسة تخصص انتاج أو هندسة صناعية مع خبرة لا تقل عن ٧ سنوات فى مجال التراخيص الصناعية وتقييم المشروعات
اخصائى رقابة صناعية : من ٤٥٠٠ ـ ٥٢٥٠ ريالا قطريا .	بكالوريوس هندسة مع خبرة لا تقل عن ٧ سنوات فى مجال الرقابة الصناعية .
باحث اقتصادى صناعى : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس اقتصاد مع خبرة لا تقل عن ٧ سنوات فى مجال تقييم المشروعات الصناعية .
باحث اخصائى صناعى : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس احصاء مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات فى مجال العمل الاحصائى وتنظيم المعلومات الصناعية .
مهندس وقاية صناعية : من : ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس هندسة انتاج مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات فى مجال اعمال الوقاية الصناعية والسلامة المهنية .
مهندس زراعى : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس زراعة تخصص بساتين (فاكهة) مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال التخصص .
اخصائى مكافحة الحشرات الزراعية : من ٥٥٠٠ ـ ٦٢٥٠ ريالا قطريا .	دكتوراه زراعة تخصص وقاية نباتات مع خبرة ميدانية حقلية لا تقل عن ٥ سنوات بعد الدكتوراه .
خبير زراعة غابات مناطق صحراوية : من ٥٥٠٠ ـ ٦٢٥٠ ريالا قطريا	دكتوراه فى زراعة الغابات مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات بعد الدكتوراه فى العمل الحقلى ويفضل من لديه خبرة فى مجال المراعى أو دورات فى هذا المجال .
اخصائى تربية اغنام : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس فى الانتاج الحيوانى أو ما يعادلها من جامعة معترف بها مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات فى مجال تربية الأغنام ورعايتها ويفضل من لديه اختصاص فى تربية الأغنام .
مساعد خبير محاصيل حقلية : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس زراعة تخصص محاصيل حقلية بالاضافة الى ماجستير فى نفس التخصص مع خبرة لا تقل عن ٨ سنوات وله خبرة ودراية بأعمال تصميم وتحليل التجارب وان يكون له ابحاث علمية منشورة .

تقدم الطلبات باسم السيد / مدير ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول (قسم التعيينات ـ وحدة الاعلانات) ص.ب ٣٦ الدوحة / قطر وذلك خلال ٣٠ يوما من تاريخ نشر هذا الاعلان على ان يتضمن الطلب جميع البيانات الخاصة بالطالب كالسن / الحالة الاجتماعية / المؤهل / العمل الحالى والسابق / التفاصيل الكاملة عن جواز السفر وصور عن المؤهلات العلمية والخبرة العملية معتمدة من السلطات المختصة غير قابلة للرد لصاحبها .

ملاحظة : ـ

يكتب على الظرف الخارجى (طلب وظيفة) .

لا يلتفت الى الطلبات غير المعتمدة وكذلك الطلبات غير المستوفاة .

● دراســة تـاريخيـة ●

وعـد بلفـور بعـد ٦٤ سـنـة

عنـدما قـالت إنجلترا لزعيم اليهـود:

«.. إنه صبي يا دكتور وايزمان»

بقـلم: عصـام شـريـح

يمثل وعد بلفور فى التاريخ العربى الحديث ، اكبر طعنة غادرة تلقتها الأمة العربية ، ممن كانت تظن انهم حلفاؤها، ويؤمنون حقاً بحق تقرير المصير للأمم والشعوب ، ويلتزمون بالوعود التى قطعوها على انفسهم اكثر من مرة ، وفى اكثر من بيان او وثيقة واحدة .

فبموجب هذا الوعد المشؤوم ، منحت دولة استعمارية هى بريطانيا ، ارضاً لا تملكها هى فلسطين ، الى جماعة لا حق لها فيها هى الصهاينة ، وذلك على حساب من يملكها إرثاً عن آبائه واجداده منذ الوف السنين ، ويملك حقاً مطلقاً فيها ، هو الشعب العربى الفلسطينى ، مما أسفر عن اغتصاب جزء من الوطن العربى ، هو بمثابة القلب من الجسم ، وتشريد شعب بكامله من ارضه ، فى سابقة لم يحدث لها مثيل فى التاريخ الانسانى . وقد علق الزعيم العربى الراحل جمال عبد الناصر ، على وعد بلفور ساخراً ، فقال : «لقد أعطى من لا يملك وعداً لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان : من لا يملك ومن لا يستحق ـ بالقوة والخديعة ـ ان يسلبا صاحب الحق الشرعى فيما يملك وفيما يستحق» .

الوعد المشؤوم

كان ذلك فى ٢ تشرين الثانــــى (نوفمبر) من عام ١٩١٧ ، والوزارة البريطانية برئاسة «لويد جورج» تعقد جلسة حاسمة فى تلك اللحظات الحرجة وكان الدكتور حاييم وايزمن الناطق الرسمى باسم الحركة الصهيونية العالمية ، حاضراً تلك الجلسة ، وبعد مناقشة لم تستغرق طويلا ، اقترب المستر سايكس من الدكتور وايزمن ، وقدم له الوثيقة ـ وعد بلفور ـ قائلا : «إنه صبى يا دكتور وايزمن» .

ومع ان وايزمن لم يحب «الصبى» كثيراً اول الأمر ، لأنه لم يكن «الصبى» الذى كان ينتظره ، فانه مع ذلك اعتبره حدثاً عظيماً ، فقام من مقعده ، وغادر قاعة الجلسة ، واتصل بزوجته مهنئاً إياها «بالمولود الصهيونى» ، ثم جرى بسرعة للاجتماع «باحاد هاعام» احد اقطاب الحركة الصهيونية ، حيث زف اليه البشرى «بوعد بلفور» ، الذى أصبح فيما بعد حجر الأساس الذى بني عليه الكيان الصهيونى على ارض فلسطين المغتصبة . لكن .. ما هو «وعد بلفور» هذا ؟؟


لويد جورج


بلفور


Foreign Office
November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothchild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of his Majesty's Government the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by the Cabinet.

His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country.

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

(Facsimile reproduction of)
(the Balfour Declaration)

نص الخطاب الذى أرسله بلفور إلى اللورد روتشيلد

حاييم وايزمان

• وثيقة • الصيحة الاولى

نداء الى العالم عامة وابناء العرب خاصة

«مفتي فلسطين»

منشور وزع في دمشق في عام ١٩١٨

الصيحة الأولى التى وزعت فى منشور عام ١٩١٨

لقد صدر الوعد المشؤوم بموافقة بريطانيا ، على اقامة «وطن قومى لليهود» فى فلسطين العربية ، باعتبارها الدولة المنتدبة عليها ، وقد جاء النص فى صيغة كتاب موجه من وزير خارجية بريطانيا اللورد آرثر بلفور الى البارون روتشيلد ، احد زعماء الصهيونية ، وهذا هو نص الكتاب :

«يسرنى جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته ، التصريح الآتى ، الذى ينطوى على العطف على امانى اليهود القومية ، وقد عرض على الوزارة ، وأقرته :

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تاسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على ان يفهم جليا ، انه لن يؤتى بعمل من شانه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الاخرى» .

أسباب الوعد

وتعود قصة وعد بلفور المشؤوم الى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨ حيث اثارت الروح الاستعمارية التى سيطرت على الدول الأوروبية فىاواخر القرن الماضى ومطلع القرن الحالى ، بالاضافة الى خوض الامبراطورية العثمانية لغمار الحرب الى جانب المانيا

وعد بلفور بعد ٦٤ سنة

ضد الحلفاء (بريطانيا وفرنسا ثم الولايات المتحدة ...) أثارت آمالا لدى اليهود باغتصاب فلسطين العربية ، وجعلها منطلقا لتحقيق الفكرة الصهيونية الأساسية القائلة بان اسرائيل الكبرى ، إنما تمتد من الفرات الى النيل .

وعندما صحت النية على زحف الجيوش البريطانية على فلسطين وبلاد الشام فى شباط (فبراير) ١٩١٧ ، فتح باب المفاوضات الرسمية بين زعماء الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية ، وتلتها مفاوضات اخرى مع فرنسا وايطاليا ، فتمت الموافقة رسميا على المشروع الصهيونى فى كل من باريس وروما ، كما فى لندن ، وارجىء نشر هذه الموافقة حتى وقت لاحق . وعندما لاح فى الافق ، ان انتصار الجنرال اللنبى فى حملته على فلسطين ضد الجيوش العثمانية ، قد اصبح أمراً محققا ، عمدت الحكومة البريطانية برئاسة لويد جورج ، الى نشر وعد بلفور فى الثانى من تشرين الثانى (نوفمبر) من عام ١٩١٧ ، وقد اقترن المشروع بموافقة الرئيس الاميركى ولسن قبل نشره ، كما ايدته كل من فرنسا وايطاليا فى العام التالى (١٩١٨) .

وفى محاولة لتبرير جريمة وعد بلفور قال رئيس الحكومة البريطانية آنذاك لويد جورج ، ان الأسباب التى ادت الى اصدار هذا الوعد ، إنما تعود «الى الأحوال الصعبة التى اجتازها الحلفاء ، وانهزام الجيشين الروسى والايطالى امام الالمان ، وتفكك الجيش الفرنسى ونشاط الغواصات الألمانية الهائل ، وتأخر وصول الفرق الأميركية الى الخنادق الأوروبية ، وموجة العطف القوية على «أمانى اليهود القومية» فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية بصورة خاصة .. إن كل ذلك ادى الى الاعتقاد بأن كسب عطف اليهود أو مناوأتهم ، قد يكون له أثره الفعال فى توجيه كفة الميزان نحو قضية الحلفاء او ضدهم ، كما أن عطف اليهود من شأنه أن يضمن على الأخص معاضدة يهود الولايات المتحدة الأميركية للحلفاء» .

وتابع لويد جورج تبريره لاصدار وعد أو تصريح بلفور المشؤوم ، فقال موجهاً كلامه الى الزعماء الطليان : «إن زعماء الصهيونيين قطعوا لنا وعداً أكيداً ماله انه فى حال اخذ الحلفاء على عاتقهم تسهيل إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، فانهم أى الزعماء الصهيونيين ، سيفعلون كل ما بوسعهم لايقاظ عاطفة اليهود فى انحاء العالم ، وتأليبهم لمعاضدة قضية الحلفاء ، وقد بروا بوعدهم هذا» !!

فى الواقع هناك ظلال من الحقيقة فى هذه التبريرات التى قدمها لويد جورج ، لكنها لا تفصح عن الدوافع الحقيقية الكامنة وراء إصدار الحكومة البريطانية لوعد بلفور الفريد من نوعه فى التاريخ الانسانى . كما ان اليهود الصهيونيين انفسهم حاولوا طمس الأسباب الحقيقية لاصدار الوعد المشؤوم ، بالادعاء انه كان (أى الوعد) مكافأة للدكتور حاييم وايزمن على اختراعه نوعاً جديداً من المتفجرات آنذاك ، ثم القول انه جاء نتيجة لاستغلال اليهود لنفوذهم المالى والسياسى ليجروا الولايات المتحدة الى الحرب فى جانب الحلفاء وضد دول المحور ، فكان الوعد مكافأة لهم على الخدمات الفعلية التى قدموها ، واخيراً لا آخراً القول بان وعد بلفور صدر لقاء وعود بتقديم إعانات مالية كبيرة دفعتها المصادر اليهودية لشراء سندات ديون الحرب . لكن هذه الادعاءات والأقوال لم تخرج عن كونها مزاعم تستهدف حجب الاجابة الصحيحة فى جانب الأساطير والدعايات .

والحق ان الحكومة البريطانية (حكومة لويد جورج) إنما دفعت الى إصدار وعد بلفور بعاملين : أولهما سياسى ، وهو أن تكسب العناصر الصهيونية القوية فى المانيا والنمسا ـ وهو ما ورد على لسان لويد جورج فيما تقدم ـ وكانت تلك العناصر تفاوض دول المحور فعلا ، لكى تصدر تركيا وعداً ـ شبيهاً بوعد بلفور ـ فارادت بريطانيا أن تصرف العناصر الصهيونية تلك عن دول المحور ، وتضمها الى جانب الحلفاء ، وتخفف فى نفس الوقت من عداء اليهود القاطنين فى بلاد الحلفاء نحو روسية ، وتحفز أولئك اليهود الذين كانوا ضالعين فى قلب النظام القيصرى ، ليعملوا على استمرار روسية فى الحرب وثانيهما دافع استعمارى ، كان يرى فى اتخاذ فلسطين أو جزء منها درعاً تحمى مركز البريطانيين فى مصر ، وحلقة وصل برية تربطها بالشرق .

ويقول «جورج انطونيوس» فى كتابه «يقظة العرب» إن هذا الدافع كان أقوى العوامل ، ومهما يكن دور العوامل الأخرى ، مالية كانت أو سياسية أو دينية أو انسانية ، فان ذلك العامل الاستعمارى كان وحده كافياً ، دون ريب ، لاصدار وعد بلفور . ولاشك فى أن وقوع فلسطين قريباً من قناة السويس ، قد عزز المطامع البريطانية فى فلسطين من أجل تحويلها الى حاجز (بشرى) منيع ، يحول دون المطامع الفرنسية فى بلاد الشام ، والتى كانت تطالب بجعل فلسطين اضافة لسوريا ولبنان خاضعة للانتداب الفرنسى ، اضافة الى كون هذا الحاجز البشرى سيشكل فى حال قيامه اداة مثالية لضرب حركة النهوض العربى ، أو أى مسعى بين عرب المشرق وعرب المغرب للتحرر وتحقيق وحدة عربية شاملة .

وهكذا .. فان لويد جورج عمل على أن يكون الحاجز الذى يحمى قناة السويس من أى هجوم يأتى من الشرق عبر فلسطين ، ويحول دون قيام وحدة عربية فى المستقبل ، عمل على أن يكون هذا الحاجز بريطانى التبعية إن أمكن ذلك ، ومن ثم صدر وعد بلفور ، فمهد السبيل أمام بريطانيا لتقول من بعد عند إحراز الحلفاء النصر كاملا على دول المحور ، إنها قد منحت الصهيونيين تعهداً جدياً فيما يتعلق «بوطن قومى» فى فلسطين ، وانها من أجل تحقيق ذلك التعهد ، ترى من الأنسب أن تأخذ على عاتقها عبء حكم فلسطين .

ويؤيد «ابراهام ليون» فى كتابه

«تاريخ اليهود» ، كون العامل الاستعماري لدى بريطانيا هو العامل الطاغي الذي فرض صدور وعد بلفور ، فيقول : «كانت الاتفاقات زمن الحرب (الأولى) تتغير بسرعة ، وكانت التعديلات ترافق كل حدث حربي ، والوعود لم تكن سوى حركات في اللعبة الدبلوماسية ، فكل دولة كانت منهمكة بمناورات معقدة من وراء ظهر الأخرى ، في محاولة لضمان مصالحها السياسية والاقتصادية ، ووسط هذه المؤامرات والمفاوضات أعلنت بريطانيا تأييدها للصهيونية ، وتحول الحلم الصهيوني فجأة الى حقيقة واقعة» .

وأضاف ليون قائلا : «إن بريطانيا كانت ستقدم على شطب وعد بلفور لو استدعت مصالحها إعادة النظر في سياستها» .

وفي الواقع ، فانه الى جانب المصالح السياسية والاقتصادية والعسكرية البريطانية التي املت اصدار وعد بلفور فان الحكومة البريطانية كانت تنظر الى البعيد ، وتحاول دق الأسافين في وجه حركة التحرر العربية والوحدة العربية وقد رأت في انشاء كيان صهيوني في قلب العالم العربي ـ فلسطين ـ الوسيلة الأكثر فعالية لتحقيق هذه الغاية .

يقول ابراهام ليون : «إن المناداة بفيصل ملكاً على سوريا في عام ١٩٢٠ (وهو ما بشر بنهوض كبير في مجال حركة التحرر القومي العربية في بلاد الشام) ، جعلت وعد بلفور حقيقة» .

ولذلك ، فمن المؤكد أن بريطانيا حين أصدرت وعد بلفور ، كانت قد اخذت في عين الاعتبار امكانية استخدام الصهيونية في مواجهة حركة التحرر القومي العربية التي كانت قد بدأت تتبلور بوضوح ، وتتحول الى حركة ذات جذور بين الجماهير العربية في بلاد الشام والعراق وغيرها .

• • •

ونضيف الى ما تقدم ، إن الصحافة البريطانية نسجت في تعليقاتها ومقالاتها خلال الفترة التي سبقت صدور وعد بلفور ثم خلال الفترة التي اعقبته ، على هذا المنوال بكل وضوح . فتحت عنوان «سياسة بريطانيا في فلسطين ـ ضرورة عبرية بريطانية» ، كتبت صحيفة «صنداي كرونيكل» ما يلي :

«لا يوجد جنس آخر في العالم كله ، يستطيع أن يقوم بهذه الخدمات لنا غير اليهود أنفسهم .. ولدينا في الحركة الصهيونية القوة المحركة ، التي ستجعل امتداد الامبراطورية البريطانية الى فلسطين مصدر كبرياء وركن قوة» . كما كتبت صحيفة «إيفننغ ستاندرد» قائلة : «لقد أوضحت المصالح البريطانية منذ وقت طويل ضرورة قيام دولة حاجزة بين مصر وحكومة تركية معادية ، والصهيونية تزودنا بالحل» .

وبعد صدور وعد بلفور ، كتبت صحيفة «غلاسكو هيرالد» قائلة : «ومن وجهة النظر البريطانية ، فالدفاع عن قناة السويس يتم على افضل وجه باقامة شعب في فلسطين يكون ملتصقا بنا ، وإعادة اليهود الى فلسطين تحت الرعاية البريطانية يضمن ذلك» .

أما الزعماء الصهاينة ، فقد دغدغت احلامهم هذه المطامع البريطانية في المنطقة العربية ، وهم الذين طرحوا نفسهم اصلا منذ قيام الحركة الصهيونية في عام ١٨٩٧ لأن يكونوا جزءاً من السور الذي يحمي الحضارة الأوروبية من اخطار «الهمجية والبربرية» المتدفقة من آسيا ، ولذلك نرى نورمان بنتويتش يقول ـ وهو احد الزعماء البارزين في الحركة الصهيونية ـ ان حاييم وايزمن قد ربط عجلة الصهيونية بنجم بريطانيا ، معتقداً ان عملية بناء فلسطين يجب أن تكون شركة بين بريطانيا واليهود ، وقد شرح زعيم صهيوني آخر هو «ماكس نوردو» مدلول ربط عجلة الصهيونية بنجم بريطانيا في عام ١٩١٩ ، وبحضور كبار الزعماء البريطانيين بمن فيهم لويد جورج وآرثر جيمس بلفور ، فقال مخاطباً أولئك الزعماء البريطانيين : «نعرف ايها السادة ما تتوقعونه منا .. تريدون أن نكون حراس قناة السويس ، أن تكون حراس طريقكم إلى الهند عبر الشرق الأدنى ... نحن على استعداد لأن نقوم بهذه الخدمة العسكرية ، ولكن من الضروري تمكيننا من أن نصبح قوة و حتى نقدر على القيام بهذه المهمة » .

وعصبة الأمم !!

ومن سخريات القدر فعلا أن جميع القوى الاستعمارية والشريرة قد تكالبت على الشعب الفلسطيني ، وعملت على إنزال كارثة تهجيره من أرضه ووطنه بالقوة الغاشمة ، من أجل إنشاء دولة يهودية تكون الذراع الضاربة في المنطقة العربية لمصلحة الاستعمار الغربي . وكان بين هذه القوى ، عصبة الأمم ، التي كان مفترضاً فيها أن تكون



داخل الأرض المحتلة

وعد بلفور بعد ٦٤ سنة

صوت العدل والحق الذى يلجم الأطماع والنزوع الى ارتكاب الشرور من قبل الدول الأعضاء ، ولكن تلك العصبة ، لم تكن فى واقع الحال ، سوى عصابة من الدول الاستعمارية التى ربحت الحرب العالمية الأولى وأرادت اغتصاب العالم وثرواته لمصلحتها ولحسابها فقط .

ففى ٦ تموز (يوليو) ١٩٢١ ، أصدرت عصبة الأمم ، صك انتداب بريطانيا على فلسطين ، وقد صدق على هذا الصك فى ٢٤ تموز (يوليو) من العام التالي (١٩٢٢) ، ووضع موضع التنفيذ فى ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٣ ، وقد جاء فى مقدمة الصك : « ... إن دول الحلفاء الكبرى ، قد اقرت ماجاء فى تصريح بلفور وزير خارجية صاحب الجلالة ، واعتبرت نفسها مسؤولة عن تنفيذ مضمونه لمصلحة انشاء وطن قومي لليهود فى فلسطين ، ولما كان قد اعترف بتلك الصلة التاريخية التى تربط الشعب اليهودى بفلسطين ، وبالأسباب التى تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي فى تلك البلاد ، ولما كانت دول الحلفاء ، قد اختارت صاحب الجلالة البريطانية ليكون مندوباً على فلسطين ، لذلك فان مجلس عصبة الأمم ، بعد تأييده الانتداب المذكور ، يحدد شروط نصوصه بما يلي:

● تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد فى احوال سياسية وادارية واقتصادية ، تضمن إنشاء الوطن القومي لليهود .

● يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية ، لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين ، والتعاون معها فى الشؤون الاقتصادية و الاجتماعية وغير ذلك من الأمور التى قد تؤثر فى إنشاء الوطن القومي اليهودي ، ومصالح السكان اليهود فى فلسطين ، ولتساعد وتشترك فى ترقية البلاد ، على ان يكون ذلك خاضعا دوما لمراقبة الادارة .

● على ادارة فلسطين (الانكليزية) ، مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالي الأخرى !!! ان تسهل هجرة اليهود فى احوال ملائمة ، وان تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار إليها ، حشد اليهود فى الأراضي الأميرية (اراضى الدولة) ، والأراضي الموات (غير المستغلة) غير المطلوبة للمقاصد العمومية ، ولابد من الاشارة هنا ، الى ان مواد صك الانتداب على فلسطين العربية ، بلغت ٣٨ بنداً ، وقد اعترفت «لجنة التحقيق» البريطانية التى ارسلت الى فلسطين فى عام ١٩٣٧ ، للتحقيق فى اسباب ثورة عرب فلسطين ضد الانتداب البريطاني واليهود الوافدين على فلسطين من الخارج بقصدالاستيطان فيها ، اعترفت بان فيليكس فرانكفورتر الصهيوني الأمريكى ، هو الذى وضع صيغة الانتداب بنداً بنداً ، ويتضح من معظم البنود التى اتينا على ذكرها ، ان الصك إنما وضع لأضفاء الصفة القانوية على عملية تهويد فلسطين ، وإكسابه صفة شرعية .

أما النص المتعلق بصيانة وحفظ الحقوق المدنية والدينية للسكان غير اليهود ـ اى للفلسطينيين سكان البلاد الشرعيين والذين كانوا يشكلون ٦/٥ من سكان فلسطين ـ فقد بقيت حبراً على ورق ، وهي فى الأصل انما وضعت للتعمية والتمويه وذر الرماد فى العيون فتعداد اليهود عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى ، لم يكن ليزيد فى فلسطين عن ٥٦ الف نسمة فيما كان عدد العرب فيها ينوف على ٧٠٠ الف نسمة ، ولعل من المفارقات المضحكة والمبكيةفي ان فى هذه المرحلة من عمر القضية الفلسطينية ، ان أول مندوب سام عين حاكما على فلسطين ، كان احد الزعماء الصهاينة الانكليز ، وهو هربرت صموئيل .

بريطانيا تخدع العرب

لقد أقدمت الحكومة البريطانية على تقديم وعد بلفور لليهود الصهاينة ، فى الوقت الذى كانت قد قدمت وعداً للشريف حسين ـ شريف مكة ، وقائد الثورة العربية ـ التزمت بموجبه (في عام ١٩١٥) بأن تعترف بدولة عربية فى منطقة لم تستثن منها فلسطين ، وبأن تساند استقلال تلك الدولة .

ولذلك فان صدور وعد بلفور اثار حيرة وفزعاً فى العالم العربي ، أو بعض اجزائه ذات الاتصال المباشر



العائلات النازحة عند بداية الاحتلال



لوحة الغلاف عن وعد بلفور بعد ٦٤ سنة ـ اللوحة للفنان حلمي التوني



القدس ـ مدينة الأديان وزهرة المدائن

بالحلفاء ، فقد رأى العرب فى « وعد بلفور » البريطاني إنكاراً لحرية العرب السياسية فى فلسطين . وقد حاولت بريطانيا أول الأمر اخفاء نبأ الوعد ، لكن الشريف حسين ، وابنه فيصل عرفا به ، وطلب الشريف حسين تعريفاً لمعنى الوعد المشؤوم ومداه ، وهنا لجأت بريطانيا الى الخداع مرة أخرى ، فأوفدت مبعوثاً من لدنها الى جدة لتهدئة خواطر شريف مكة ، وكان مما قاله المبعوث البريطاني « إن الاستيطان اليهودى فى فلسطين لن يكون مسموحاً به إلا بقدر ما يتفق ذلك مع حرية السكان العرب من الناحيتين الاقتصادية والسياسية» ، وبالطبع فان هذا التاكيد كان مجرد خداع وكذب مكشوف ، ليس لأنه لم يطبق كما حدث فيما بعد فحسب ، بل ولأنه يخالف أساساً نص وعد بلفور الذى لا يضمن للسكان العرب سوى « الحقوق المدنية والدينية » فقط ، ومن المؤسف فعلا ان الشريف حسين انطلت عليه هذه الخدعة ، بل انه صدق ما قدم اليه من تفسير تماماً ، مما دفعه لان يتعهد للمندوب البريطاني ان يبذل كل نفوذه لكي يساعد على تحقيق ملجا من الاضطهاد المزعوم لليهود فى فلسطين وسيوافق على كل تدبير مناسب لتامين وضع الأماكن المقدسة والاشراف عليها من قبل اتباع كل دين من الديانات التى لها معابد مقدسة فى فلسطين !! ، واكثر من ذلك فانه ارسل الى قادة الثورة العربية فى بلاد الشام وفى مصر ، يبلغهم انه تلقى تاكيدات من الحكومة البريطانية بان توطين اليهود فى فلسطين لن يتعارض مع استقلال العرب فيها !! ويحثهم فى نفس الوقت على الاستمرار فى تصديق الوعود التى قطعتها بريطانيا على نفسها للعرب حول نيل الحرية وقيام دولة عربية مستقلة .

لكن الخداع لا يمكن ان يمتد طويلا ، فقد نسفت ثقة العرب بالتفسيرات البريطانية لوعد بلفور المشؤوم ، حين نشرت الحكومة السوفييتية الجديدة ـ بعد الاطاحة بالقيصر فى روسيا ـ نص اتفاقية سايكس ـ بيكو السرية ، التى اتفقت بموجبها كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا على تقاسم ممتلكات الامبراطورية العثمانية فيما بينها . ويقول المؤرخ البريطاني دزموند ستيوارت : « إنه بعد نشر تصريح بلفور واتفاقية سايكس ـ بيكو » لم يبق لبريطانيا اصدقاء من العرب بل عملاء فقط » .

ومع بداية الانتداب البريطاني على فلسطين ، شرعت الحكومات البريطانية المتعاقبة فيما بين ١٩١٨ ـ ١٩٤٨ ، فى تطبيق نص وروح وعد بلفور ، وتهويد فلسطين عن طريق استقدام المهاجرين اليهود الى فلسطين من جميع اصقاع الارض ، حتى إذا جاء ١٤ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، انسحبت بريطانيا من فلسطين ، بعد أن تاكدت من قدرة اليهود على إعلان كيانهم الصهيوني على تلك الأرض العربية ، وهذا ما حدث فعلا ، وما يزال يهدد المصير العربي برمتــه .

عصام شريح



جميعُ المطاراتِ عندي سواءْ
جميعُ الفنادقِ عندي سواءْ
وكلُّ ارتحالٍ قُبَيْلَ الشروقِ
وبعد المساءِ
سوَاءْ
وكلُّ الوجوهِ
تطاردُني عند كلِّ وَداعٍ
تلاحقُني عند كلِّ لقاءٍ
سواءْ
ففيمَ العَنَاءْ ؟!

أفيقُ مع الفجر
أشرَبُ شايَ الصباح
أسيرُ الى غابةِ الأمسِ واليومِ
حيث تسيل الدماءُ
أصافحُ نفسَ الأيادي المليئةِ
بالعطرِ والمكرِ ... ألمحُ نفسَ الرياءُ
ونفسَ الخداعْ

شعر الدكتور: غازي القصيبي

ونفـسَ الغبـاءْ
ففيم العنـاءْ ؟
ففيـم العنـاءْ ؟

●

وألهـو بنفسِ القـراراتِ
أهـذي بنفـسِ الخطابـاتِ
أسمـعُ نفسَ الغِنـاءْ
أطـوفُ بنفـسِ الجمـوعِ
وأبصرُ نفـسَ الدمـوعِ
وأضحـك حين يشـاءُ القضـاءْ
وأحـزنُ حين يشـاء القضـاءْ
ففـيم العنـاءْ ؟
ففيـم العنـاءْ ؟

●

ولا يعـرف القفـر أني
سكبـتُ دموعـي عليـهِ
ولا يعـرف الحـبُّ أني
ارتميـتُ .. لثَمْـتُ يديـهِ
ولا يعـرف الظلـمُ أني
تململـت فى قبضتيـهِ
ولا يعـرف الناس أني
غضبـتُ وقد عُـذِّبَ الأبريـاءْ
وحاربـتُ حين طغـى الأدعيـاءْ
ففيـم العنـاءْ ؟
ففيـم العنـاءْ ؟

●

وحين أغيـبْ
وراء المغيـبْ
يقولـون كان عنيـدًا
وكـان يقـولُ القصيـدًا
وكان يحـاول شيئـاً جديـدًا
وراح وخلّـف هـذا الوجـودًا
كمـا كـان قبل غبيـًّا بليـدًا
ففيـم العنـاءْ ؟
ففيـم العنـاءْ ؟



الشيخ الذى يتولى تحفيظ القران للاطفال

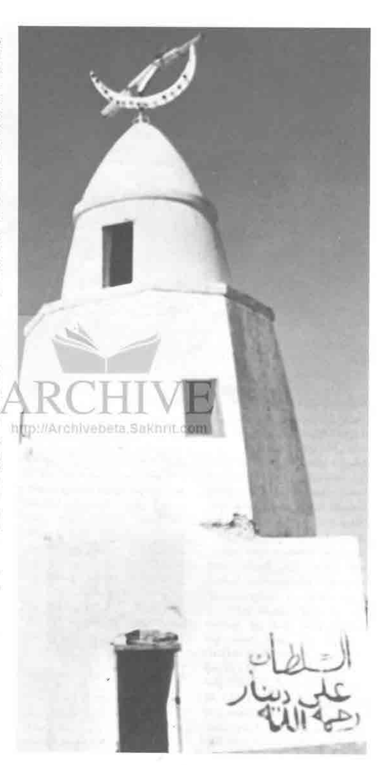


بقلم:
إبراهيم إسحق إبراهيم

دارفور هو واحد من ستة اقاليم تتمتع بالحكم اللامركزي في التنظيم الاداري الجديد بالسودان . وهذا الاقليم الذي تبلغ مساحته حوالى ١٥٠ الف ميلا مربعاً يقع بين خطي العرض ١٠ و ١٦ شمالا وخطي الطول ٢٧و٣٠ شرقاً ، وتحده الصحراء الليبية شمالا وجمهورية تشاد غربا وجمهورية افريقيا الوسطى الى الجنوب الغربي ويجاوره جنوب السودان من الجنوب وكردفان من الجهة الشرقية . المعلم البارز في طبوغرافيا الاقليم هو خطان من السلاسل الجبلية البركانية الأصل يحتلان القطاع الشمالي والأوسط واشهرهما جبل مرة وامتداداته الشمالية . تغلب الأراضي الرملية في كل من الحدود الشرقية والغربية بينما تغطي المنطقة الوسطى أراضي طينية خصبة تتخللها الوديان الموسمية الضخمة .

ممالك في مجاهل القــارة

حينما كانت أوربا منغلقة في قرونها المظلمة كان وعي المسلمين العرب بشكل الأرض ومراميه وما فيه يتزايد باطراد . فلما وضع العلماء المسلمون فكرة «العالم المعمور» الأغريقية في حيز التطبيق جاءت مترادفات كتب «المسالك والممالك» و« البلدان » و« اخبار الأمم » و « غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » لتعرف الدارس العربي المتمدين بهيئة الديار التي تجتاحها باستمرار طلائع الفتوحات وينساح فيها العربان والمهاجرون وتاتي منها قوافل التجار بالنفيس . ولعل أول ما ظهر من اخبار الأقليم الذي عرف مؤخرا باسم دارفور في العربية ما ورد لدى اليعقوبي (ت ٨٩٧م) من اخبار عن وجود مملكة للزغاوة تمتد من شمال دارفور وتبلغ أطراف نهر النيجر غربا . ولا يزيد المسعودي في عصره (ت٩٥٦م) شيئا يذكر على ماقاله اليعقوبي . لكن الشريف الادريسي (ت١١٦٥م) ذكر عاصمتهم مانان ووصف كثرتهم وحملهم التجارة على إبلهم وصناعاتهم ومعايشتهم . وتعتبر اشارة الادريسي الى التاجوين كمملكة تجاور بلاد النوبة غربا أول بادرة لتمكين فكر علماء التاريخ المحدثين بان حكم شعب الداجو بدارفور كان معلوماً في القرن الثاني عشر الميلادي على نطاق المغرب





موقع عين فرح حيث يوجد قصر ضخم قديم وراء الجبل

العربي والمشرق الوسيط . ثم أن المعرفة بالاقليم زادت في عهد ياقوت الحموي (ت١٢٢٩م) والذي لا يكتفي بضبط اسم وموقع بلاد الزغاوة ومدنهم وعاداتهم بل ويستشهد ببيت لأبي العلاء(ت١٠٥٧م) يقول فيه :

بسبع إماء من زغاوة زوجت
من الروم في نعماك سبعة أعبد

ولاننا لا نجد أمة لم يسترق منها خلال الحروب والمناوشات الوحشية التي تزحم التاريخ البشري فان وجود الأرقاء الزغاوة السبع في بلاط الأمير الشامي في القرن الحادي عشر لا يهم إلا كدليل على انفتاح المعابر الاسلامية واتصالاتها بمجاهل افريقيا في بواكير تلك الأزمان . في القرن الثالث عشر يكتب ابن عبد الظاهر (ت١٢٩٢م) عن مملكة في المغارب لها علاقة ببلاد النوبة وتسمى « أري » . ويرجح علماء التاريخ أن هذه المدينة هي « أوري » التي كانت عاصمة أو محطة تجارية لشعب التنجر المتملكين على شمال دارفور . وبهذا تكتمل صورة الحلقات الأربع التي تتقاسم تاريخ الاقليم . فالزغاوة والداجو تعاصرا في الحقبة الأولى وعلى الأرجح ما بين القرنين التاسع والرابع عشر الميلادي . وربما قامت هيمنة التنجر على الجزء الشمالي من تلك المناطق في القرن الحادي عشر . ثم انهم خلفوا على مقعدهم شعب الفور منذ القرن الخامس عشر أو القرن السابع عشر الميلادي .

التجارة مفتاح التعارف

لكن انفتاح دارفور أمام وعي الآخرين بعد القرن الخامس عشر الميلادي لا يقتصر على ادراك العرب لوحدهم . فالتجارة بعيدة المدى كانت قد كشفت عندئذ المنافذ الى داخل القارة الأفريقية عبر الصحراء الكبرى وازدحمت طرق القوافل المتقاطعة بالأحمال النادرة المطلوبة في أوروبا المنتعشة اقتصاديا وصناعيا من دقيق وسن الفيل وريش النعام وقرن الخرتيت والصمغ والجلود والذهب . وهكذا في هذه الأعصر تنجلي حجب الظلمات عن الأحوال بقلب أفريقيا . بقدر ما أثارت معلومات الادريسي وحسن بن محمد الوزان (ت١٥٤٠م) الشهوة الأوربية لمزيد من التفاصيل عن أعماق القارة الافريقية فانها فتحت الآفاق لمزيد من جمع المعلومات عن تلك البقاع حتى دون لجوء للمخاطرة بالذهاب اليها . ومن ذلك ان التقويم الجغرافي الذي نشر في البندقية عام ١٥٨٢م لرجل يدعى لورنزو دانانيا يظهر معلومات جديدة ومثيرة عن دارفور . فالحاكم في أوري والذي يتمتع بمكانة مثلما للامبراطور ، كان يخضع لامره

ملوك صغار منهم القائمون على الزغاوة والميما و المساليت والداجو وجماعات اخرى لم يتم التعرف عليها . ويقول ذلك التقويم الجغرافي الايطالي ان حاكم اوري كانت له سطوة وكان حليفا للاتراك وان التجار من القاهـرة يمدونه بالسلاح الذى يقايضونه بالذهب . ولما كانت أوري واقعة فى نهاية الطريق التجارى الطويل المعروف تاريخيا بدرب الأربعين والممتد بين مصر ودارفور فالعلماء يرجحون انها قد كانت وظيفيا خير سلف فى عصر التنجر لخليفتيها الشهيريين فى عهد الفور وهما السوينة و كوبى .

. ثم يؤكد اتساع علم الاخرين بما يصير اليه الحال فى دارفور فى القرن السادس عشر اكتشاف وثيقة تعاقد تجارية من محاكم القاهرة تؤرخ لما بين ١٥٦٣م و١٥٦٩م فحواها أن التجار الجلابـة يستوردون بضائع من « بر السودان وفزارة وغيره » .

الاشارة الى فزارة تلزم رصدنا هذا بتوضيح حول دخول العرب الى دارفور . ويبقى فى غاية الاهمية هذا الربط الجديد بين «بر السودان» والجماعات العربية . فالملاحظ أن الرحالة الفرنسي « بونسيه » فى القرن السابع عشر يشير الى دارفور باسم « مملكة السودان » . والرحالة الانجليزي « براون » فى القرن الثامن عشر يؤكد أن نهاية درب الأربعين تسمى « بر السودان » وهو اسم لا يطلق على موقع مماثل أو مغاير فى كردفان أو سنار . والوثائق السلطانية بدارفور كما يقول علماء التاريخ اعتادت فى القرن الثامن عشر على اطلاق اسم « مملكة العرب والسودان » على دارفور بدلا من الاستعانة بلفظ اخر . والرحالة العربي محمد بن عمر التونسي الذى زار دارفور عام ١٨٠٣م ومكث فيه ثمانية أعوام يكتب كتابه تشحيذ الأذهان فيشير فى عنوانه لدارفور باسم « بلاد العرب والسودان » .

المعتقد الساري هو أن شعب الداجو يرجع فى أصله الى نوبا كردفان . اما التنجر ففيهم ملامح ليبية ولسانهم عربي وفى أوسامهم وعاداتهم اثار من نوبة شمال السودان . ويبدو أن تاريخ الهجرات العربية غربي النيل وانسياحهم فى بلاد السودان ارتبط بعلاقة المماليك المصريـــة بالعربان المجتمعة فى صعيد مصـــر . فمنذ عام ١٢٩٠م ساءت العلاقات بينهما وادى ذلك الى تجريد المماليك لسلسة من الحملات العنيفة ضدهم وممتلكاتهم مما اضطرهم للجلاء جنوبا ومتابعة اخبار المسارح الواقعة فى أرض السود . ويخبرنا ابن عبد الظاهر وابن الفرات (ت١٤٠٥م) والمقريزى (ت١٤٤٥م) بأن الأعوام من ١٣٤٨ والى ١٣٦٥م شهدت المزيد من هذه الاحتكاكات بين عربان الصعيد وغالبيتها يمانية وبين المماليك .. ونعلم أن هذه الاحتكاكات ساقت هؤلاء الاعراب للتخلى عن سكنى الديار المصريـة واللجوء للانسياح بمحاذاة بلاد النوبة غربا واتباع أودية الساحل الأفريقى الضخمة مثل « وادى الملك » و «وادى المقدم» حتى وصلوا وانتشروا فى المثلث الصحراوى وشبه الصحراوي الواقع بين جبل « العوينات » وجنوبا حتى شمال كردفان ودارفور وبين هضبتي الأندي والتبستي فى شمال تشاد وحدودها مع ليبيــا والنيجر .

وتدل وثيقة قدمها القلقشندى فى صبح الأعشى أن هذه التجمعات اليمانية وغيرها وأظهرها يومئذ جذام كانت من الضخامة والسطوة فى تلك الاصقاع من صحاري تشاد لدرجة انها عاثت فسادا فى شمال سلطنة البرنو وحتى اضطر الماي عثمان بن ادريس لارسال كتاب فى عام ١٣٩٢م للسلطان المملوكي برقوق يطلب منه فيه كبح جماحهم . وبالرجوع الى الوثائق الشحيحة فى تلك المناطق وهاته التواريخ مطعمة بدلائل من التراث الشفاهي نستطيع التعرف على اسماء اهم تلك التجمعات اليمانية وما دخل فيها من البطون القيسية . فهنالك بعض الهلاليين وبني سليم والاشراف وفزارة وجهينة والأزد وحمير ولخم .

انتجع هؤلاء العربان مواقع الكلأ وتتبعوا مظان المياه فدخلوا متوغلين فى شمال كردفان ودارفور وتشاد اللاتي أشبهت لهم مناخ البادية العربية فتفرعوا فيها وتشعبت عمائرهم وبطونهم واضاعوا أسماء كثير من أصولهم وحرفوا بعضها وتمكنوا هنالك . ثم أن التاقلم على البيئة الجديدة فى منطقة السافانا وجنوبها سرعان ما غير مهنة طوائف عدة منهم وحتى غدا أهل الجنوب يسعون بالأبقار فعرفوا باسم «البقارة» . والذين فنيت بهائمهم فى الأمراض والحروب جنحوا للاستقرار فى الحزام الأوسط من كردفان ودارفور وتشاد ومارسوا الزراعة . وخالط الكل أهل السودان من القبائل الأصلية المستوطنة واندرجوا فيهم وكاثروهم وغيروا أنسابهم . وهكذا شهدت الأزمان من القرن الرابع عشر الميلادي وحتى الحاضر استمرار تداخل الأعراق النازلة بتلك المناطق من نوبيين وليبيين وأعراب ومن سواهم واندماجهم المستمر وتشكلهم الدائب اسلاما واستعرابا حتى لم يعد هناك معنى للثنائية التى كانت فى عبارة « العرب والسودان » .

بلاد امير المؤمنين

الأصل العربي والدين الاسلامي الصريحان اعلن عنهما فى دارفور فى عهد السلطان سليمان سولونق (١٦٦٠ـ ١٦٨٠م) . وسولونق فى لغة الفور تعنى العربي أو الأحمر اللون . التراث الشفهي فى دارفور عامة يكاد يجمع على أن والد سليمان هذا ويدعى أحمد المعقور كان اعرابيا من بني هلال . وأن أمه المسماة (خيره) كانت من البيوتات المالكة عند التنجر أو الفور أصحاب الهيمنة يومئذ بتلك المناطق . ويقولون أن لسان غالبية



جامع طـره الذى بناه السلطان موسى بن سليمان فى جبل مرة

سكان جبل مرة غير العربي هو الذى حرف الاسم من (خيره) الى (كيرا) وهى صيغة النسبة التى سادت تاريخياً كلما ذكرت هذه العشيرة الفوراوية المالكة . وهذا الاسم والأصل العربي دفعا السلطان سليمان واخلافه لتشجيع تدفق الأعراب البدو والعرب المهاجرين غير البدو الى بلاده والعمل على نشر الاسلام على طول دارفور وعرضها .

وفى الوقت الذى توطنت فيه الاعراب البدو بشمال دارفور واخذ بعضهم يتسرب الى الجنوب ويربى الأبقار أو تستقر كانت عملية الأسلمة تسير ببطء فى عصر السلطان سليمان ونسله وسط القبائل الوثنية شمالا وفى الوسط والجنوب . إلا أن سليمان استعان لمعالجة ذلك البطء باستجلاب العلماء وتوسيع نطاق المساجد والخلاوى أو كتاتيب القرآن والعلوم الدينية وعلوم العربيـــة .

بين أولى هذه البيوتات التى استجلبها السلطان سليمان وابنه السلطان موسى (١٦٨٠ـ١٦٨٢م) جاءت ثلة متوالية من فقهاء الجوامعة (قبيلة عربية بكردفان) حيث سعوا لنشر الاسلام فى وسط الاقليم من منطقة اراري وازاقرفا شمال الفاشر الى قمة طرة فى جبل مرة . وفى عهد السلطان أحمد بكر (١٦٨٢ـ١٧٢٢م) بن موسي،كانت التجارة عامرة مع كل الاتجاهات الأربعة . وحينما جاء عهد السلطان تيراب (١٧٥٢ـ١٧٨١م) بن أحمد بكر كان الاسلام واضحاً فى التعريب الذى حدث للمناصب الادارية إذ اصبح هنالك وزير وأمير وقاضي بدلا من القاب الرطانة لهذه المناصب . فى هذا العصر المزدهر كثر استجلاب العلماء الى الاقليم ، فجاء من تونس الفقيه عمر التونسي والد الرحالة المذكور انفاً . وجاء من فوتا جالون ومن فوتا تورو فى السنغال الفقيه على الفوتاوى والفقيه تمرو وهما من الفلاتة وذلك فى عهد أحمد بكر . كذلك شارك الفقيه البرناوى طاهر أبو جاموس فى التعليم الديني خلال عهد السلطان عبد الحميد الرشيد (١٧٨٧ ـ ١٨٠٢م) بن احمد بكر . كما ظهر فى البلاط السلطاني بالفاشر فى عهد السلطان محمد الفضل (١٨٠٢ـ١٨٣٩م) بن عبد الرحمن

راية سلاطين دارفور التى ورثها السلطان علي دينار

الرشيد الفقيه الأزهرى حسين العماري . ويظهر التراث الشفهي بالاقليم ان عصر عبد الرحمن الرشيد كان يمثل إعادة طيبة لحملة الأسلمة وتحسينها التى اجتاحت الدولة فى ايام جده سليمان سولونق . وعاصرت هذه الأنشطة قمة التوسع الذى ضم للسلطنة اجزاء من تشاد ، والجزء الأكبر من كردفان ، وحتى وصلت قوات دارفور الى أم درمان وحاددت نهر النيل .

من صلب التكوين الداخلى للسلطنة الفوراوية يجيء لقب سلطان السلاطين أو السلطان الأعظم الممنوح لحاكم دارفور فى خطاباته الرسمية . فالقبائل العربية كانت تحكم بالمشيخات وتدين بالولاء شبه الاسمى للسلطان . أما القبائل المستقرة فقد اختلفت القاب حكامها وتعددت مراتب تبعيتها وتشددت قبضة الحكام عليها .. فهنالك ملوك لدى بعض القبائل ، وسلاطين عند آخرين ، و(شراتي) والقاب غيرها لدى الباقين . هذا الوضع أغرى السلطان الفوراوى بوضع صيغة مناسبة لسطوته على كل هؤلاء الحكام فاطلق عليه كتبته لقب سلطان السلاطين أو السلطان الأعظم . وكانت دارفور مثل سلطنة وداى تعترف بخليفة المسلمين فى الأستانة . ومن هذا الولاء نبعت فكرة الدور الذى يلعبه سلطان الفور كوكيل عن خليفة المسلمين فى أرضه الافريقية . ولهذا تعطيه سجلاته الرسمية لقب أمير المؤمنين (انظر الخطاب في اللوحة) هذا الترادف فى العروبة والاسلام ظل يزداد قوة طوال حكم هذه السلالة بدارفور (١٦٦٠ـ١٨٧٤م) . فلما حلت المهدية عام ١٨٨١م وجدت فى شيوع المذهب المالكي السني بدارفور وانعدام الأثر الصوفي خير سند لها . فالمحاربون والقادة والعارفون من كل قبائل دارفور اشتركوا فى عصائر الدعوة المهدية بهمة ولعبوا دورهم القومي بجدارة . ثم أن الدعوة المهدية اتخذت من دارفور معبراً مناسباً ونشطاً لنقل آرائها الى الغرب فى ديار الهوسا والتكرور .

استوى حظ سلطنتي سنار ودارفور مع حظوظ الديار الاسلامية المعتبرة فى الأهمية الدينية فكان لطلبتهما بالأزهر الشريف رواقان ، واحد للسناريين والآخر للدارفوريين . وكان هنالك محمل سنوي يقوم به أمير للحج من الفاشر عاصمة الفور ليعبر درب الأربعين يصحبه حجيج الاقليم ومن يلم فيهم من بلاد السودان الغربي حتى يصل الى القاهرة . وهنالك ينضم الوفد السوداني للطوف المتزايد من بعثات وحجيج بلاد المغرب العربى فى طريقهم الى الحجاز . بعد ذلك شهد انتعاش موانىء البحر الأحمر فتح الطريق المباشر من بلاد السودان الى سواكن وغيرها فى القرن التاسع عشر . ثم أعقب انهيار الدولة المهدية عودة السلطنة بهياتها القديمة الى دارفور ممثلة فى السلطان على دينار واستمرارها من عام

١٨٩٩ وحتى عام ١٩١٦ حين تم غزو الاقليم بواسطة قوات الحكم الثنائي وضمه نهائياً للمصير القومى الموحد .

وظائف الكتابة

يبذل العلماء وتلامذتهم المعنيون بالشئون الدارفورية حالياً اقصى جهدهم لاثراء المواد المتوفرة فى المصادر الدراسية عن المنطقة بمزيد من البحث عن المخطوطات والتنقيب الأثرى والجمع الشفهي للتراث . فكتب الرحالة الأجانب وملحوظات الاداريين الانجليز والمصريـين التى ورثوها لم تعد تفي بالمطالب العلمية للوعي التاريخي والثقافى بالمنطقة ، وفى السودان عامة . وفى اطار هذا الجهد تعد الآن رسائل جامعية وتجرى ابحاث وتنقيبات قد توسع المدارك قريباً حول الاقليم . ضمن هذه الحركة اشترك كاتب هذا المقال خلال فبراير ١٩٨١ فى رحلة لجمع التراث الاسلامي بدارفور وذلك بجلب مواد لمعرض المخطوطات والجماليات الاسلامية المصاحب لانعقاد المؤتمر العالمي للدعوة الاسلامية بالخرطوم فى مارس ١٩٨١م .

فى نسخة من شرح بهرام الدميرى لكتاب المختصر فى الفقه المالكي لخليل ابن اسحق محفوظة بدار الكتب الوطنية بفرنسا ، يوجد تعليق يدل على أن ناسخها المسمى شعيب يوسف كان يعد تلك النسخة استجابة لطلب أحد سلاطين الفور والذى توفى عام ١٦٤٠/٤١م . وقد اظهرت رحلة جمع التراث لعام ١٩٨١ هذى شيوع مخطوطات ملفتة تضم ذخائر من العلوم الدينية وعلوم العربية بدارفور . ففى قرية أزاقرفا شمال الفاشر عاصمة الاقليم وجدت البعثة « تفسير الجلالين » و «توحيد السنوسية» وكتب اخرى الى جانب المصاحف ، وكلها ترجع فى تاريخ نسخها لاكثر من مائة عام . أما عن المصاحف فلا يكاد يخلو بيت بدارفور من مخطوطة قديمة للقران مزخرفة ومنمقة .

وفى جبل مرة وجدت « تفسير الجلالين » و « الأجرومية فى الاعراب » و «هدية السامعين فى سيرة سيد المرسلين » و «مختصر الأخضري فى العبادات» و «أرجوزة القرطبي» و « متن الجزرية » وهما فى علوم القران . كل هذه نسخت فى القرن التاسع عشر الميلادى ويغلب عليها خط الرقعة .

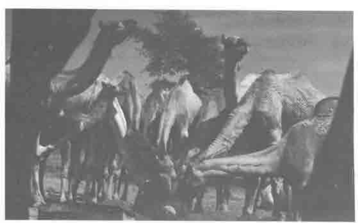
اما فى بلدة «ودعة» جنوب شرق الفاشر فقد وجدت الى جانب المصاحف والراتب للامام محمد احمد المهدى نسخة من كتاب «تبصرة الحكام فى أصول الاقضية ومناهج الأحكام » للقاضي برهان الدين ابراهيم بن على المعروف بابن فرحون اليعمري المالكي .. وهو كتاب مشهور فى موضوعه شهرة « الأحكام السلطانية » للماوردى ويهدف لارشاد القضاة فى اداء واجبهم ، وقد طبع غير محقق بمصر عام ١٩٣٧ كحاشية لفتاوى الشيخ عليش . وهذه النسخة الفوراوية مؤرخة بعام ١٢٧٤هـ . ومن بلدة كريو ـ كتال جاءت مصاحف برواية ورش وبالخط المغربي ترجع للفترة بين ١٧٥٢ ـ ١٨٠٢م . وفى مدينة الجنينة فى الحدود مع تشاد علمت البعثة بوجود نسخة خطية قديمة من كتاب « بيان وجوب الهجرة على العباد » لعثمان بن فودى وهو كتاب لم ينشر محققاً إلا عام ١٩٧٧م حيث صدر من مطبعة جامعة الخرطوم . وفى الفاشر حصلت البعثة على مصحف برواية ورش وبخط مغربي ومزدان بالشرافات وقد نسخ منذ حوالي ١١٥ عاماً .

ومع هذا المصحف كتاب « شرح النهاية فى بدء الخير وغاية » المعروف بمختصر ابى حمزة فى الاحاديث وهذه النسخة مؤرخة بعام ١١٥٤ هـ . ومعهما أيضاً كتاب «شرح الشاطبية المسمى سراج القارىء المبتدىء وتذكرة المقرىء المنتهى» وهو متن وشرح فى التجويد وقد نسخ منذ عام ١٣٤١ هـ . هذه الحصائل من المخطوطات التى جمعت فى اقل من سبعة ايام فى منطقة لا تزيد على ثلث اقليم دافور وبامكانيات جد ضعيفة تقيم الدليل القوى والوافى على الغزارة العددية والنوعية لكتب القرآن والسنة والعقيدة والعبادات وعلوم العربية وما شاكلها ودورها الأساسى فى تسيير حياة الناس فى تلك النواحى .

لقد بقيت من تقاليد التعليم الدينى غير الرسمى فى دافور حتى الحاضر خلاوى القران الكريم العاملة فى كل مرامى المنطقة . والمؤسف أن المساجد التى بناها السلاطين الأوائل باتقان لما يناسب وضعهم الحضاري يومئذ لم تعد تتخذ اغلبها محلا للصلاة الجامعة نسبة لسقوط أسقفها وتهدم بعض جنباتها وهجران القرى والمساكن لمواقع بعضها وهى خسارة لا تقدر بثمن ...

لكن مساجد جديدة تبنى فى دارفور وحركات الدعوة الدينية لاصلاح العقيدة والشريعة تسير فى الاقليم وعبره فى اتجاه مناطق بكره فى قلب القارة الأفريقية. ولعل خير ما يدل على هذا الدور الذى يلعبه الدارفوريون الآن هو مكانة علمائهم فى تاسيس وانعاش حلقات الدرس وبذور حقول جديدة للاسلام فى تشاد والكاميرون وافريقيا الوسطى

ابراهيم اسحق ابراهيم ـ الخرطوم



إبل العرب فى دارفور تشرب من عين المياه .



القادسية

فيلم عربي أثبت وجوده في مهرجانين عالميين

المخرج صلاح أبو سيف أثناء تصوير الفيلم





بقلم : رءوف توفيق

وسط اضخم حملة سينمائية .. قدمت العراق فيلمها «القادسية» .. وشاركت به فى أهم مهرجانين للسينما العالمية خلال الشهور الأخيرة .. (مهرجان كان ـ مايو ١٩٨١ .. ومهرجان موسكو ـ يوليو ١٩٨١)

واستطاعت مؤسسة السينما العراقية .. أن تثبت وجودها فى هذين المحفلين الدوليين ، من خلال نشاط وفدها السينمائي .. ومن خلال حملة دعاية مكثفة وذكية ، قامت على منطق الانتشار والابهار .. فارتفعت اللافتات المضيئة تحمل اسم الفيلم « القادسية » ... وكتبت صفحات كاملة فى أهم مجلات السينما العالمية عن الفيلم .. ووضعت فى مكاتبها داخل أقسام المهرجان ، كميات ضخمة من المطبوعات الفاخرة التى توضح انتاج مؤسسة السينما العراقية وبالذات فيلم «القادسية» .. صور ملونة ونشرات



لقطتان .. الأولى لمشهد بانورامي فى الصحراء .. والثانية لمجموعة الممثلين الذين شاركوا فى الأدوار الرئيسية فى الفيلم

ومعلومات تهم كل ناقد وصحفي .. وأيضا كل موزع يرغب فى شراء الفيلم .. هذا بالاضافة الى كمية متنوعة من الهدايا التذكارية التى تحمل اسم الفيلم .. بخلاف حفلات الاستقبال التي تشهد بالكرم والذوق العربي الأصيل .

وهكذا أصبح فيلم « القادسية » .. هو الابن المرموق للسينما العراقية .

وكيف لا يكون كذلك ، وهو الذى انفق من اجله ، اضخم ميزانية لفيلم عربي .. وجندت من اجله خبرات فنية من مختلف البلاد العربية .. واستغرق الاعداد والتجهيز له اكثر من عامين ، بينهما تسعة شهور استغرقها تصوير الفيلم في مدينة سينمائية اقيمت خصيصا فى الصحراء بالقرب من بغداد .. ووسط درجات حرارة تتفاوت بين حدودها القصوى .. ما بين خمس درجات تحت الصفر فى ليل الشتاء .. وخمسين درجة مئوية تحت لهيب شمس الصيف .

وفى ظل هذا الاهتمام والجهد .. والرعاية والثراء ايضا .. خرج فيلم «القادسية» الى الوجود .

ولكن .. هل جاء فيلم « القادسية » على نفس مستوى الأهمية التى اعطيت له .؟!

موضوع الفيلم

ولنبدا اولا بالتعرف على موضوع الفيلم .

التاريخ السنة الرابعة عشرة هجرية (الموافق سنة ٦٣٦ ميلادية)

فى تلك السنة وقعت معركة القادسية فى خلافة « عمر بن الخطاب » الذى أعلن حالة الاستعداد لمقاتلة الفرس .. واختار « سعد بن أبي وقاص » لقيادة الجيوش الاسلامية .

فى هذه الأثناء يموت « المثنى بن حارثة الشيباني » قائد الجيوش الاسلامية فى عهد خلافة « أبو بكر الصديق » .. وبموت المثنى ، ترملت زوجته «سلمى» وترك حصانه «الشموس» .

ويتقدم سعد بن أبى وقاص للزواج من سلمى .. إكراماً لذكرى القائد العظيم الذى أوصاه قبل وفاته بمقاتلة الفرس

.. وحدد له افضل الطرق لمحاربتهم : « أن يقاتل الفرس على حدود أرضهم .. وعلى أدنى حجر من أرض العرب .. لا أن يقاتلوهم بعقر دارهم .. فان يظهر الله المسلمين ، فلهم ماوراءهم .. وإن كانت الأخرى ، رجعوا الى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم واجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم » .

ويصل سعد بن ابي وقاص الى العراق .. وتتابع إليه الامدادات حتى صار جيشه ثلاثين الفاً .

وينهمك سعد فى تنظيم جيشه وتدريبه .. ونزع الخوف الذى ترسب فى نفوس بعضهم من باس وسؤدد الدولة الفارسية .

قضية سعد هى بث الشجاعة والاقدام .. ودفع الحماس فى قلب جنوده .. ووسيلته هي اقرار الحق والعدل والمساواة بين الجنود والقواد .. فالجميع يأكلون من طعام واحد ويلاقون نفس المعاملة .. ولهذا احبه الجميع واحترموه وانتظموا خلف قيادته .

وهو يلتزم بوصية « المثنى » من أنه لا يدع الفرس يستدرجونه الى أرضهم .. ولهذا وضع جيشه على اهبة الاستعداد حتى ينفد صبر الفرس ، ويقومون بالهجوم الاول ، فيلاقيهم على أرضه هو .. وطال الانتظار .. وكل طرف ينتظر الآخر ..

جيش الفرس بقيادة « رستم » .

وجيش المسلمين بقيادة « سعد »

ولكن يحدث ما لم يكن فى الحسبان .. تهاجم آلام مرض «عرق النسا» القائد سعد وتصيبه بقروح وبثور .. وتقعده عن الحركة .. ويصبح عذابه الأكبر انه لا يستطيع الوقوف او الحركة .. وهو القائد الذى يجب أن يكون بين جنوده – ودائما – فى روح معنوية عالية !

ويرسل سعد وفداً من جنوده الى ملك الفرس (يزدجرد الثالث) يخيره بين الدخول فى الاسلام ، أو دفع الجزية ، أو الحرب ..

ويثور ملك الفرس على هذا الوفد .. ويسخر منه ، ويكاد يفتك به .. ويأمر اتباعه بان يحملوا هذا الوفد مقاطف التراب والرمل على رءوسهم .. فهذا هو رده على رسالة سعد بن أبي وقاص !!

وينزعج قائد جيش الفرس (رستم) مما فعله الملك .. ويؤنبه لا لشيء .. إلا لأنه فال سيء .. فالتراب تراب أرضهم .. ومعنى ذلك انه يفرط فى تراب أرضه !! ويفيق الملك على هذه الحقيقة .. ويجرى وراء الوفد الذى كان قد اختفى عن الأنظار !

وتتوالى الوفود بطلب من رستم .. وتتخذ المناقشات طابع المجادلات الكلامية بين الفرس والعرب المسلمين .. ولا جديد في الأمر .. سوى مرور الايام .. وكل يحاول اقناع الآخر والحط من شأنه

فى هذه الأثناء .. بدأ جيش المسلمين يتململ من طول الانتظار .. فهم على حد تعبير احدهم .. « يأكلون وينامون ولا يفعلون شيئاً » .. فالأيام تمضي وليس هناك ما يشير الى اقتراب لحظة القتال .. بل بدأ الشك ايضاً في قائدهم « سعد بن ابى وقاص » وارتفعت شائعات بينهم تقول إن سعداً لن يقاتل .. فهو رجل مريض .. وأيضاً خائف من مواجهة الفرس ، وتصل الشائعات الى سعد .. فيتحامل على نفسه ويخرج الى جيشه يعلن لهم ان انتظاره له حكمة .. وانه لن يدفع بهم الى حرب فى غير موعدها الذى يحسبه وينتظره ..

وتاتي اللحظة .. عندما يقرر قائد جيش الفرس (رستم) أن يهاجم جيش المسلمين .. فيعبر النهر .. ويخبىء بين صفوف جيشه . المفاجاة المذهلة .. ثمانية عشر فيلا يقودها بعض جنوده المدربين على قتال الأفيال .

ويرصد جيش المسلمين .. تحرك الفرس نحوهم .

ويصعد سعد فوق سور قلعته .. ويكبر ثلاث مرات .. وتكون هذه هي اشارة بدء القتال ..

وبعد مبارزات فردية .. تظهر الفيلة التى تثير الفزع فى قلب المقاتلين المسلمين .. ويحدث الارتباك فى صفوف المقاتلين .. وينتهز العدو هذا الارتباك



الممثلون طعمه التميمي
وعزت العلايلي وشذى سالم



سعاد حسني في لقطة
من فيلم القادسية

فيلحق خسائر جسيمة بجيش المسلمين الذى استمر يقاتل حتى غروب الشمس .. ويتساقط الضحايا من الجانبين ولكن خسائر جيش المسلمين كانت حوالى خمسمائة شهيد .

وعاشت معسكرات جيش المسلمين ، ليلة طويلة وقاسية مابين دفن الشهداء .. وتضميد جراح المصابين .

أما « سعد بن أبى وقاص » فقد كان يعلم أن الحرب ستطول ، وعليه ان يستعد لذلك .. فارسل فى طلب المدد .. وانهمك فى وضع خطط الجولة التالية ، والاطمئنان على الروح المعنوية لجنوده التى ارتفعت الى أقصى حدودها رغبة فى النصر .

وفى صباح اليوم التالى (الذى يسمى يوم أغواث) ظهرت الامدادات القادمة من الشام .. وعلى رأسها هاشم بن عتبة والقعقاع بن عمرو التميمي .

وبدأت المعركة بالمبارزات الفردية .. والتى قدم فيها القعقاع فصلا من فصول البطولة الرائعة حيث هزم منافسه من الفرس وقتله .. وتولى القعقاع تنفيذ مخطط ذكي .. حيث قسم جيشه الى كتائب أحاطت بجيش الفرس .. والبس الأبل براقع سوداء وجلاجل أحدثت ارتباكاً فى صفوف المقاتلين الفرس .. وفعلت ما فعلته الفيلة فى الجيش الاسلامي .. وخرج الشاعر السكير «أبو محجن» من سجنه بمعونة سلمى زوجة سعد ، ليساهم بدوره فى المعركة ، وعلى حصان سعد «البلقاء» !!

وقد كانت مفاجأة مذهلة لسعد وهو فى مكانه راقد من الام ساقيه .. أن يرى فى المعركة سجينه « أبو محجن » على فرسه الخاص يحارب بصلابة ورجولة وبراعة !

ويأتى اليوم الثالث (يوم عماس) والقعقاع لا يزال ينظم الجيش ، وإذ بالفرس يعودون بالفيلة .. ولكن سعداً كان قد اكتشف الأسلوب الذى يحارب به هذه الفيلة .. بأن يضرب السهام الى عيونها ، فتفقد الرؤية وترتبك .. ويطلب سعد من قائديه «القعقاع» و «عاصم بن عمرو» أن يتوليا أمر الأفيال .. وتنجح الخطة .. وتثور الفيلة .. وتقلب المقاتلين من على ظهورها وتدوسهم باقدامها .. وتفر مذعورة داخل صفوف الفرس التى تحدث بينهم الرعب .

وتستمر المعارك طوال الليل .. وهذا شيء غير مألوف فى الحروب وقتها .. ولكن حماس جيش المسلمين كان لا يعرف الفرق بين النهار أو الليل .. فقد لاح النصر وعليهم الا يتوقفوا .. وهكذا امتد القتال طوال الليل (والتى تسمى ليلة الهدير) .. حتى وصل جنود المسلمين الى مقر قيادة جيش الفرس .. وتمكن « هلال بن علفة » من قتل رستم .. وبموت قائد الفرس ، انهارت عزائم الجيش .. وتشتتت صفوفه .. ونال المسلمون علم الفرس .

وهكذا تنتهي معركة القادسية .. بفوز جيش المسلمين بقيادة « سعد بن أبى وقاص » الذى أقام فى القادسية لمدة شهرين .. ثم سار الى المدائن ، حيث قصر الفرس الذى مازال يختبىء فيه الملك وعائلته .. ويحاول أن يتشبث بكرسيه وجواهره .. ولكن مع دخول أول كتيبة من جيش المسلمين الى قصره .. ينهار تماماً ..

ويأتى سعد بن أبي وقاص ليصلى فى ايوان كسرى .. وينتهي الفيلم بين تكبيرات الصـــلاة .

● أهم ما يحسب للفيلم

هذا هو ملخص فيلم القادسية ، الذى اخرجه واحد من أهم مخرجي السينما المصريـة والعربية .. المخرج «صلاح أبو سيـف» .

وما يحسب لهذا الفيلم اولا وقبل كل شيء .. هو اختيار تلك الفترة التاريخية الهامة ، ومحاولة إحيائها بكل مفاهيمها فى الحق والقوة والشجاعة ..

وبمضمونها الجوهري فى وحدة الجيوش الاسلامية لمواجهة الخطر .

والفيلم يؤكد على معنى القيادة الواعية والحكيمة والعادلة .. والتى تنجح فى جمع الصفوف بالحب ، وعدم الاعتراف بالفوارق ، والايمان الكامل بالمساواة .. وأيضا مواجهة الشكوك بقوة المنطق ، وليس بقوة القمع والسلاح (مشهد التشكيك فى نية القائد سعد بن أبي وقاص فى القتال نتيجة الانتظار الطويل) .

ولذلك فالفيلم يقوم على رسالة هامة يود أن يبلغها لنا .. والرسالة عبرة من الماضي .. ودرس للحاضر والمستقبل .

التطويل الشديد

ولكن هناك ملاحظتان حول الفيلم ، الأولى أن الفيلم يقدم هذه الرسالة بتطويل شديد (الفيلم مدته ثلاث ساعات) .. ولو تم اختصار بعض مشاهد المعارك المكررة .. لأحسست أكثر بالتركيز وبقوة الرسالة (ملحوظة .. قام باخراج المعارك .. المخرج الاسباني بينتو رابال) .

والملاحظة الثانية حول وجهة النظر التى يقدم فيها الفيلم صورة أعداء العرب والمسلمين فى شخصية مهزوزة ، جبانه ، تتصرف بطفولة وعصبية مبالغ فيها .

والرمز هنا لا يتفق ابدا مع شراسة المعارك ، واستمرارها طوال ثلاثة ايام وليلة . خاصة وان كل المعلومات التاريخية تقول إن معركة القادسية .. كانت بين جيش الفرس الذى يلغ قوامه مائة وعشرين الف مقاتل مجهزين باحدث الاسلحة وقتها .. بينما جيش المسلمين لا يتجاوز ثلاثين الف مقاتل . اى ان المعركة غير متكافئة عددا وسلاحا .. ومن هنا كان انتصار جيش المسلمين انتصارا لقضية ورسالة .. وهذا الانتصار لم يأت بسهولة ، ودون مئات الشهداء وآلاف الجرحى .

ولا أدرى كيف وقع المخرج « صلاح ابو سيف » فى هذا الخطأ .. وهو المخرج الاستاذ صاحب المدرسة السينمائية المتميزة ، والتى قامت على « الواقعية » .. والواقعية لا تعني المكان سواء أكان حارة شعبية ، أو بيتا متواضعا .. ولكنها تعنى أساسا واقعية التفكير

السيناريو

وقد اشترك المخرج صلاح أبو سيف مع الكاتب محفوظ عبد الرحمن فى كتابة السيناريو .

ومحفوظ عبد الرحمن يخوض بهذا الفيلم التجربة الأولى فى كتابة السيناريو للسينما .. وهو صاحب الرصيد الواضح من الأعمال التليفزيونية التى كتبها وكانت على مستوى رائع .

ومن الواضح تماما .. الجهد المبذول ، والدراسة المتعمقة فى البحث عن تفاصيل الوقائع التاريخية لمعركة القادسية .. ومن الواضح أيضا التزام كاتبي السيناريو بسرد تلك الوقائع كاملة .. ولكن ما افتقدته فى سيناريو الفيلم كما عرض على الشاشة .. هو الجانب الانساني و الظروف الاجتماعية المرتبطة بتلك الفترة .. فالفيلم كما افهم لا يقدم مجرد حركة .. ولكنه يقدم شريحة تاريخية يعيش فيها بشر .. بكل ما في حياتهم من تفاصيل ومعاملات .. وبكل مافي تكوينهم من افكار واحلام .. وكما افهم فالفيلم موجه الى المشاهدين العرب وأيضا الى المشاهدين الأجانب .. ومعنى هذا أن الفيلم يريد أن يعطى للعالم صورة عن التاريخ العربي الاسلامي .. وان يوضح لمن لا يعلم .. من هم العرب .. وكيف يفكرون ؟!

مواقف انسانية

هناك على سبيل المثال ازمة القائد الذى يداهمه مرض يقعده عن الحركة فى أشد الأوقات احتياجا للحركة .. هذه الأزمة كما يشعر بها .. وكما تنعكس على رفاقه .. ولكن ماشاهدناه ان هذا القائد (لعب الدور عزت العلايلي) يتلوى فجأة من الألم .. ثم يصبح غير



سعاد حسني
أمام الخيمة قبل المعركة



ليلى طاهر وكنعان حسني في معسكر الفرس

قادر على الحركة ، دون أن نفهم بالضبط ماالذى أصابه وماهي حدود هذا المرض .. ثم نراه فى نهاية الفيلم يسترد صحته .. ويقف على قدميه

وهناك أيضاً العلاقة بين هذا القائد والمرأة التى تزوجها بعد وفاة زوجها (لعبت الدور شذى سالم) .. انها علاقة غير واضحة !

وما اقصده هنا هو اعطاء بعض التفاصيل من داخل العلاقة .. لغة الحوار .. اسلوب التعامل .. نوع الحب فى تلك الظروف .. باعتبار انها النموذج الوحيد فى الفيلم الذى يجمع بين الزوجين .

وعلى نفس المستوى .. أسرع السيناريو فى تقديم شخصية «الخنساء» الشاعرة (لعبت الدور سعدية الزيدى) والتى فقدت ابناءها الأربعة فى ليلة واحدة .. وكان من الممكن ان تكون نموذجا رائعا ومليئا بالمشاعر للأم العربيـة الانسانـه .

معركة الأفيال

إن بعض التفاصيل الانسانية .. كان من الممكن أن تجعل نسيج الفيلم يشع اكثر بالحياة والنبض والمشاعر ..

لا انكر ان الفيلم حاول ان يقدم هذه التفاصيل فى بعض المشاهد .. ولكن كان كمن يتعجل تقديمها والانتهاء منها ، حتى يفسح المجال والوقت لمشاهد الخيول والسيوف .

ورغم اعتراضي على تكرار مشاهد المعارك .. إلا اننى اتوقف بالاعجاب الشديد لتنفيذ معركة الافيال .. فهي من اجمل مشاهد الفيلم تصويرا وإخراجا ومونتاجا .!

الاخراج

لا شك ان المخرج صلاح ابو سيف قد قدم جهداً عظيماً فى قيادة هذا العدد الكبير من الممثلين الذين اختارهم من مختلف البلاد العربية .

انه هنا لا يتعامل مع وجوه مالوفة لديه .. او سبق التعامل معها .. بل يضع نفسه فى امتحان صعب .. عندما يجد امامه ممثلين من العراق ، وسوريا ، والكويت ، والمغرب ، وتونس ، بالاضافة الى الممثلين المصريين .. وكل منهم له



القائد سعد ابن أبي وقاص
عندما أقعده المرض

أسلوبه الخاص .. ولهجته الخاصة .. ثم يصهر كل هذه الإختلافات في بوتقة واحدة ليخرج منها سبيكة متجانسة .. لا نشاز فيها .. أنه أشبه بقائد الأوركسترا الذى يخرج لنا لحنا عذبا من آلات موسيقية كل منها جاء من بلد .

إن هذا يعنى جهدا خارقا في البروفات .. وصبر استاذ حريص على سمعته وتاريخه .

● الممثلون

لمع فى هذا الحشد من الممثلين .. الفنان عزت العلايلي ، الذى لعب دور القائد سعد بن أبي وقاص ، بتعبيرات وجهه الفنية الطيعة والتى تتراوح بين الصلابة والقوة والحزن .. والتى يعرف كيف يضعها فى خدمة الشخصية التى يتقمصها دون افتعال أو معاناة .. ولذلك نراه فى لحظة كمقاتل عنيد .. وفى لحظة اخرى كشاعر حزين .. ساعده أسلوبه المتميز في الالقاء ، وصوته المحدد النبرات والذى يتذوق الكلمة قبل أن ينطقها !

وقدمت الفنانة العراقية « شذى سالم » دورا بارزا لا تخطئه العين .. ينم عن موهبة أصيلة ووجه سينمائى معبر ، أهم ما يميزه هذه النظرات المحددة .

بينما توارت « سعاد حسني » فى دور ظلمهافيه السيناريو ، بحيث لم تستطع أن تثبت وجودها بما يليق مع خبراتها الطويلة والثرية فى التمثيل .

ولمع الممثل العراقي طعمة التميمي .. والممثل الكويتي محمد المنصور والممثلة المصريــة ليلى طاهــر .

وأشار الفيلم الى موهبة الممثل المغربي حسن الجندى فى دور قائد جيش الفرس .. بالرغم من سيناريو الفيلم الذى ظلم كل شخصيات جانب الفرس فى محاولة تصويرهم بهذا المنظر الكاريكاتيري الساخر .

● الفنيــون

وكما نجح صلاح ابو سيف فى قيادة هذا الحشد الضخم من الممثلين من مختلف البلاد العربية .. نجح أيضا فى اختباراته لمن يقومون بالعمل خلف الكاميرا .

فى التصوير .. جمع بين المصور الفنان العراقي عبد اللطيف صالح .. و الفنان المصــري مصطفى امام .. واستطاع تعاون الاثنين ان يخلق عملا متميزا خصوصا في مشاهد المعارك (وبالذات معركة الأفيال) ومشاهد ساحة المعركة ليلا والتى تشهد بقدرة السيطرة على الاضاءة وتوظيفها دراميا .

وقدم الفنان (أنسي أبو سيف) استعراضا رائعا للملابس والاكسسوارات المرتبطة بتلك الفترة .. وبقدر تعمده البساطة والوضوح والخطوط المستقيمة وتوازن الألوان فى تصميمات ملابس جيش المسلمين .. تعمد أن يوضح البهرجة والابهار فى ملابس قادة الفرس والتى تدل على الثراء والترف والاسترخاء .

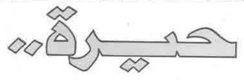
أما الديكور فقد صممه ونفذه الدكتور مختار عبد الجواد .. ورغم الجهد الشاق فى بناء ديكورات مدينة كاملة فى الصحراء .. إلا أن اهم ما كان يعيبها انها توحي بأن عمال الطلاء رفعوا أيديهم عنها قبل التصوير بدقائق .. فكل شيء طازج ونظيف ولامع ، ولم يدخله بشر من قبل (خصوصا ديوان إيوان كسرى) !

ولعب الماكياج (عبد الوهاب قطب وابراهيم عبد الفتاح) دورا رئيسيا وهاما فى الفيلم .

إن كل واحد من هؤلاء .. كان يساعده عشرات الفنيين والعمال ..

ولو تصورنا حجم العمل قبل البدء في التصوير .. والاستعدادات المطلوبة .. ثم ما يستجد منها أثناء التصوير .. ومرحلة تشطيب الفيلم .. لأدركنا مدى ضخامة هذا المشروع الفني ، وحجم الانفاق عليه .. ومدى مسئولية المخرج صلاح أبو سيف فى السيطرة على كل هذه التفاصيل !

رءوف توفيق



حيرة..



شعر: محمد الفهد العيسى

يؤرّقُني الشّـكُّ منـكِ ..
ويغتـال فى أضلعي .. انْثِيَالَ القصيدْ
ويحتـار حَرْفِـيَ بـين الدّروب ..
أىّ طريـق يـؤدّى إليـكِ ..؟!
أىّ غُيَيْمَة حُبٍّ ..
تناثرُ شوقـاً .. عليـكِ

● ●

هويـتُ .. أتيـتُ !!
بلغـت السُّهـى .. والسُّهى فى يَـدَيَّ
احتضنت النُّجيْمـاتِ مـن حَوْلِهـا ..
همستُ بوابـلِ (حبّي) وشِعـري
وعلّقْتُـه كما ـ جاهلـيٌّ ـ
ونامـتْ ..
وقلتُ إليـكِ انتهيـتُ ..

● ●

يلفحنـي الشّـكُّ منـكِ ..
كحلـمِ حَصَـادٍ قتـادٍ
وتجفل فى مرتعـى شَرْنَقَـاتُ القصائدْ
وبعـد غـدٍ
بعد عـامٍ
تكونُ ـ شرائـدْ ـ

● ●

يعذّبني الشكُّ منـكِ .
وخوفـاً عليـكِ
وحبُّـكِ غابـاتُ نَخْلٍ بصدري
وتُروى بحـُزني .
ومن نهرٍ .. « لا .. لستُ أدري »
ونبـعُ تدفّقُـه من يديـكِ

● ●

دونَـكِ اسمـي :
مُذْ وُلدتُ ..
الى مِذْوَدِ الحـُزنِ .. وفيه .. ومنـه ..
رضَعْـتُ ... رُبيـتُ ..



قضيـــة..
نقـــل التكـــنولوجيا

التكنولوجيا ، أو التقنولوجيا ، أو التقنية كما كان يحلو لاستاذنا الدكتور احمد زكي ، يرحمه الله ، أن يسميها ، اشتقاقاً فيما اعتقد ، من كلمة (تقن) بفتح التاء وتسكين القاف ، وهو الرجل (الحاذق الماهر) هي : فن تطبيق العلم : بمعنى ... الحذق والمهارة ، فى استخدام ما يتوصل اليه العلم من معرفة نظرية ، فى صفات المادة فزيائياً وكيمائياً ، لصناعة وانتاج احتياجات حضارية يواصل بها الانسان مسيرته الحياتية فى مراحل تاريخه على الأرض ... فعلى سبيل المثال ...

اكتشف الانسان ان خليطاً من الفحم والكبريت وملح البارود ، إذا احترق فى حيز محدود فانه ينفجر ، ويسمى بذلك (البارود) فذلك علم ، والتوصل الى النسب الصحيحة للخليط من المواد الثلاثة لصناعة بارود يمكنه توصيل قذيفة الى مكان بعيد او نسف جبل للحصول على حجارة نافعة منه أو لشق نفق أو طريق فيه ، هو (تكنولوجيا) ...

وإذا اكتشف العلم ان جسماً ينطلق من سطح الأرض الى الفضاء بسرعة تزيد قليلاً عن احد عشر ميلا فى الثانية الواحدة يمكنه ان يخرج من نطاق الجاذبية الأرضية وينفلت منها الى الفضاء الخارجى ، فان التكنولوجيا ، هي التوصل (بفن وحذق ومهارة) الى كيفية تحقيق ذلك الاكتشاف (النظرى) عملياً ، وصناعة صواريخ تحمل قنابل او اقمارا صناعية الى الفضاء ... وهكذا فان التكنولوجيا هى قدرة ممتازة ، وفن صناعة ، فى كيفية الاستفادة مما يكتشفه العلم من خواص المادة ... او هي تطبيقات عملية للمعرفة النظرية الاكاديمية ، وهما متلازمتان لا يمكن لاحداهما ان تنشا فى واد بعيد عن الوادى الذى تنشا فيه الاخرى ، فالتكنولوجيا التطبيقية للعلم البحت ، كوجهى قطعة من العملة لا يمكن ان تكون تلك العملة نافذة المفعول مؤدية الغرض بوجه واحد فى المكان الواحد ...

ومن مسيرة العلم خلال القرون منذ العصور الحجرية الى يومنا هذا ، وجد العلماء ان اى تفاعل كيماوي ، على سبيل المثال ، لا يمكن ان يؤتي اكله ، بان نتوصل به لصناعة مادة ما ، إلا بعد ان تتوفر له شروط ثابتة لا مجال فيها للارتجال او التحايل او المماطلة او الخداع ، من حيث درجة الحرارة ، ومقدار الضغط الواقع على المواد المتفاعلة ، وقدر تركيز المواد الأولية ونسب اوزانها لبعضها البعض ، وتركيز أيون الايدروجين ، وطول موجات الضوء المؤثرة فى التفاعل ، ونوع الاناء الذى يجرى فيه التفاعل ، وأى إخلال مهما كان يسيرا او ضئيلا ، فى احد تلك الشروط ، سوف يؤدى بالتاكيد الى فشل محقق فى تلك الصناعة ... وكل عمل حضاري ، فى اى عصر من عصور التاريخ ، لكي يتسنى لجماعة من الناس ، في اي صقع من الارض ، ان تنجزه لابد وان تتوفر له شروط ، كثيرة ، كشروط اى تفاعل كيماوى او فزيائي ، وتلك سنة من سنن الله تعالى فى خلقه لا تبديل لها ، حتى يرث سبحانه الارض ومن وما عليها ... ولن يستطيع احد من البشر ، بثورة او مجرد مال وفير او قرار سياسي ارتجالي ، او رغبة فردية ، او نزعة حزبية ، ان يوجد تحويلا لتلك السنة الكونية ، مهما علا صوته ، أو كبرت شعاراته ... فلكي ننقل (التكنولوجيا) للعالم الثالث لابد وأن يكون فيه قاعدة علمية ، ولكي تكون لدى العالم الثالث قاعدة علمية ، لابد من شروط ، وأى ثغرة فى تلك الشروط بعضها او كلها ، سوف لا تكون محمودة العواقب ، وسوف تكون مجلبة للمتاعب والمصاعب والتعقيدات ، بدل الفوائد المرجوة والمرتقبة ... ولعل اهم الشروط ، التى ينبغي توافرها لدى اقطار العالم الثالث المتطلعة الى (نقل التكنولوجيا):

● ان تتطور فيها اساليب التعليم ، فى كل مراحلها ، دون مساس بقيمها وتراثها السليم ، بحيث تستطيع تربية (العلماء) وبالتالي (التقنيين) بطريقة صحيحة تتدارك الموضوعيات من أخطار الشكليات والرخص والجوازات ، وتفصل تماما وبحزم فى قضية (ارتباط) الحصول على الرزق مع البحث العلمي ، وتجعل التقييم العلمي مبنياً على (الكيف) لا على (الكم) وتوفر للعلماء والتقنيين ، الذين يثبتون على مستوى

بقـــلم :
درويـش مصطفى الفـــار

عالمي واضح المعالم ، قدرات صادقة فى مجالات اختصاصاتهم ، سبيل الرزق ، دون أن تحوجهم الى التحايل والالتفاف والوصولية ، ليعيشوا معيشة توفر لهم الانطلاق بلا هموم معوقة ، نحو الاستزادة من العلم والمعرفة والانتاج العلمي (الكيفي) السليم ، وهذا ما يسمى بايجاد (المناخ العلمي) ...

● أن يكون قريبا من سدة الحكم ، فى كل دولة من دول العالم الثالث ترغب صادقة فى (نقل التكنولوجيا) ، جماعة من (افاضل) العلماء المشهود لهم (عالميا) بالمستوى الرفيع ، للرجوع الى فتواهم فى كل أمر علمي وتكنولوجي ، وأن تؤخذ نصائحهم وآراؤهم المجردة عن الهوى ، ماخذ الجد ، وتمنح قوة القانون ، وتكون لهذه المجموعة التوجيهات المسموعة فى مجالات التعليم ، والصناعة والبحث العلمي ، ونشر الثقافة العلمية ...

● أن تكون هناك قناعة وعقلانية ، بانه ليس شرطا أن يصنع كل قطر فى العالم كل شيء من مثل شعار (من الابرة الى الصاروخ) وأن لكل شعب قدرات معينة ، يمكن أن يبرز فيها ويمتاز ويفيد الاسرة البشرية كلها ، وأن اخطر ما تعانيه الأسرة الانسانية اليوم ناجم بالدرجة الأولى عن تحول (القدرات التكنولوجية) الى سعار ونهم ، اقتضتهما ظروف جعلت (السياسيين) يدفعون بعجلة الصناعة فى بلادهم دفعا أدى الى (انتاج اكثر للتصدير) يواكبه عمل خفي وتخطيط شيطاني يمنع الآخرين من ولوج مضمار (الانتاج) لتظل أسواقهم مفتوحة الى يوم القيامة ، لما تنتجه مصانع تلك الأقطار (للتصدير) مهما كان ذلك الانتاج ، غثا أو سمينا ...

● إعادة النظر بجدية وبصيرة ، فى اهميات منتجات (التكنولوجيا) المعاصرة ، من حيث حقيقة فوائدها ، وموقفها من نضوب الموارد الطبيعية من معادن وتربة زراعية وماء وحيوانات ومزروعات ومن تلويث البيئة جوا وبرا وبحرا ، والدعوة الملحة الجادة على كل المستويات الاجتماعية والسياسية ، للاتفاق عالميا على نبذ ورفض وايقاف موضوعـــات تكنولوجية بعينهـــا والاستزادة من موضوعات أخرى بعينها واعطاء اولويات لأبحاث وتكنولوجيات فى امور كتحلية مياه البحار ، أو استنقاذ اراض قاحلة أو صحراوية لزراعتها واعمارها ...

●عدم الانطلاق من مبدأ القناعة ، لدى أهل العالم الثالث ، بان كل ما صنعته وتصنعه الدول الصناعيـــة التكنولوجية ، هو (غاية المراد من رب العباد) بل تكون لتلك الدول النامية فلسفة خاصة واضحة مؤداها استعمال العقل لا مجرد التقليد والنقل ....

الدوحة

في العـــدد القـــادم والأعـــداد التـــاليـــة

- محمد الفهد العيسى
- شفيق الكمالي
- نعمان عاشور
- محمود شيت خطاب
- عبد الرزاق البصير
- يوسف الشاروني
- م . بجراي
- محمد العزب موسى
- سهيل الخالدي
- د . الطاهر أحمد مكي
- د . عبد العزيز جادو
- سمير فريد
- عبد الوهاب داود
- أحمد عامر
- أحمد شفيق أبو عوف
- جمال الغيطاني



بقلم : عباس خضر

قبل ان اوجد . وقبل أن أعرف باسمي «اللآلىء فى البحر الزاخر» ـ كنت أفكاراً سابحة فى ذهن مؤلفي ، طالما جلت فى خاطره ، وطالما أرقته افكاري .. مسكين مؤلفي ! تعب كثيراً فى لم أشتاتي وتبويب أبوابي .. لم يكن يحفزه على ذلك كسب مادي أدره عليه كما تفعل المشاريع ، مع أن هذه ربما لا تاخذ من أصحابها جهدا كالذى يبذله المؤلفون ، وأي مشروع غير الكتب يسهر فيه صاحبه الليالي ويعتصر فيه افكاره ويسجلها على الورق ! .

ومما كابده مؤلفي المسكين أن راح يبحث عن ناشر ينشرني .. ثم تمخض البحث والأخذ والرد عن مبلغ تافه من المال دفع اليه حقا للنشر ، بعد أن ازدرد كل ما قاله الناشر من أن «الحال واقف» والكتاب يتكلف ورقاً وطباعة وتدبيساً وتغليفاً ، وما يقتضى ذلك من مواد غالية وعمال مرتفعي الأجور ، وأضاف هو فى نفسه : ومؤلف رخيص الثمن إن كان له ثمن !

ولم يهنأ بذلك المبلغ ، إذ لاحقته «الضرائب» واخذت بتلابيبه بيد من «حرير» هي يد فتاة « مامورة الضرائب » .

نهاية الأمر .. بعثت انا برغم ذلك كتاباً سوياً ، فرح بي المؤلف كل الفرح ، صار له كتاب مطبوع غلافه محلى بصورة يرجى أن تجذب القارىء ، ووضع اسمه عليه ، ما احلاه ، .. بل ما أعظمه !

اشترى من السوق نسخاً تضاف الى النسخ التى يجود بها الناشر ، كي تكون هدايا ، كانه كان يعمل فى بلد نفطي وعاد .

النجار ـ مثلا ـ يصنع ما يصنع ، ولا يهدى الى احد دولاباً ولا كرسياً ولا حتى « طبلية » مطبخ ، اما المؤلف فهم

يقولون له فى الظاهر : ايها المؤلف العظيم .. وفى الباطن : هات الكتاب ، فنحن لا ندفع مالا فى كتب !

ثم كانت نهاية المطاف أن أوضع على الرف ..

لم يقرأني صاحبى الذى أنا فى بيته ولا غيره ، لم يهتم احد بان أكون صديقه وخير جليس له ، كما قيل قديما : الكتاب خير جليس واخلص صديق ، وكم تحتوى دفتاي على كثير من هذه الأقوال ، ولكنه كلام يقال ويقرا ولا يعمل به ، ولهذا يعرضون عنى ولا يأبهون بي .

الاهتمام كله موجه الى ذلك القابع المرابط فى ركن الردهة .. المسمى «تليفزيون» ، الكبير والصغير ، والرجل والمراة ـ كلهم يتجهون اليه حينما يعمل : حينما يدار فتعكس شاشته الصور والمناظر ، ويتحدث به المتحدثون . فى احيان قليلة يتحدثون فى ندوة من ندواته حديثا خاطفا عن كتاب ، ولكن من يقرأ ومن يسمع ، كما يقولون ..

على غلافي صورة جميلة ، قد تجتذب بعض الأنظار ، فتمتد الي اليد وأنا قابع على الرف ، فاقول فى نفسي : جاءك الفرج ، فهذا زبون فتح الله عليه فجاء يفتحنى ، ولكنه لا يفعل اكثر من النظر الشذر فى بعض صفحاتي ثم يطويني ويضعنى كما كنت ، وأحيانا يكون ذلك عندما يريد احدهم ان يتسلى باى شيء قبل إعداد المائدة .. ولتكرر هذا صرت لا أعبا بهؤلاء ، وأكاد أقول لهم : دعوني !

● ●

بجواري زميل مجلد تجليدا فاخرا آل إلى صاحبنا بالميراث ، من مكتبة والده المرحوم ، تحدث الى مرة هذا الزميل قال:

كان صاحبي الأول يقتني الكتب بعد تجليدها وكتابة اسمه على كعوبها بماء الذهب ، ويعرضها فى اناقة ، بحيث تكون كعوبها هي الظاهرة البارزة ، كي تراها العيون أول ما ترى .. وكان ذلك الصاحب يقرأ أحيانا ليتسلى ، فلم يكن هناك تليفزيون ، ولهذا كان يبدو على مستوى ثقافي لا باس به ، كان يعرف من الاطلاع علينا ما لا يعرف الآن هذا الجيل ثم صرنا وصاروا الى هذا الحال كما ترى لا احد يريد ان يتثقف بقراءتنا ، ولا نحن نتحرك من مواضعنا ، إلا عند التنفيض .

ثم يتنفس ذلك الزميل القديم ويقول : هيه .. رحم الله أيام زمان !

القوم جميعا يجلسون الى التليفزيون الرجال والنساء والأولاد ، ضيوفا او أصحاب منزل . والنساء يثرثرن بالرغم من انهن يسمعن ويشاهدن .. والغريب انهن يَعِينَ هذا وذاك .. كما تعي الواحدة منهن كلام اثنتين او اكثر يتكلمن معا ! وكثيرا ما يعلقن على ثياب الممثلات و «موداتها» و «الباروكات» وانواعها وأثمانها ..

● ●

قد تمتد الأيدي الى الرف حيث نرقد ، وتنظر العين الى العنوان وبعض الصفحات ، ولكن سرعان ما يعاد الواحد منا الى مكانه ، ماعدا ولدا واحدا طالبا فى الجامعة ، هو ابن اخت صاحب الشقة ، ولكنه بخلاف خاله يحب القراءة ، عندما ياتي الى هنا تكون عينه دائما متجهة الى الرف حيث نرقد ، وكثيرا ما اخذني بين يديه وانشغل بقراءتي عن كل شيء ، قال مرة لصاحبنا :

ـ ياخالي ، أنا أبغى هذا الكتاب .

وكنت فى يده ، ولكن الخال رد عليه قائلا :

ـ اقرا هنا ماشئت ، ولا تاخذ شيئا معك .

ـ أعيده بعد اسبوع واحد ..

ـ لا ، كما قلت لك . إنني احتفظ به لانه مهدى الي بخط المؤلف . وإذا انت اخذته فلن تعيده .. كما حدث في كتب اخرى ..

صاحبي هذا صحفي محرر فى إحدى الصحف اليومية . وقد حرص المؤلف على اهدائي اليه ليكتب عني كلمة .. وبما ان هذا الصحفي ـ مثل كثير غيره من الصحفيين ـ ليس عنده وقت لقراءة الكتب ، بل يكتفى بتصفح الجرائد والمجلات ، كما ينشغل بالكتابة عن القراءة .. فقد نظر الى فهرسي، وجشم نفسه قراءة المقدمة ، ثم كتب عني كلمة فى ركن الثقافة ، مستمدا ما كتبه من المقدمة والفهرس !

● ●

الولد الطالب بالجامعة « سوسة القراءة » شغف بي حبا ولا فخر .. كان ينظر الي من طرف خفي ، أعرف هذه النظرة : خائنة الأعين .. فى محتوياتي كلام عنها وعن مثيلاتها ، اكتسبت معرفة من هذه المحتويات .

ـ يريد أن ياخذني ، ويتردد : اتكون هذه سرقة ؟ اما انا شخصيا فلا مانع عندى ، بل إني ارحب ، وهو يقول في نفسه : إن خالي لا يقرا فى هذا الكتاب وانا اريد أن اقراه ، فانا احق به ، اليس هذا مبررا..؟ .

وبرغم ضيقي بهذا السجن ، وارتياحي الى أن ينقذني منه ، وجدت نفسي فجأة أصيح بصوت مبحوح : لا ...

فزع الزميل المجاور لي قائلا :

ـ ماذا ؟ مالك ياكتاب « اللآلىء فى البحر الزاخر » ؟ لم ارد عليه ، وقلت فى نفسي وقد هدات :

ـ وانا مالي !

تابع جاري الزميل على الرف :

ـ مالك ؟ ليس بعضك على بعض ..

أجبت مع شيء من التحفظ :

ـ ان شيئا سيقع ..

ـ خير ان شاء الله ؟

ـ خير .. نعم خير ، إفراج ..

ـ إفراج ؟ لا افهم .

ـ لا يهم ، ربما فهمت .

انتهز الشاب فرصة انهماك الجميع فى مشاهدة ماجذبهم فى التليفزيون ،والظلام الذى تبدد الشاشة بعضه ، ودلف الى ناحيتي على بصيص الشاشة وفى لمح البصر خطفني ودسني فى حقيبة صغيرة معه ..

وافرحتاه .. عما قليل ساشم الهواء الطلق .. ساكون بحق : كتاب اللآلىء فى البحر الزاخر ..

عباس خضر

لمـاذا يكـذبـون عـلـى تـاريخ الأدب ؟!

هل تكلم طه حسين هكذا لآخر مرّة ؟!

بقلم الدكتور: محمد الدسـوقي

طه حسين هل هو صاحب كل الكلمات والأفكار التي جاءت في هذا الحديث .

نشرت مجلة «الثقافة العربية» في العدد التاسع من السنة الاولى حديثا مع عميد الأدب العربي تحت عنوان «هكذا تكلم طه حسين لآخر مرة» ، وقد اجرى هذا الحديث الأستاذ غالي شكري ، وذكر في مستهله انه جلس مع العميد نحو أربعين ساعة وتردد على «رامتان» يوميا لمدة ثلاثة اسابيع ، ودار الحديث بوجه عام حول نقطتين هما : قضية التراث والمعاصرة ، وقضية الديمقراطية .

وبعد نشر هذا الحديث فى تلك المجلة طلب منى أمين تحريرها وكان فى ذلك الوقت الأستاذ صالح أبو اصبع أن أعقب على ما نسبه الاستاذ غالى الى العميد ؛ لأن هيئة تحرير المجلة يساورها الشك فى صحة كل ما اشتمل عليه هذا الحديث من آراء وأقوال ، وأنها جميعها صدرت عن الدكتور طـه حسين .

وكتبت تعقيباً موجزاً أومأت فيه الى بعض الحقائق التى أعرفها عن طـه حسين ، والتى تؤكد أن هذا الحديث ليس كله صحيحاً ، وبعثت إدارة المجلة بهذا التعقيب الى المطبعة ، بيد أن يداً مجهولة امتدت اليه فمزقته أو أحرقته ، ومن ثم لم ينشر .

وشغلت بعد ذلك عن الكتابة حول هذا الحديث ، وبيان قيمته العلمية والتاريخية ، وكنت أطمع فى أن أفرغ لكتابة تعقيب أكثر تفصيلا ، وأن أنشره كملحق لكتابى « أيام مع طـه حسين » غير أن هذا الكتاب طبع دون أن يشتمل على تعقيب أو رد .

ولما وجدت أن بعض الذين كتبوا عن طـه حسين اتخذوا من هذا الحديث مصدراً يعولون عليه فى استنباط الآراء ، واصدار الأحكام كما فعل الدكتور عبد المجيد المحتسب فى كتابه « طـه حسين مفكراً » والذى أرجو أن أكتب حوله دراسة تكشف عن مدى التجنى ومجافاة الموضوعية ، وتلمس الشبهات وكأنها أمام المؤلف هدف أساسى يسعى اليه ويحرص عليه عزمت على كتابة رد على هذا الحديث كي لا يتخذ وثيقة أدبية عن طـه حسين فى آخـر أعوامه .

ويجدر قبل التعرض لمضمون ما نشره الأستاذ غالى أن أذكر طرفاً مما لا يعرفه الناس عن حياة عميد الأدب العربى فى العقد الأخير من عمره ؛ لأن لهذا علاقة وثيقة بتوضيح الحقيقة التى لا تعرف الافراط أو التفريط .

كان طـه حسين فى العقد الأخير من عمره ـ وقد عرفته فيه نحو تسع سنوات قارئاً وسكرتيراً فى بعض الأحيان ـ يعيش حياة صحية مضطربة ومع هذا كان يعكف على القراءة ، وكان يطمع فى أن يمد الله فى أجله ، ويتم عليه نعمة العافية ؛ ليكمل الأيام .. والفتنة الكبرى .. ولكن لكل أجل كتاب .

وكان الرجل فى حياته فى هذا العقد يسير وفقاً لنظام ثابت لا يحيد عنه إلا لضرورة ، فهو يستيقظ من نومه غالباً فى نحو السابعة صباحاً ، وحتى العاشرة والنصف يتناول طعام الافطار ويغير ثيابه ، ثم تبدأ فى نحو الحادية عشرة فترة القراءة الأولى باللغة العربية ، وكانت هذه الفترة تمتد الى الواحدة والنصف ظهراً ، ويقرأ فيها الصحف القاهريـة اليومية وبعض المجلات الأسبوعية ، وما يتيسر من بعض الكتب إذا سمح الوقت بذلك .

وفى هذه الفترة الصباحية ما كان يستقبل زائراً اللهم إلا من كانت تربطهم به رابطة خاصة ، ويزورونه دون تحديد موعد معه ، ويلقاهم ولو كان نائماً فى فراشه ، ومن هؤلاء الدكتور محمد كامل حسين جراح العظام الشهير ، وعضو المجمع اللغوى ، وصاحب « قرية ظالمه » رحمه اللـــه .

ومن الواحدة والنصف وحتى الثالثة يتناول طعام الغذاء ، ويغفو قليلا أو يستريح ، ثم تبدأ من الثالثة وحتى الخامسة فترة القراءة الأولى باللغة الفرنسية . وما كانت زوجته تقرأ له فى هذه الفترة ، وإنما كانت تقوم بالقراءة سيدة مصرية تجيد الفرنسية .

وفيما بين الخامسة والسادسة يأوى الى فراشه نحو نصف ساعة ، ويحتسى قدحاً من القهوة المعدة على الطريقة الفرنسية ، وتبدأ من السادسة مساء الفترة الثانية للقراءة بالعربية ، وتمتد الى الثامنة والنصف ، وكان يقرأ فى هذه الفترة أمهات الكتب العربية القديمة كالكامل للمبـرد الذى قرأته معه أكثر من مرة ، وعيون الأخبار لابن قتيبـة ، والحيوان للجاحظ .. الخ ، وبعض المؤلفات المعاصرة .

وفى هذه الفترة المسائية كان العميد يستقبل زواره وأصدقاءه ، غير أنه ما كان يهش للزائر الذى يطيل المكث ، وكان يلوذ بالصمت لا يتكلم إلا لماما علامة على نفوره وضيقه بهذا الضيف الثقيل الذى أسرف فى الجلوس ، وأضاع الوقت على حد قول العميد ، ومع هذا كان إذا هَمَّ الزائر بالخروج شد العميد على يديه قائلا : أرجو أن أراك كثيراً !

ويتناول طعام العشاء فى نحو التاسعة مساء ، وتقرأ له زوجته بعد ذلك نحو ساعة ،باللغة الفرنسية ، فما كانت تعرف العربية قراءة أو كتابة ، وكل ما تعرفه منها بعض الكلمات الدارجة تنطقها فى لكنة أعجمية ، وتستخدمها مع الذين يعملون في البيت كالطباخ وسائق السيـارة .

وفى نحو الحادية عشرة يأوى العميد الى فراشه للنوم . وكان إذا تأخر أو لم يحضر من يقرأ له فى الفترة الصباحية أو المسائية يستمع الى إذاعة القرآن الكريم ، وكان يروقه فى الترتيل الشيخ الحصري .

وكان إذا رغب أحد الصحفيين أو الكتاب ، أو المذيعين فى لقاء العميد لمعرفة رأيه فى قضية من القضايا ، وأذن له بذلك فانه ماكان يتيح له فرصة الحضور الى «رامتان» أكثر من مرتين فى الأسبوع مهما يكن موضوع القضية أو صلة هذا الكاتب أو الصحفي بالعميد ، على ألا يتجاوز كل لقاء نحو ساعة ، وكان هذا قبل عام ١٩٧٠ ، فقد كان العميد قبل هذا العام على الرغم من ضعف صحته يتمتع بقوة ذاكرته ، ولكنه قبل وفاته بنحو ثلاثة أعوام كان ينسى بصورة غريبة ، فقد يزوره من يعرفه معرفة حميمه وبعد خروجه مباشرة يسألني من كان هنا ؟ وكان هذا النسيان يسبب لي أحياناً مواقف حرجة كان يأتيه زائر فى المساء فيسأله : هل قرأت اليوم فى الصحف خبر كذا وكذا ، فيجيب العميد : إن الدسوقي لم يقرأ لي هذا الخبر ، فاذا حاولت أن أذكره بأننا قرأنا هذا الخبر ، أصر على موقفه وأحياناً يقسم باللــه بأننا لم نقرأه ، فلا أجد بدا من الصمت .

وازدادت صحة العميد فى العام

هل تكلم طه حسين هكذا لآخر مرة ؟!

الأخير من عمره سوءا كما ازدادت ذاكرته ضعفاً . وجاء فى رسالة تلقيتها من أستاذى الدكتور ابراهيم مدكور الذى خلف العميد فى رئاسة المجمع اللغوى بعد إعارتي للعمل بجامعة الفاتح : « يقاسي الأستاذ العميد آلام الشيخوخة فى صبر وجلد ، ويقاومها ما استطاع ، ويتيح لنا فرصة لقائه من حين لآخر ، وفى حديث له لمست تقديره للمدة التى قضيتها بجانبه ، ومعه الآن مرافق مسيحي أرجو أن يستقر به المقام حتى لا يضطر الشيخ المريض الى التغيير والتبديل .. » .

وهذا يؤكد ما أومأت اليه آنفاً من ضعف صحة العميد وضعف ذاكرته ، وانه فى آخر اعوامه لم يكن يتيح لأقرب الناس اليه فرصة لقائه إلا حيناً بعد حين .

وفضلا عن كل ما اسلفته كانت زوجة العميد تتدخل فى لقائه مع الكتاب والصحفيين ، لكي لا يطول اللقاء ، وذلك خوفاً عليه من الارهاق والاغماء ، وكانت تنبه علي بالا نستخدم اجهزة التسجيل فى اى لقاء ، حتى لا يسجل بصوت زوجها ما قد يسيء إليه ، بسبب نسيانه وضعف ذاكرته .

على أن حالة النسيان التى ألمت بالعميد فى أعوامه الأخيرة لا تعنى أبداً أن الرجل قد اختلط عقله ، أو انه كان يلبس فى آرائه وأفكاره ، وكل ما تدل عليه ان ذاكرته قد اصابها الوهن ، ولم تعد كما كانت لا تخرم حرفاً مما وعته ، والذى يثير الدهشة اني كنت إذا قرأت له خبراً فى كتاب قديم ، أو مطلع قصيدة لشاعر عباسي مثلا فانه كان يعلق على الخبر ، أو يتلو القصيدة كلها مع ذكر فروق الرواية بين كتب الأدب فى دقة تشهد للرجل بحافظة واعية لا تغيب عنها معلومات مضى على معرفتها أكثر من نصف قرن .

وبعد تلك الحقائق التى يعرفها كل من كان له صلة بالعميد ، كيف يصح ما قاله الأستاذ غالي بانه جلس مع العميد أربعين ساعة ، وتردد على بيته ثلاثة اسابيع يوميا ، إن هذا يعنى ان لقاءه بالعميد كان يستغرق الفترة المسائية كلها نحو عشرين يوماً متتابعة وهو أمر لا يمكن قبوله او التسليم به على ضوء ماذكرته من حقائق .

وإذا سلمنا جدلا بأن غالي شكرى لقى العميد كل تلك المدة ، وانه عامله بما لم يكن يعامل به احداً من الذين كانوا يسعون اليه لمعرفة رأيه فى قضية فكرية او اجتماعية او سياسية فان نظرة فاحصة موضوعية فى هذا الحديث الذى جاء ثمرة ذلك اللقاء الفريد فى زمنه وعدده تثير كثيراً من الشكوك والشبهات حوله ، فردود العميد على اسئلة الاستاذ غالى كما نسبها اليه تتسم بالافاضة وتشقيق الكلام ، وكثرة اسماء الاعلام من الأدباء والمفكرين العرب وغيرهم ، وما كان العميد فى اجاباته ـ وهو يتمتع بقوة ذاكرته ـ يجنح الى الاسهاب ، وانما كان يجتزيء فيما يسال عنه بالاجمال دون التفصيل ، والايجاز دون الاطناب ، وما كان يعنيه الاشارة الى علم من الأعلام للتدليل على رأى ، أو دعم وجهة نظر .

وعزا الاستاذ غالي الى العميد عبارات وكلمات كان يضيق بها ، ولا تجرى على لسانه مثل « عدم التسليم الأعمى » و «الغوغائية» ، « ياناس ارحمونا وارحموا أنفسكم » « وانا رجل فى الظل أطوى أوراقى وسامضى قريباً » الى غير ذلك من العبارات والكلمات التى كان العميد ينفر منها ، ولا يستسيغ استعمالها .

وإذا تجاوزنا عن ذلك الاستطراد فى الاجابة ، وتلك العبارات التى عزيت الى العميد وما كانت تروقه ، وقلنا بان الاستاذ غالي التقط الفكرة ثم صاغها صياغة أخرى ، والبسها حلة قشيبة من التفصيلات الجزئية ، والعبارات المستحدثة ، وإن اخطاه التوفيق فى نسبة بعض هذا الى العميد ، فان ذلك الحديث اشتمل على عدة اخطاء تطعن فى سلامته ، أو تحكم على العميد باضطراب ذاكرته ، وهو ما يفقد الثقة بالحديث كله ، ومن تلك الأخطاء ما جاء على لسان العميد حول انتمائه الى حزب الوفد وعزوفه عن الأحرار الدستوريين بعد عمله معهم نحو عقد ونصف قال : كانت بينى وبين الوفد اشياء وأشياء منذ معركة « فى الشعر الجاهلى » ولاحظت على الأحرار الدستوريين فى كفاحهم الوطني طراوة أبناء الذوات ، وفى سلوكهم السياسى اجحافاً بحقوق الفقراء ، بينما كان الوفد اكثر صلابة وتعبيراً عن مطامح الجموع فاليت على نفسى أن اطوى صفحة وافتح اخرى اكثر اتساقاً مع ضميرى ...

هذا التعليل لترك حزب الاحرار والالتحاق بحزب الوفد يناقض ما حدثنى به العميد حول هذا الموضوع ، واثبته فى كتابه « طـه حسين يتحدث عن اعلام عصره » فقد قال وهو فى معرض حديثه عن علاقته بالزعيم مصطفى النحاس :

« فى عهد صدقي سنة ١٩٣٢ تعرضت لأزمة شديدة بسبب موقفى من الحكومة وعدم الاستجابة لها فى منح بعض الساسة درجة الدكتوراه الفخرية وقد احلت على المعاش دون أن يكون لي معاش ، ولم تكن كتاباتي السياسية تدر



مصطفى النحاس باشا مع أعضاء الوفد المصري




اسماعيل صدقي .. أحاله على المعاش دون معاش !!



مكرم عبيد .. وعرض برئاسة تحرير جريدة !!

علي شيئا فقد كنت أكتب مجاناً ، يضاف الى هذا انه لم يكن لدي مال مدخر ، وتعرضت لأزمة شديدة حاولت التغلب عليها بالسلف من بعض الذين تربطني بهم صلة وثيقة مثل نجيب الهلالي .

في هذه الظروف جاءني مصطفى النحاس ومعه مكرم عبيد وعرضا علي رئاسة تحرير جريدة كوكب الشرق ، وهي جريدة وفدية ، وكان راتبي فيها مائة جنية ، ومع هذا لم أوافق إلا بعد أن عرضت الأمر على الأحرار ، ونظراً لأن الأحرار والوفديين كانوا متآلفين ضد صدقي وافقوا على أن أتولى رئاسة تحرير تلك الجريدة .

وكان عملي في كوكب الشرق بداية العلاقة بيني وبين مصطفى النحاس ، وازدادت هذه العلاقة وثاقة بمرور الأيام وكنت أزوره كثيراً في منزله ، وكنت إذا ذهبت اليه وانتظرته في الطابق الأول وارتدى ثيابه ونزل من الطابق الثاني فانه يلقاني باشا مداعبا قائلا : طـه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، وكان الرجل يستنصحني في بعض الأمور ، وكان يأخذ بما أشير عليه ، كما كان ينزل عند رأيي إذا اختلفنا ، ولما توليت الوزارة كنت دائماً أهدد بالاستقالة إذا لم يستجب مجلس الوزراء لطلباتي» ..

فما هو التعليل المقبول لذلك التحول السياسي في حياة العميد ؟ هل هي طراوة أبناء الذوات في مقابل صلابة التعبير عن مطامح الشعب؟ أم انها الظروف الصعبة التي تعرض لها العميد بعد احالته على المعاش ، وجعلته يعمل مع الوفد في كوكب الشرق ، ثم تطورت الأحداث ، وتوثقت العلاقة بينه وبين زعيم الحزب ، فانتسب اليه وأصبح عضواً بارزاً من أعضائه ، ثم وزيرا في آخر وزارة للوفد قبل ثورة ٢٣ يوليو ، ؟!

وما جاء عن الرومانتيكية في أدب العميد ، ورأيه في أدب نجيب محفوظ ، وبخاصة قصة « اللص والكلاب » و «ثرثرة على النيل» يخالف ما تحدث به العميد من قبل واوردته في كتابي «أيام مع طـه حسين» .

ولست هنا في مجال الاستقراء الشامل لكل جزئية أو فكرة ، ومناقشتها وإنما هي بعض الأمثلة من الأخطاء العلمية المبثوثـة في تضاعيف ذلك الحوار ، والتي تذهب بدقته او صحته .

وبعد فان المقبول والمعقول أن يكون الاستاذ غالي قد ذهب الى العميد مرة أو مرتين أو ثلاث مرات على الأكثر ، ودعواه بانه تردد على رامتان نحو عشرين يوماً مردودة ، يردها صحة الشيخ المريض ، وموقف زوجته من الذين يسعون اليه ، وسنته في إذنه لهؤلاء ، وعدم السماح لأحد مهما تكن صلته به بأن يستغرق في لقائه معه ولو مرة واحدة الفترة المسائية كلها .

والمقبول والمعقول أيضاً أن يكون حديث العميد إشارات مقتضبة كعادته في اجمال القول دون تفصيله ، ولأن صحته وذاكرته لا تتيح له التفصيل حتى لو أراده ، ولكن الاستاذ غالي أضاف الكثير من آرائه ومعارفه وأسلوبه الى ما أفضى به العميد اليه ، فماتت أو ضاعت آراء العميد وسط ضباب الثقافة الأدبية الخاصة لغالي شكري ، وأصبح الحديث في صورته التي نشر بها في مجلة الثقافة العربية . أو في كتيب بعد ذلك لا يمثل فكر العميد في العام الأخير من عمره بمقدار ما يمثل عضلات الاستاذ غالي وآراءه الأدبية والسياسية ، وليس أدل على ذلك من تعليل ترك حزب الأحرار ، والعمل مع حزب الوفد ، فهو تعليل لم يتفوه به العميد ، وإنما هو رأي للاستاذ غالي وانعكاس لتحليله للاحزاب التي عرفتها مصر في النصف الأول من القرن العشرين ، ومن ثم لا يعد ذلك الحديث او الحوار كما نشر وثيقة أدبية كما لا يعد آخر حديث تحدث به العميد ، ولا يجوز ـ علمياً ـ أن يعول عليه في معرفة آرائه ، أو دراسة فكره لكل ما سلف .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

دكتور محمد الدسوقي
جامعة الفاتح

لا بدّ من صنعا وإن طال السفر

شعر: مروان الخاطر - دمشق

امضيت فى صنعاء ثلاث سنوات ، وحين ازف الرحيل
كتبت هذه القصيدة فى وداع مدينة احببتها ...

بعض الغرام مذلة وشجونُ
وهواكِ عزٌ دائمٌ وفتونٌ
دنيا من السحر المولّهِ ما ارتوَتْ
ودِنانُ كل العاشقين تدينُ
من اَيِّها يحلو الشرابُ وخمرتي
لو تعلمين لواحظٌ وجفونُ
« غمقت » ما احتجَبَ النهارُ بلثمةٍ
اسفرت فاستبقَ الحنينَ حنينُ
وجه « تشرشف » بالمحبة ما اختفي
واراه رغم الأسوَدين يبينُ
عقداً سبائيَّ النقوش كانه
اقواسٌ من قزح الزمان تزينُ
برق يمانيٌّ إذا يرنو ، وإن
يغمضْ فغيم ماطرٌ وهتونُ
وإذا الحبيبةُ مثلما عرف الهوى
تحلو ، ويحلو مبسمٌ وعيونُ
من قبل « ذى يزن » وسحر المجد شا ..
مَتهُا ، يوشي وجهَها ويصونُ
امّ العقود وانت عقد مفرد
حصن تسورَ بالجمال حصينُ
امّ العقود وبيننا ما بيننا
كيف السبيل الى الوداع يكون

احباب من زمن وما زلنا .
فكيف يفرق الاحبابَ مفترقٌ
ولم الطريق تشعبت من دونها الطرقُ
فى الحلم كنتِ حبيبتي
فى الصحو انتِ حبيبتي

وانا الذى احببت حتى هامتي
يحتلني الأرقُ
ابحرت فى عينيك حتى هدّني الابحارُ والغرَقُ
لو تسالي عينيك يوما
تسالي عينيّ يوما
ينطق الصمت الذى في الصمت يختنق
لو تسالي ..

لعرفت سيدتي الذى لا تعرف الأقلام والورقُ
هذا الهوى
أيموت في تغريبةٍ اخرى ؟
ايُنسى ذلك الاشراقُ والالقُ
فى ليل عمر مدلهم الخطو مكسور
هل هالة تعلو على النور ؟

ام انت آخر ماروت
انباء عن دنيا الأساطير ؟!



قصة النفط في قطر

تأليف : ناصر محمد العثمان
عرض وتقديم : نبيل خالد الأغا

الى اولئك الرجال من ابناء بلدي ... الذين انتزعوا اللقمة من عباب البحر فى أيام الغوص المجيدة وأكدوا أصالتهم بإصرارهم على استمرار البقاء ، وانتزعوا الثروة من باطن الأرض بجدهم وعرقهم .

الى أصحاب السواعد السمر من أبناء قطر .. التي أحبوها وأحبتهم بكل ما يحمل الحب من إيمان وصفاء وصدق وعطاء : أهدي هذا العمل المتواضع ●●

● هذه هى الكلمات البسيطة البليغة الصادقة التى نقشها الاخ الاستاذ ناصر العثمان فى صدر كتابه الأول « السواعد السمر : قصة النفط في قطر » ، والذى صدر مؤخرا عن منشورات « دانة للعلاقات العامة » فى الدوحة .

والكتاب عبارة عن ملف كامل لقصة استخراج النفط القطري التي ظل معظمها ـ حتى الأمس ـ مطوياً فى صدور أصحاب السواعد السمر من ابناء قطر الذين شيدت على اكتافهم وبعناقيد العرق المنهمر من جباههم لبنات النهضة القطرية المعاصرة .

ولعل أروع الاضاءات وأسطعها فى هذا الكتاب تلك الحكايات التي كشفت لنا بعضاً من معاناة القطريين قبل اكتشاف النفط ، ودورهم الايجابي اثناء عملية الكشف ذاتها .

ولقد تنبه الأخ الاستاذ رجاء النقاش لقيمة هذا الجانب الانساني العظيم حين ذكر فى مقدمة الكتاب بأن « ناصر نفسه قد عاصر أيام ما قبل استثمار البترول ، وعرف هو نفسه الحياة الشاقة التى لا تعطى رضاءها وهناءها لأحد إلا بأعظم الجهد ، وأكبر الوان التضحية ، ورأى عظمة الانسان القطري مجردة تماماً من اطارها البترولي ، وأكل خبز المعاناة ، وشرب مياه التعب والحياة الصعبة ، ثم عاصر « ناصر » عصر التحول ، وما تبعه من تفجر للثروة ومظاهر التقدم الكبرى فى بلاده ، ومن هنا كان ناصر العثمان قادراً على ان يكتب شهادته الصحيحة والأمينة للتاريخ » .

واستكمالا لميزة التواضع الجم التى يمتاز بها المؤلف فى حياته الاعتيادية وتعامله مع الناس فهو يزعم أنه ليس « مؤرخاً وإنما مستعرضاً لأحداث وتطورات هامة فى حقبة من الحقب التاريخية الهامة التى مرت على بلدنا الحبيب » ، يقول هو ذلك برغم عرضه الأمين والواعي لكل ما استطاع الحصول عليه من معلومات مهمة استقاها من الوثائق والكتب وصدور الرواة الذين عملوا فى صناعة النفط منذ خطواتها الأولى ! ولعمري فمن يكون المؤرخ إذن ؟ .

الدوحة عام ١٩٤٩

لقد قسم المؤلف كتابه الى ثلاثة اقسام :

القسم الأول : عبارة عن رسم دقيق للخارطتين الاجتماعية والجغرافية للعاصمة القطرية فى عام ١٩٤٩م ، وهو العام الحاسم فى تاريخ قطر حيث تم فى نهايته شحن أول دفعة من الذهب الأسود والتى كانت فاتحة خير وبركة على هذا البلد العربى المعطاء ، وعلى الأمة العربية العريقة .

يصف المؤلف الدوحة فى ذلك الوقت بانها لم تكن اكثر من قرية كبيرة يقطنها ما يقارب الاثنتي عشرة الف نسمة ، منازلها بسيطة متلاصقة مبنية بالحجارة والطين ، شوارعها ضيقة وكثيرة الانحناءات وغير معبدة ، وليست مضاءة بالكهرباء ، ولا يوجد بها سوى مدرسة واحدة شبه نظامية اضافة الى بعض الكتاتيب .

اما مطار الدوحة فقد كان مجرد مسطح من الأرض يصلح لهبوط طائرة صغيرة تأتي من البحرين من وقت لآخر ، وتحلق فى سماء المدينة قبل هبوطها

لتعلن للناس عن وصولها ، وكان الأهالي يعانون كثيراً من قلة المياه الصالحة للشرب ، واضافة الى هذا الواقع الرمادى فقد كانت البلاد تعاني من ركود حاد فى كافة المناحي الاقتصادية نتيجة لانحسار تجارة اللؤلؤ ، وسوء آثار الحرب العالمية الثانيـــــة .

ولم ينس المؤلف فى معرض تصويره لاحوال الدوحة فى ذلك الوقت أن يبين للقارىء سبب اكتسابها لهذا الاسم لأنها « تقع على شاطىء خليج صغير واسع الانفتاح ، واهل البلاد يطلقون على هذا النوع منه اسم « الدوحة » وانها قد اخذت اسمها من ذلك » .

وفى نهاية هذا الطرح السلس يدعم المؤلف حديثه ببضع وعشرين من الصور النادرة التى توضح مظاهر الحياة فى « القرية الكبيرة » ، ولاوائل حكام قطر من اسرة آل ثاني الحاكمة .

● ● ●

وانتقل ناصر العثمان بعد ذلك للحديث عن « الصراع على امتيازات النفط » والمباحثات التى ادت الى التوقيع على امتياز نفط قطر الذى تضمن ٢٢ مادة ، وتم توقيعه من قبل الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني حاكم قطر ، وتشارلس مايلس ممثل شركة النفط الانجليزية الايرانية المحدودة بتاريخ ١٧ من مايو عام ١٩٣٥م .

ناصر محمد العثمان

نماذج من الرجال

اما القسم الثاني من الكتاب فتتصدره صور نادرة للمرحوم منصور بن خليل الهاجري الذى يعتبر من الاعلام الأوائل الذين عملوا فى صناعة النفط ، وعمل دليلا للشركة لما كان يتمتع به من حدة فى البصر ، ومعرفة تامة لجميع الاراضي القطرية ، وأسماء المواقع وطبيعتها وتاريخها الى درجة أن احد الجيولوجيين وصفه فى كتاباته « بأنه يحفظ خارطة عقلية لقطر ، وباستطاعته أن يجد طريقه فى اى مكان ، فى الطقس الدافىء ، وفى الضباب ، وحتى فى الظلام ! » .

كل ذلك بدون أن يستعمل اي جهاز « حضاري » اللهم باستثناء عينيه الحادتين ، وحصافته الفطرية النافذة !

ويلتقى المؤلف فى الصفحات التالية بمجموعة من الرجال البسطاء الشرفاء الذين اسهموا بامكاناتهم الواثقة فى تشكيل نمط الحياة الجديدة فى قطر ، وهؤلاء هم : ابراهيم بن صالح المطر ، جاسم النعمة ، ثامر مفتاح ، حسين ابو عباس ، جاسم بن قرون ، محمد مفتاح ، وحسن كلي .

ويعيش ناصر العثمان مع هذه النخبة ، يسالهم ، ويحاورهم ، ويسجل للتاريخ ذكرياتهم ، ويروى على السنتهم ما تجود به عقولهم من احداث عاصروها وصنعوها ، ابان مرحلة التحول من مرحلة الغوص والعوز والحاجة وصهد الحياة ، الى مرحلة الذهب الأسود والحضارة ومباهج الحياة الجديدة .

الغوص فى الهواء !

ويروي العم ابراهيم المطر حادثة طريفة كان ضحيتها احد العمال القطريين الأبرياء ممن كانت تشدهم عواطفهم الى ايام الغوص الأولى ، فلم يستطيعوا التأقلم بسهولة مع مرحلة التحول النفطي !

كان الرجل يستقل إحدى السيارات المكشوفة مع مجموعة من العمال فى طريقهم الى « دخان » ، وبسبب سرعة السيارة « طار » عقاله من على رأسه ، فلم يكن منه إلا أن تصرف تصرفا تلقائيا بأن سد انفه ــ كما كان يفعل أيام الغوص ــ وقفز فى الهواء ليأتي بكوفيته ! فمات المسكين فوراً !

وفى نهاية القسم الثاني يورد المؤلف ايضا بضعاً واربعين من الصور والوثائق النادرة تتصدرهـــا صورة للمغفـــور له الشيخ حمد بن عبد الله آل ثاني مع نجله أمير قطر الحالي سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وقد التقطت الصورة عام ١٩٤٧م .

وصورة لعملية تشييد أول بئر للنفط عام ١٩٣٨م ، وصورة لأول شيك لعائدات النفط بمبلغ ٥,٩١٦,١٠٨ روبية بتاريخ ١١اكتوبر عام ١٩٥١م ، وغير ذلك من الوثائق التاريخية المهمة .

أما القسم الثالث من الكتاب فيتضمن أهم مواد الاتفاقات النفطية المبرمة بين حاكم قطر وممثل الدولة البريطانية فى البحرين ، والاتفاقية الخاصة بمناصفة الأرباح ، وامتياز التنقيب عن النفط فى مياه البحر ، كما يشمل القسم ايضاً نص اتفاقية الحدود البحرية بين قطر وايران ، ونص اتفاقية تسوية الحدود وملكية الجزر بين قطر وأبو ظبي ، كذلك جدولا حسابياً بكميات انتاج النفط القطري منذ بداية استخراجه

أهمية الكتاب

وبعد .. فهذا عرض موجز « لقصة النفط فى قطر » ، والتى سجلها «المؤرخ» ناصر محمد العثمان فى هذا الكتاب الوثائقي القيم ، ولكن ــ كما ذكر الاستاذ رجاء النقاش ــ فان أهم مافى هذا الكتاب واعمق ما فيه انه يثبت بالدليل الناصع أن ثروة قطر أولا وقبل كل شيء هي : الانسان ، وهذا ما يجعل الكتاب فريداً فى بابه ، ويجعل من صاحب الكتاب مكتشفاً للثروة الأعظم والأبقى فى هذه الأرض العربية .

بقى أن نقـول للأخ الكريم ناصـــر العثمان نحن فى حاجة الى مزيد من البحث والتنقيب فى صدور البقية الباقية من أولئك « الأبطال » الذين دفعوا مقدماً فاتورة النعيم الذى يتمتع به الشعب القطري اليوم ! ولابد يوماً أن تظهر للباحثين نماذج جديدة من معاناة وجلد وصمود الانسان القطري فى تلك الحقبة الحساسة من حياته .

نبيل خالـد الأغـا

كان مجال هذه الدراسة المتواضعة ، هو الدورة التدريبية التى نظمها مركز التدريب الاذاعي والتليفزيوني بالعاصمة القطرية اعتباراً من ١٧ أكتوبر الى ١٢ نوفمبر ١٩٨١ ، ولكن نظراً لأننا اعتدنا أن مناهج دراسة « الالقاء » فى الوطن العربي تقتحم مباشرة التناول التشريحي والعلمي للجهازين الصوتي والتنفسي فى تركيب الانسان ، ثم تنتقل بعد ذلك الى دراسة قواعد فن الالقاء على المستويين النظري والتطبيقي ، دونما اهتمام حقيقي بالقاء الضوء على أبعاد فن الكلام للناس فى حياة المجتمع باتساعها وتعدد مجالاتها .. لذلك ــ وحتى لا يسلب هذا الموضوع العام قسطاً كبيراً من الوقت المخصص لدراسة الالقاء فى الدورة المذكورة ــ أطرح هذه المقدمة العامة التى أراها ضرورية .



فن الكلام للناس

بقلم
نبيل الألفي

الواقع أن « الكلام فى حضور جمهور » فن عريض يتصل بمجالات عريضة فى حياة كل مجتمع ، فاليوم في واشنطن أو فى دمشق أو فى القاهرة ــ كما كان قديماً فى أثينا أو فى روما ــ الانسان مطالب بأن يتكلم ليعلّم ، ويتكلم ليتهم أو ليدافع عن نفسه ، ويتكلم للحصول على أصوات الناخبين ، ويتكلم من أجل الوصول الى السلطة كما يتكلم من أجل الاحتفاظ بها .

فالكلام فى حضور جمهور فن له أهميته البالغة فى الحاضر كما فى الماضي ، ولقد أهتم به القدماء بشغف شديد تشهد به معالجات البلاغة التى خلفوها لنا .

قد تكون هناك بعض الخصائص التقنية التى لم يعرفها القدماء ؛ فمخاطبة الجماهير مثلا من خلال «الراديو» ، تجعل المتكلم يصل الى المستمعين الذين لا حصر لهم ، والذين لا يراهم ولا يملك أن يتخيل ردود الفعل لديهم ... وفى الاجتماعات الدولية يتوجه المتكلم الى وفود تضع ما يشبه الخوذات على رؤوسها ، وإذا كانت لديك فكرة تود أن تصل اليهم فهي لن تصل إلا بواسطة مترجمين فوريين يجلسون فى غرف محكمة الغلق ، حيث تخرج من عندهم الفكرة التى تريد توصيلها مذاعة بعدة لغات فى اللحظة نفسها أثناء كلامك ... وإذا كنت تتوجه مباشرة الى

مجموعة من الناس تجمعوا خصيصاً للاستماع اليك ، فانك تستخدم « مكبر الصوت » الذي يمكن ـ نتيجة لخلل بسيط ـ ان يشوه صوتك ! .

إنه التطور الآلي يتغلغل بالضرورة الى ميدان هذا الفن ويفرض بعض الملامح التقنية الجديدة .

ولكن هذا التطور الآلي ، لم يحل بطبيعة الحال دون استمرار بعض القواعد التي مازالت تصلح لكل زمن ولكل البلاد ، ولا يلغي بعض الدروس الاساسية القديمة .

فعندما توجد اللحظة التي يتوجه فيها المتكلم الى مجموعة من الناس تتجمع لتكوّن هذا الموجود الجماعي المسمى الجمهور ، يكون أمام المتكلم عدة قواعد لا يستطيع إغفالها دون أن يعرض نفسه للفشل !

ذلك أن الكلام الى مستمعين ، له قوانينه الخاصة التي تختلف عن قوانين الأسلوب المكتوب ، فبرغم اننا نستخدم في الحالين كلمات وجمل ، إلا انه لا ينبغي أن نكتب كما نتكلم ، أو نتكلم كما نكتب .

فما الذي ينبغي عمله ليجيد الانسان الكلام ، ويجعل الناس يحسنون الانصات إليه ؟

ـ هناك من يتكلم ليعلم

ـ وهناك من يتكلم ليقنع

ـ وهناك من يتكلم للاثارة .

وامام اختلاف هذه الحالات مثلا ، يختلف المنهاج والأسلوب والاستطيقا .. حتى القيمة المعنوية نفسها تختلف هي ايضاً بحسب الأحوال .

الكلام للتعليم

عندما يتكلم الانسان ليعلّم ، يختفي مع كلامه الاهتمام بالانتهاء الى مصلحة مستهدفة ، أو على الاقل يختفي الاهتمام بجعل المستمع يميل الى اتخاذ حكم ، أو ينعطف الى التصويت في جانب معين . ويفترض «جوته» انه لا أمانة حقيقية إلا لدى المتأمل .

وذلك الذي يعلم مرتبط في جوهر مهمته بقوانين التأمل ، ومعنى ذلك انه يستطيع ـ هو وحده ـ أن يجعل «الحقيقة» شغله الشاغل ، فلا يهتم بغير اكتشافها وعرضها ، دون أن تكون لديه حتى فرصة ان يسأل نفسه : ماذا سيفعل الآخرون بها ؟ انه موقف فنان ، الأصل فيه ـ على صعيد الفعل ـ هو ان يسعى المرء الى معرفة الحقيقة .

والاستثناء يكمن ـ بطبيعة الحال ـ في أن تكون لدينا مصلحة في قول هذه الحقيقة .

والواقع أن « التعليم » لم يسلم من ذلك الاستثناء المخل بموقف المعلم ! فالسلطات المنظمة لشئون التعليم تفرض رقابتها على المعلمين ، وعلى من يمارسون البحث العلمي ، ولا تميل هذه السلطات الى تركهم ينشرون بحرية نتائج بحوثهم . وتشهد الحرب العالمية الماضية على سبيل المثال ، بأن العلم قد وضع في خدمة الحكومات ، ولم يعد يعتبر ملاحقة غير مغرضة للحقيقة ، وإنما أداة للقوة ... وفي حالات عديدة ، يلاحظ كذلك أن التعليم والاعلام قد أصبحا من المصطلحات التي تواجه خطر ترادف المعنى !

ولكن الديمقراطيات العريقة ، الخليقة فعلا بهذه التسمية ، تتيح للجامعات والمعاهد أن تكون متحررة ، ولا تمارس حيال « المدرس » رقابة تفرض عليه أن يقدم حقيقة موجهة . فكيف يكون إذن كلام المدرس في هذه الحالة ؟

إن الكلام الذي يستهدف التعليم ينبغي أن يتسم بالنقاء . ونستطيع أن نشبه كلام المدرس بعملية الترشيح التي تتناول السائل المحمل بالشوائب فتجعله ماءً صافياً ورائقاً .

فالمتلقي يريد أن يفهم . ويطيب له أن يسمع . ولا يحلو له أن يبهر إلا بعامل الذكاء وحده .

والوضوح ينجم عن أسلوب بالغ التحديد ؛ كما ينجم أيضاً عن خطة محكمة جيدة البناء ؛ أو عن عرض ينمو ويتطور على نحو منطقي .

لأنه مما يخفف من جهد المتلقي أن يعرف الى أين يتجه المتكلم ، وان يكون متابعاً في كل لحظة لايقاع الحديث ولاطراد نمائه نحو خلاصته .

والانتباه يكون عادة أسهل ، إذا شعر المتلقي أن المتكلم محتفظ بسيطرته التامة على كلامه ، ويزن بدقة الزمن الذي في متناول يده .

على أن النصائح التي يمكن قولها في هذا المجال يستعصى في الواقع حصرها اذ تختلف مثلا معايير بلاغة المعلم من قاعة مشحونة بالطلاب ، الى رواق صغير يفرض طابع الألفة والحوار المثمر على العملية التعليمية .

فحسبنا ما أشرنا إليه في هذا المقام بهذا الخصوص .

الكلام في الناس للاقناع

يقترح استاذ فرنسي يدعى « توليه » : انه يجب ان نتكلم كالرجال عندما نكون صادقين والحق في جانبنا ، وكالنساء عندما نكون مخطئين !

واعتقد أن هذه مبالغة ، لأن الكلام للاقناع لا يستطيع في الغالب أن يرتكز على فضيلة الحقيقة وحدها .

صحيح أنه إذا كان ما نريد الاقناع به عادلا ، عادلا تماما ، فانه يكفي ـ للاقناع ـ عرض العناصر كما هي ، دون أدنى مواربة او تحايل ، لأن الحقيقة هنا ستفرض نفسها كالضوء ... ولكن إذا لم يكن الأمر كذلك ، او حتى ليس كذلك بالضبط ، الا ينبغي في هذه الحالة العمل على إرضاء الحقيقة ؟

إن الكلام في الناس للاقناع ـ بكل أسف ـ يندرج تسعة أعشاره تحت هذه الحالة .

وتغيير مجال الانتباه ـ لدى رجال السياسة ـ يعتبر من أنجح الوسائل . إنه « تكتيك » القواد الكبار الذين لا يقبلون دخول المعركة في الوضع الذي يجدون انفسهم فيه ضعافا ، وإنما يستدرجون العدو الى نقطة تكون لهم فيها القوة ، وكل القدرة على تدميره .

غير أنه لا يحسن استخدام هذا «التكتيك» مع الاساتذة الراسخين من المفكرين ، لأنهم على دراية واسعة بأسراره ؛ وإنما هو ينجح بالأحرى مع الشخصيات البرلمانية .

وحتى في حالة ما إذا لم يكن هناك مجال للتغيير فيما يتعلق بالمسألة المطروحة ، فان المتحدث المهتم بالاقناع والانتصار على خصمه ، لا يستطيع أن يترك للأشياء وللملابسات أبعادها الدقيقة ، مادام الأمر يتعلق بالضبط باظهار هذه الأبعاد تحت ضوء يكون اكثر توافقاً مع النظرية التي يدور الدفاع عنها .

وللتأثير على الحاضرين ، يتطلب

فن الكلام للناس

فعل بلاغة الاقناع ، أن لا نكون مضطرين للتأكيد على العناصر التى تخدمنا فى الوقت الذى يشيع فيه بالقاعة جو الاستدارة الى الساعة .

الكلام فى الناس للاثارة

مع الكلام لتحريك المشاعر ، تكون البلاغة الحقيقية التى لا تكتسب بالتعليم . فالاعتبارات هنا خاصة جداً ، ويتحتم الاعتراف بانها تستعصي على التحليل والتحديد !

هناك عادة طابع معين للصوت فى مصدر هذه البلاغة ، ونحن نعلم جيداً الى أى مدى يمكن أن تكون ذبذبة الصوت الانساني قادرة على تحريك المشاعر !

ينبغى أن يكون هناك الكثير من التوافق بين جهاز المتكلم وبين الاسماع بالقاعة ، فالعامل العضوى يفرض نفسه على الفراغ فى المقام الأول .

وعلى هذا يمكن أن أضيف : أن ناتج الانفعال لا ينفصل عن قدر معين من الحضور ، محمل بالعاطفة ، يفرضه المتكلم وهو ينهض ليأخذ الكلمة . يكفيه أن يظهر ، ليكون الجو الجماعي الذى يثيره قد خلق ، ويستطيع الكلام مكتسباً صفة « المغناطيسية » بالمعنى الحرفى للكلمة .

فيجب ألا ننسى أن المتكلم — مهما تكن شخصيته — يعتبر واحداً فقط من العناصر المكونة للموقف ، ومن المكمل له يوجد خارجه جو القاعه بجمهورها . فمشاركة المكان ومشاركة المستمعين تحت تأثير حركة المتكلم ، هو ما سيجعل شعلة الانفعال تظهر . فالكلام هنا ليس مونولوجاً — وهذه ملاحظة جوهرية — وإنما حواراً ، أو بتعبير أكثر دقة : مشاركة بين فرد وجماعة . وبدون هذه المشاركة ، يسقط أكثر الكلام بلاغة فى الفراغ والموت ! ويمكن القول كذلك بأنها مسألة « درجة حرارة » قبل كل شيء .

صحيح أننا أمام بلاغة الكلام هنا — كما نكون أمام الشعر — لا نستطيع القول بأن النص القابل للفهم لا أهمية له ؛ ولكنه ينبغى أن يكون واضحاً أن الجوهرى هنا يكمن فى التيار الذى يتحقق بين ذلك الذى يتكلم وبين أولئك الذين يستمعون .

وحسب تعبيـر نيتشــه :

« من ناحية أذرع تمتد ، ومن الناحية الأخرى مخلوق يتنقل منه فيضان العواطف والقوة الى المستمعين » .

إن المتحدث المفطور يحس هذا النداء ومثل هذه الموهبة لا تكتسب ، وإنما يولد الانسان مكتسباً إياهـــا .

على أننا بعد الاستماع الى خطاب له قيمته البلاغية العالية ، يحسن الا نحاول قراءته بعد ذلك ، لا لأن كتابته ستكون مفتقدة للدقة ، ولكن لأن الجمل المكتوبة ، كانت فى شعلة الانفعال شيئاً آخر مختلفاً تماماً عن هذه التى تُقرأ محددة فى أبيض وأسود على ورقة ميتة ! وحتى إذا لجأنا فى الكتابة للاشارة الى ردود الفعل لدى المستمعين : التصفيق ، والهمهمة ، والضحك ، والابتسامة ... وغيرها ، فان ذلـك لا يكـون إلا بمثابة إشـارة الى كل شيء كـان ، ولـم يعـد كائناً ، وأصبح من غير الممكن الاحتفاظ به فى وعاء مغلق .

لأن السحر وحده — إن جاز التعبير — هو الذى فى طوقه إعادة الحياة للحظة فريدة انتهى وجودها .

إن هذا الحضور الذى يعتبر شيئاً سحرياً بشكل ما — لا يرجع الفضل فيه مع ذلك كلية الى العوامل العضوية فحسب ، فالاشعاع الصادر عن المتكلم يرجع فى معظمه الى شخصية المتكلم ... الى قدراته الصادرة عن شخصيته كانسان بكل اختصار .

إننا إذا عرفنا أن ذلك الذى ينهض ليأخذ الكلمة لديه شيء يقوله ، وأن مشاعره الشخصية هى مصدر إلهامه ، فانه يستفيد من هذا سيطرة فورية ، وهذا يتضمنه ما اتفقنا على تسميته : حضوره .

حينما يكون الكلام للاثارة ، فان العواطف هي التى تقنع ، والرجل البسيط العادى الذى يتكلم منفعلا بعاطفة ، يكون مقنعاً أكثر من المتحدث البليغ فى تعبيره دون أن تكون لديه مثل هذه العاطفة النابضة .

هذا ولابد أن يكون الانسان مقتنعاً بما يقول ، والقدماء كانوا يعرفون ذلك جيداً عندما قالوا : إن الكلام فعل قبل أن يكون أى شيء آخر ، والبلاغة العضوية المثيرة يساء استقبالها إذا كانت مفتقدة الايمان .

ومع ذلك فلا يتحتم تصور أن اعتناق المتكلم لما يقول يعتبر مسألة لا يمكن تجاوزها ، فأحياناً قد لا يكون لدى المتكلم هذا الاعتناق لما يقول ! ومن منا يستطيع أن يزعم لنفسه وجود هذا الاقتناع الشخصي دائماً ؟! لذلك ينبغى أن يتصرف المتكلم فى هذه الحالة كما لو كان لديه هذا الاقتناع الشخصي . فأصحاب بلاغة الكلام الكبار ، ينبغى أن يكونوا فى هذا الموقف — كالممثلين الكبار — متميزين بالقدرة على تمثيل اعتناق نظرية أو اعتناق عاطفة ، بحيث يشخّص المستمع « الاقتناع الشخصي » للمتكلم على أنه اقتناع صادق .

ومن هذه الزاوية يمكن القول بأن هناك سمة مشتركة بين الممثل الكبير والخطيب الكبير . ونحن لا نقلل من شأن أيهما بعقد هذه المقارنـة ، فلابد من الموهبة عندما يتعلق الأمر بفنانين وليس بمجرد بشـــر .

نبيل الألفي

جامعـة قطـر

مشروع دراسات التنمية
لأقطار الخليج العربي

إلـى الزمـلاء المتخصصين فـي دارسـات التنميـة

مشروع دراسات التنمية لأقطار الخليج العربي بجامعة قطر يهدف إلى ايجاد وحدة مختصة لبحث ودراسة قضايـا التنمية من أجل تعميق الفهم حول طبيعة التغييرات الاقتصادية ـ الاجتماعية فى اقطار الخليج العربي وذلك سعياً لبلورة فكر تنموي شامل يمكنه تحديد الصعاب التى تواجه عملية التنمية فى هذه الأقطار واستشراف الحلول وتبني برامج البحث والتدريس والتدريب الملائمة من أجل المساهمة فى تمكين هذه الأقطار من تدعيم قدراتها التنموية .

ومشروع دراسات التنمية بحكم حداثة نشاته يفتقر الى وجود الكادر الاكاديمي والعلمي ويسعى الى التعرف على الزملاء المتخصصين فى حقل العلوم الاجتماعية والمهتمين بدراسات التنمية والمتوجهين الى بحث طبيعة التغييرات الاقتصادية الاجتماعية فى الأقطار المصدرة للنفط . واحتياجات المشروع فى الوقت الحاضر تتمثل في التالي :

١ ـ استاذ :

مختص فى علم الاقتصاد او علم الاجتماع تتركز اهتماماته ودراساته وخبراته العملية فى مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٢ ـ استاذ مساعد :

مختص فى علم الاقتصاد ومهتم بالحسابات القومية والاقتصاديات المالية ، والمالية العامة والتخطيط .

٣ ـ مدرس : مختص فى الادارة ومهتم بطبيعة ادارة التنمية ومشكلاتها .

٤ ـ مدرس :

مختص فى علم الاجتماع . علم الاقتصاد ، علم الديمغرافيا ومهتم بدارسات السكان وتنمية الموارد البشرية.

٥ ـ مدرس مساعد / باحث : حاصل على الماجستير فى احد فروع الدراسات المتعلقة بالتنمية ..ولديه اهتمام بدراسات التنمية المتعلقة باقطار ابخليج العربي .

٦ ـ مدير مشروع الرسائل الجامعية :

مختص في علم المكتبات والتوثيق لديه خبرة واهتمام بالتوثيق وكيفية جمع الرسائل الجامعية وادارة مكتبة متخصصة والاشراف على برنامج نشر البيلوجرافيا المختصة بالرسائل .

٧ ـ محرر / باحث :

مختص في تحرير الكتابات المتعلقة بالعلوم الاجتماعية .. لديه خبرة في الصحافة المتخصصة .

وبحكم ندرة الكفاءات المذكورة اعلاه فان المشروع يرغب في التعاون مع الزملاء بكافة الأشكال الممكنة سواء بالتفرغ للعمل في المشروع والتواجد في قطر لمن تسمح له ظروفه بذلك او التعاون في مجال الندوات والدراسات المختصة لمن لا تسمح له ظروفه بالتفرغ التام .

يرجى من الزملاء الراغبين في التعاون مع المشروع الكتابة الينا على العنوان التالي :

مشروع دراسات التنمية لأقطار الخليج العربي
جامعة قطر (ص . ب ٢٧١٣ الدوحة ـ قطر)

أضـــواء

النـور عثمـان أبكـر

آخر مسرحية لساروين

كان وليام ساروين قد قام بزيارة الى فيينا فى الصيف الماضى لحضور العرض الافتتاحى على المسرح الانجليزي بالمدينة لمسرحيته «الاعيب» فقضى بضعة ايام بالعاصمة النمساوية فى جولات مطولة عبر شوارعها ومنتزهاتها ، مسجلا كل ما يرى ويسمع . ولدى عودته الى باريس كتب مسرحية كوميدية فى إطار مدينة فيينا بث فيها حصيلة ملاحظاته .

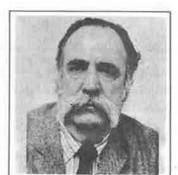
ولم تكن المسرحية قد نشرت عندما مات ساروين فى شهر مايو المنصرم . وقد أدرجت فى برنامج الموسم القادم للمسرح الانجليزي بفيينا فالنص الذى كتبه مكتمل ، ولكن عبء اختيار الرقصات والأغاني ، «المايم» سيرثه مخرج المسرحية ، لأن الكاتب الراحل قد وجه بها ، ولم يحددها . وكانت تلك هي آخر اعمال ساروين المسرحية .. وبعنوان «حكايات من شوارع فيينا» .

لم يهجر ساروين عالم المسرح ، ولكن المسرح بعد الحرب الثانية تخلى عن ساروين بالرغم من نجاح مسرحيته « قلبى فى الاعالي » التى كتبها قبل الحرب ، ومسرحياته الاخرى «أهل الجمال» و «اغنية الحب القديم الحلوة» و «سلام على من هناك» .

فقد واصل تاليف المسرحيات ، بجانب ما كان يدفق عنه من اعمال روائية ، وقصصية ، وتسجيل لسيرة حياته ؛ ولكنه فشل في العثور على من يمول اخراج تلك المسرحيات . كان خارج تيار تقليعات الموسم . لم يكن متخلفا عن حركة زمانه ، كان سابقا سبقا لها .

وكانت برودواي قد رفضت مسرحيته «لا تمض فى غضب» (١٩٤٨) وبشكل فظيع .. لأن خلفية المسرحية فى عنبر بمستشفى لمرضى السرطان ؛ ولم تكن تلك الأشياء مما يتسامح فيه المسرح وقتها . وربما كانت فرصة اظهارها أوسع هذه الأيام حيث الجمهور يقبل متحمسا على مسرحيات مثل «الاجنحة» و «حياة من هي على اية حال؟» و «الرجل الفيل» .. ومع ذلك فالمسرحية الوحيدة التى بين المسرحيات التى كتبها ساروين قبل الحرب ، التى وصلت مسارح نيويورك ، هي مسرحية «أهل الكهف» (١٩٥٧) .

ولكن ذاك الاهمال لم يثبط همة ساروين اطلاقا . وقبل عامين كانت ادراجه مكتظة بالمسرحيات ، وكان نشطاً فى كتابة غيرها ، حتى انه كان يكتب بمعدل مسرحية كل اسبوع .



وليم ساروين

وعندما اقترح المسرح الانجليزي بفيينا إدراج اسمه فى قائمة المسرحيين الأمريكيين المرموقين الذين يقدمهم ـ ومنهم ثورنتون وايلدر ، وتنيسي وليامز ، وإدجار لي ماسترز ـ استجاب ساروين بان ارسل اليهم نص مسرحيته «الاعيب» وهي عبارة عن «اسكتشات» يقوم فيها باضفاء الحياة على الأشياء المالوفة ويسبغ عليها قدرة الإفصاح عن ذاتها ، والنقاش والمحاورة فى أمور مختلفة .

ومسرحيته الاخيرة تعبر عن قدرته المميزة التى يجتمع فيها الحلو والمر فى الدعابة ، والخروج الكامل عن اية قوانين ثابتة فى كتابة المسرحية . والمدينة ـ فيينا ـ التى يصور فيها هذه المسرحية هي من بنات خياله المبدع ، وان كان قد استخدم بعض لقطات من بين ملاحظاته العديدة . وتجرى احداث المسرحية فى مقهى على شارع (القرابن) وهو شارع عريض وممتد ، ويقع امام كاتدرائية سنت استيفن . وصاحب المقهى السخي الفضولي أرمني مثل ساروين ، يكثر الحديث الطري عن بلاده المفقودة ، وعن شعبها العظيم وادابها الرفيعة . وهناك خمس شخصيات اخرى : «شميدت» الذى يمثل كل الناس المتحضرين وفى سن الرابعة والأربعين والثمانية والستين ، و«اليس» التى تمثل انماطا مختلفة من النساء ، وتفاخر بانها تتمتع بخصال ديزدمونا وسنت جوان ، وكليوباتـرا ، وفلورنس نايتينقيـل ، وماتا هاري .. وهناك الفتاة التى ترمز الى اكتمال ابنة الجنس البشري ، والفتى الذى يمثل ابن الانسان ، والشرطي النمطي .

ويدور بين هؤلاء حوار فى المقهى حول اسرار الميلاد والحب والموت . وفى حديثهم الحكمة والحس الفكاهي والاستهبال ، ويقفزون من موضوع لآخر : بيتهوفن ، شوبارت ، فاجنر ، ليهار ، نيتشه ، فرويد ، يونج ، الدين ، الكتاب المقدس ، الولادة ، الاجهاض ، بضع نساء ورجال ، الشهية ، الجوع ، الطعام والشراب ، أونيل ومسرح الفقد والخسران والندم ، بيكيت ومسرح اليأس وانعدام المعنى ، بيرانديللو ومسرح الزام الذات ، شكسبير ومسرح الفيض والعطاء .

وبالمسرحية افكار مثيرة للجدل تفوق ما تتضمنه مجموعة من عشرين مسرحية تعرض الآن في نيويورك ولندن ، وهناك حديث شجي عن الموت ، وكانما كان ساروين يحدس دنو المنية منه حين كتب هذه المسرحية . وكل صفحة من نص المسرحية يعلوها تاريخ وساعة كتابتها . وهي كمسرحية او دراما او سمها ماشئت ، تنطوى على اسئلة لا حصر لها ، وتابى ان تقدم اجوبة او حلولا ناجزة .. وتلك هى مهمة المسرح .

ويضمن ساروين مسرحيته الاخيرة هذه صوتا من خارج الخشبة للحركة الفعلية فى شوارع فيينا ، وهو صوت عازف هرم لآلة الاكورديون ، الذى يغني بصوته الوهن الخافت انغاما تغص بالتشوقات والحنين المتنامى . وقد اطلق عليه اسم «القبرة» .. ويمكن ان يصادفه المرء فى وقت متاخر من النهار فى شارع «الجرابن» بفيينا

ان هذا العمل الأخير لساروين يفصح عن كل خصائص عبقريته . انه اغنيته الاخيرة .

٢ مليـون استرليـني للأدبـاء والمفكريـن

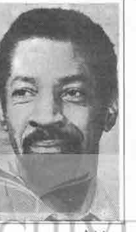
اعتمدت حكومة تاتشر مبلغ مليوني جنيه استرليني سنويا لتدفع للكتاب البريطانيين بواقع نصف بنس عن كل مرة يستعار فيها واحد من كتبهم من المكتبات العامة . وهذا القرار ثمرة لأخذ ورد بين الكتاب البريطانيين وحكومة بلادهم دام ثلاثين عاما .

والمعروف انه مقابل كل كتاب يباع فى السوق تتم استعارة عشر نسخ من كل مكتبة من اصل ٦٠٠٠ مكتبة عامة فى البلاد .

ويخضع هذا القرار فى تفاصيله لاجازة البرلمان البريطاني له .. ولكن المتفق عليه الا يمنح اى كاتب اكثر من ٥٠٠ جنيه استرليني فى العام الواحد من عائد كتبه المعارة .

جوردون هيث
يغني لبول روبصون


بول روبصون


جوردون هيث

يذكر جوردون هيث ان المغنى الزنجى بول روبصون دلف الى غرفة المكياج التى كان بها عندما كان يقوم بالتمثيل فى برودواى عام ١٩٤٧ فى مسرحية «عميقة هى الجذور» ، ويقول :

«كانت الغرفة صغيرة جداً ، وكان بول عملاقاً ضخماً . وكنت احلم باللقاء به ... وها هو كله امامى ، يقدم لي يداً ضخمة ، ويواصل ابتسامة سخية رحبت بى فى عالم من الاخاء العامر .

كان كلانا اسود ، وممثلا ، ويقف موقفاً يحتج على امور كثيرة تجرى فى هذا العالم . ولكنه كان قد قطع شوطا بعيداً فى موقف الاحتجاج الذى كان ثابتاً عليه طيلة عمره ، وفى كل تصريحاته ..

ولم اكن انا سوى بوق لعدد من كتاب المسرح البيض الشماليين ذوى النوايا التقدمية الكريمة التى يسيجها حرص محسوب على ما يعود الى جيوبهم من شبابيك التذاكر . وكانت مواقف بول روبصون ذائعة على مستوى عالمى ، ولكنه وافق على القيام بدور فى المسرحية باعتبارها نقطة ضئيلة تتبلور حولها كل اشكال التحيز والافكار المصاحبة له .

لم يقل الكثير .. واعتبر بشكل ضمنى اننا كنا نخوض نفس المعركة .. وان كنت انا المنافح الاقل وزناً فى الحلبة . واثناء اربعة عشر شهراً تالية واصلنا فيها تقديم المسرحية ، وجدنا اننا نقتسم خندقاً واحداً ، ونحرص على قيادة واحدة ، ونغنى ونظهر أمام الجمهور محتجين للقضية نفسها وكنت حريصاً على ان اكون جديراً ومستحقاً لتلك اليد التى شدت على يدى، وتلك الابتسامة التى حيتنى مرحبة بى فى عالم بول روبصون» .

لقد كان بول روبصون ، ابن العبد الزنجى المعتوق ، فناناً لامعاً فى المسرح وفى صالات المسرح الموسيقى . وكان قد التقى «بكارل فان فشتين» وناشره «الفريد كنويف» فى حى هارلم ايام بوهميته فى العشرينات من هذا القرن ، وفعلوا الكثير لترقية حركة البعث الفنى والادبى والموسيقى فى محيط الثقافة الزنجية الأمريكية . وفى حفلات الكوكتيل التى كان «فان فشتين» يقيمها فى بيته ويتم فيها اختلاط اجتماعى سليم بين البيض والسود فى زمان كان ينكر مثل ذاك الاختلاط ، التقى بول روبصون بعدد من الكتاب والفنانين ذوى الشهرة والصيت على المستوى العالمى .

وقد اختاره الكاتب اوجين اونيل ليقوم بدور المحامى الأسود الذى يتزوج امراة بيضاء فى مسرحية «كلنا احرار» ، والتى جوبهت بحملة منظمة عنيفة لمنع اخراجها ، ولكنها قدمت وحققت نجاحاً كبيراً . وقد تاثر «اوجين اونيل» باداء بول روبصون ، فحله محل الممثل «شارلز جيلبن» فى مسرحية «الامبراطور جونز» فى جولة قامت بها الفرقة . وفى عام ١٩٢٨ استضافت لندن المغنى الزنجى ليقوم بدور «جو» فى المسرحية الغنائية الأمريكية فى ثوبها الانجليزى ، مسرحية «شو بوت» . وظل فى انجلترا بضع سنوات كمغن مشهود له ، وممثل قادر ، تحرص ارستقراطية لندن على مصادقته.

ووجده عام ١٩٣٥ فى موسكو ، ولكن مشروع انتاج فيلم مع المخرج سيرجى اينشتاين اخفق . وعاد الى نيويورك فى عام ١٩٤٣ ، حيث قام بدور «عطيل» والذى كان قد قام به طيلة ثلاثة عشر عاماً بلندن ؛ ولكنه اصاب نجاحاً كاملا فى برودواى ، وسجل اطول مُدة تستمرها مسرحية لشكسبير فى مانهاتن .

ثم هبط الظلام المكارثى فى دنيا الثقافة كما فى دنيا السياسة . يقول جوردون هيث :

«فى الفترة المكارثية تم كتم صوت بول روبصون واسكاته بشكل كامل وكانه قد اعتقل وسجن . وكان القلق يعذبنا لا لجزع على سلامة بول ، ولكن لاختفاء قدوتنا ، الذى كان فى نظر حملة القائمة السوداء وسدنتها «مناهضاً للفاشية» ، ولعلمنا التام بانه رفيق نضال ووطنى مخلص : وقد وجدت نفسى اقوم بادوار بول روبصون فى اوروبا .. فقدمت «الامبراطور جونز» اذاعياً وتلفزيونياً .. مرة . وقمت بدوره فى «عطيل» ، مرتين على خشبة المسرح ، ومرة فى التلفاز ، وغنيت اغانيه «اهبط يا موسى» و «اغنية حب افريقية» وغيرهما . وكان الناس فى انجلترا يشبهوننى به ، وتلك مفخرة لي ، لانهم كانوا يقدرون كلا منا ، ويدركون ان جيلا يفصل بيننا .

وعندما مات بول روبصون ، هيات له هارلم كل ما يستحق من تكريم وشرف ، وان جاءا متاخرين قليلا .. وفوق ذلك ، فان افضل ما قدم لذكرى روبصون هو السيرة التى جمعها «فيليب هيز دين» لتعريف هذا الجيل ببول روبصون ، وليذكر جيلنا نحن بما كان يعنيه بول بالنسبة لنا .

وما اريد القيام به مساهمة منى هو ان اروى قصة بول روبصون بنفسى تعبيراً عن حب واحترام واعجاب اكنه له .

لقد كان بول روبصون انساناً عظيماً ، ولا اريد لاسمه او فعله النسيان» .

همنجواي في باريس

دونما جلبة او تكبد منصرفات دعاية باهظة افتتح فندق «الريتز» بباريس مشربا جانبيا اطلق عليه اسم الروائي الامريكي الراحل ارنست همنجواى . وإعادة افتتاح هذا المشرب التاريخي ، بكل ما يحركه فى الفرنسيين من حنين وذكريات دافئة هي جزء من برنامج تجديد الفندق الباريسي الذى رصد له ملاكه الجدد ، المصريون ، مبلغ ٢٥ مليون دولارا امريكيا ..

وليس بالمكان ثمة ما يذكر بهمنجواى سوى الساقي كلود ديكوبير الذى كان وطيد الصداقة مع الكاتب الأمريكي لفترة تزيد عن خمسة عشر عاما .. وقد قابله اول مرة عام ١٩٤٧، بعد الحرب الثانية ايام كان همنجواى فى قمة رغد عيشه ، ينزل «الريتز» فى طريقه الى اسبانيا لمشاهدة مصارعة الثيران ، او يمضى للصيد فى ادغال افريقيا . لقد عرفه فى اوج مجده الأدبي .. بعد ان حاز على جائزة نوبل فى الأدب .

ويروي كلود ديكوبير أن همنجواى «كان لينا من الرجال .. يمنحك الاحساس بالقوة .. فاذا قال لك انك سترقى جبلا ، لصدقته وصعدت الى القمة »

وهو يذكره وقد استند بكوعه على طرف المشرب ، مكانه المفضل . « كان يكره الجلوس الى طاولة . وكان يمتثل لقوانين الفندق القاضية بارتداء بذلة كاملة وربط عنق .. وبالرغم من انه كان يعب من كل صنف من اصناف الشراب ، لم اره مخموراً .. قط » .

ويروى عنه انه كان حين ينزل الفندق مع زوجته ، يختلي بنفسه فى الحمام ليلا .. للكتابة .. كيلا يزعج زوجته .

« وكان يصحبني معه الى مباريات الملاكمة فى شارع سنت دنيس . ولم يكن ليذهب فى سيارة خاصة ، بل يركب المترو ، لأنه كان يريد الاختلاط بالناس » .

وقد اهداه همنجواى اربع بنادق .. وكان يقول له : « رمز هي هذه البندقية .. لأنك يجب أن تقاتل فى هذه الحياة . وعندما تجابه الصعاب ، تذكر أن عليك ان تقاتل » .

ويذكر ديكوبير همنجواى كانسان منفتح ، منشرح النفس . « كان يحلو له أن يخبطنى برفق على بطني .. ثم يسالني عن احدث الالفاظ الشعبية .. وكان يتحدث الفرنسية .. بطلاقة ».





ارنست همنجواى

وكان همنجواى يقصد المشرب احيانا بصحبة الممثل «جاري كوبر» . ويحتفظ ديكوبيرباوتوجراف (توقيع) الممثل الكبير ، ولكنه لم يجرؤ ، كما قال ، أن يطلب توقيع الروائى طيلة فترة صداقتهما .

وذات مرة ابتاع رواية جديدة لهمنجواى فى طبعة انيقة مغلقة ، فعنفه همنجواى قائلا : «لماذا بددت مالك بهذه الصورة الغبية ؟ اشتر نسخة جيب (نسخة شعبية) فى المرة القادمة .. فانك واجد بها نفس الشيء » .

ويروى ديكوبير أن حادثي طائرة وقعا للكاتب فى افريقيا ، احدثا به تغييرا .. « كان موضوعه المفضل أن يتكلم عن الموت .. كان يتحدث عن الموت وكانه ينازله .. لكنه كان يخشاه ويهابه .. بشكل فظيع .»

وفى عام ١٩٦٢ سمع الساقي نبا انتحار الروائي .. فاحس كما يقول بانه فقد اهم شخص اثرى حياته ، واثر فيه . « كان من عادته ان يقول لي (عليك ان تقاتل .. والا تستسلم .. ابداً) ومازلت كلما واجهتني مشكلة افكر به واذكره .

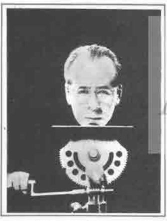
لقد طلب الي بعضهم ان اكتب ذكرياتي .. ولكننى ، إن فعلت ، لن ياتمني احد على اسراره» .

اتجاه جديد في التصوير الفوتوغرافي

فى معرض التصوير الفوتوغرافي الذى اقيم فى مركز جورج بومبيدو بباريس فى منتصف الشهر الماضي ، سجل النقاد بروز ميل حاد لدى المصورين نحو اضاءة ذواتهم ومحاولة تحقيق هوية حقيقية او مستعارة فى العالم : وابتداع اساليب جديدة فى تصوير الذات يغلب عليها طابع البحث عن مواقف يصب فيها المصور نفسه ، ويفرغ مشاعره ، ويحدد من ثمة نظرته الى العالم بطريقة اكثر مباشرة .

وبعد ان كان المعهود فى عين المصور اهتمامها بالقضايا الاجتماعية ورصد حركة العالم الخارجي ، ، اصبح المصور فيما يبدو من صور المعرض ، يستخدم الكاميرا كوسيلة لمعرفة ذاته فى تشكيل يطرح هواجس النفس ويستشف ايماءات المستقبل .

لقطة من المعرض

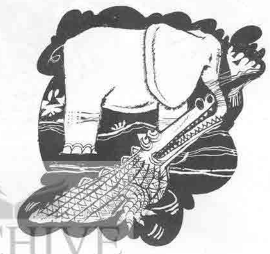


محاولة لمعرفة من خلال لقطة فوتوغرافية .

● قصـــة ●

بقلم: يوسف الشاروني

الجد والحفيد





كنت اقص على حفيدي قصة الفيل الذى لم يسمع كلام امه

ـ هل تعرف الفيل ؟

ـ نعم رأيته فى حديقة الحيوان .

ـ كيف شكله ؟

ـ له خرطوم طويل يأخذ به القروش من الأولاد ويعطيها للرجل .

ـ تقصد الحارس ؟

ـ نعم ، وأذناه كبيرتان ، وجسمه كبير أسود .

ـ عندما كان صغيرا مثلك ، كان انفه مثل انفك وأذناه مثل اذنيك . وقد نبهت عليه أمه الا يذهب الى البحر ( ) وحده لان هناك التمساح .

ـ وما التمساح ؟

ـ سمكة كبيرة جدا لها اسنان كالمنشار .

ـ جارنا عم جاد النجار رأيته يقطع الخشب بالمنشار .

ـ مضبوط .

ـ أنت لم تحك لي حكاية الفيل .

ـ لأنك تقاطعني .

ـ ماذا حدث بعد أن قالت أم الفيل لابنها أن التمساح فى البحر ؟

ـ قالت أم الفيل أن التمساح يعيش مختبئا تحت الماء فى انتظار الأفيال الصغيرة ، لكن الفيل قال إن امه تضحك عليه وأنه لا يوجد شيء اسمه تماسيح . كل ما هنالك انها تخاف عليه من الغرق ، ولهذا فهي تخيفه بكلامها عن التمساح . وفى يوم من الأيام كانت أمه مشغولة فى المطبخ تعد له طعام الغداء ، فتسلل على أطراف أقدامه نحو باب البيت ، وبحذر شديد ، وبغير أن تحس الأم ، فتحه دون أن يحدث صوتا . وما أن راى نفسه في الشارع حتى سار يقفز فرحا مسرعا نحو البحر . وهناك تذكر كلام امه ، فوقف قليلا ليرى إن كان كلامها صحيحا .

لكنه وجد سطح الماء هادئا ، ولا توجد إلا مراكب بعيدة تشق البحر . فقال في نفسه مرة أخرى أن أمه لابد وأنها تضحك عليه . وتقدم نحو الماء يريد أن يستمتع بشرب الماء منه ، ويجرب ـ إن أمكن ـ أن يعوم فيه بعد ذلك . ولكن التمساح الماكر كان مختبئا تحت المياه يراقب الفيل . وما أن مد الفيل رأسه ليشرب حتى هجم عليه التمساح ، وكانت أنفه أقرب جزء لأسنانه ، فقبض عليها التمساح وظل يشدها محاولا أن يسحب الفيل كله الى الماء ليأكله . ولكن الفيل كان قويا فقاوم التمساح ، وظل يتراجع الى الوراء بينما الفيل يشد أنفه . وأخذت أنف الفيل تستطيل وتستطيل وكل منهما يشدها نحوه ، حتى استطاع الفيل في النهاية أن يفلت بمعجزة من التمساح ولكن بعد أن استطالت أنفه وأصبحت خرطوما طويلا مدلى أمامه .

وعاد الفيل الصغير الى أمه خجلا خائفا . ودخل البيت محاولا أن يخفى جريمته ولكن خرطومه كان يفضحه . فما أن رأته أمه حتى صاحت فيه : لماذا لم تسمع كلامي ، هذا جزاؤك . ثم شدته من أذنيه لتعاقبه وظلت تشدهما وتشدهما وهو يبكي حتى كبرتا .

وهكذا كلما رأيت الفيل بخرطومه الطويل وأذنيه الكبيرتين تذكر أن هذا جزاء من لا يسمع كلام أمه .

لكن حفيدي ـ ابن الخامسة ـ بدا عليه القلق ، وقال في صوت يملؤه الشك .

ـ لكن ياجدى أنا أذهب مع بابا وماما الى بحر اسكندرية كل صيف ونعوم فيه ولا نجد أية تماسيح

يوسف الشاروني



رفاعة رافع الطهطاوي

أستاذ التنوير في الفكر العربي الحديث

بقلم الدكتور: محمد عمارة

هو رفاعة بن بدوى بن على بن محمد ابن على بن رافع .. يتصل نسبه لأبيه ، بالحسين بن على بن ابى طالب ، رضي الله عنهما .. ولأمه بـ «الخزرج» ـ من الانصار ـ ..

وكان مولده بمدينة «طهطا» بمحافظة « سوهاج » ، بصعيد مصر فى ١٥ اكتوبر ١٨٠١م (٧ جمادى الثانية ١٢١٦هـ) فى ذات اليوم الذى جلت فيه حملة بونابرت عن الديار المصرية ! ..

وبسبب الاصلاحات الاقتصادية التى انجزتها حكومة محمد على باشا (١٧٦٩ ـ ١٨٤٩) فقدت اسرة الطهطاوي امتيازات «الالتزام» ـ شكل الاستغلال الاقطاعي الزراعي الذى ساد حتى ذلك التاريخ ـ الأمر الذى اضطر والده الى النزوح عن طهطا ١٨١٣م ، عندما كان رفاعة فى الثانية عشرة من عمره ، فاقام بعدة قرى، بالصعيد طالباً العيش لأسرته ، ومهيئاً لولده السبيل لحفظ القرآن الكريم ..

وعندما انتقل الوالد الى جوار ربه عاد رفاعة الى «طهطا» ليواصل نشاته فى كفالة بيت من بيوت العلم هو بيت اخواله ـ آل الانصاري ـ .. حيث تعلم على يد علماء هذا البيت « المتون » التى كانت متداولة فى ذلك العصر ، فى الفقه والنحو وفنون المعقول والمنقول ! ..

وفى السادسة عشرة من عمره (١٨١٧م ، ١٢٣٢هـ) ركب النيل الى القاهرة فى رحلة شاقة ، استغرقت اسبوعين ، ليلتحق بالأزهر الشريف ، وفيه ظهرت أمارات نجابته ، تلك النجابة التى أعانته على اتمام التحصيل السريع فتخرج من الأزهر بعد ست سنوات ـ ١٨٢١ ـ وانتقل من موقع الطالب الى مكان المدرس فى نفس المعهد العتيد ! ..

لقد تتلمذ الطهطاوي ، بالازهر ، على شيوخ اجلاء كثيرين : الشيخ الفضالي ، الشيخ حسن القويسني ، والشيخ البخاري ، والشيخ البنا ، والشيخ الدمنهوري ، والشيخ محمد حبيش ، والشيخ البيجوري ، والشيخ احمد الدمهوجي الخ .. الخ .. ثم أصبح واحداً من هؤلاء الشيوخ .. لكن ابرز شيوخه وأكثرهم تاثيراً على فكره وعقله كان هو الشيخ حسن العطار (١١٨٠ ـ ١٢٥١هـ ١٧٦٦ ـ ١٨٣٥م) ذلك الذى أوصله العلم الى كرسي مشيخة الأزهر ، وأوصلته استنارته الى إدراك مافي الحضارة الأوربية القادمة مع علماء الحملة الفرنسية من أسباب للقوة العلمية تتطلب من الأمة أن تنهض وتترقى ، سالكة سبيل التغيير واليقظة والتجديد .. وكما كان للشيخ العطار عند الطهطاوي ـ التلميذ ـ مكانة خاصة ، كان للتلميذ ـ الطهطاوي ـ مكان متميز عند الشيخ العطار ! .. بل لقد استمرت هذه التلمذة الفكرية حتى بعد أن أصبح الطهطاوي واحداً من الشيوخ فى الأزهر الشريف ، إذ كانا يشتركان فى

مطالعة الكتب « الغربية » التى لا تتداولها أيدي الشيوخ ! ..

وبعد عامين من التدريس فى الأزهر (١٨٢٢ – ١٨٢٤م) دخل الطهطاوي سلك الوظائف « الميرية » واعظاً واماماً فى الجيش .. فلما كانت ١٨٢٦م طلب محمد على من شيخ الأزهر حسن العطار ترشيح شيخ يتولى الامامة الدينية لاكبر بعثات مصر العلمية المسافرة الى باريس ، فرشح العطار تلميذه رفاعة ، وأوصاه أن يكتب مشاهداته فى باريس ، ليقدم لأبناء امته كتاباً فى أدب الرحلات كما فعل من قبل ابن بطوطة وابن جبير ! ..

ومنذ اقلاع الباخرة بطلاب البعثة ، ومعهم رفاعة ، من الأسكندرية فى ٦ رمضان ١٢٤١هـ – ٢٤ ابريل ١٨٢٦م – شرع الشيخ فى تعلم اللغة الفرنسية ، فاتبا بذلك عن طموحه لما هو اكثر من إمامة البعثة فى الصلاة وتعليمها أمور الدين ! وفى باريس واصل دراسة الفرنسية ، فاقتطع من مخصصاته ، التى لم تتعد ٢٥٠ قرشاً ، أثمان الكتب والدروس ، مركزاً على إجادة القراءة والفهم ، كي يترجم الى العربية التى كان يجيدها ، علوم الحضارة الأوربية التى تألقت فى الفكر الفرنسي فى ذلك التاريخ .. وعندما لفتت مبادرته هذه أنظار المشرفين على البعثة ، فكتبوا عنها الى الحكومة المصرية ، قررت اضافته الى أعضاء البعثة كدارس ، فضلا عن إمامته لها فى أمور الدين ! ..

وبعد عشرين شهراً – فى ٢٨ فبراير– أول مارس ١٨٢٨م – اجتاز الطهطاوي ، بنجاح أول امتحان ، وتقرر أن يتخصص فى الترجمة من الفرنسية الى العربية ، بل وانجز ترجمة كتاب (مبادىء العلوم المعدنية) وتقويما لمصر وسورية ، وأرسلهما للحكومة المصرية ليطبعا فى مطبعة بولاق ! .. ومنذ ذلك التاريخ قرر رفاعة أن ينهض فى حياة أمته بذات الدور الذى لعبه المترجمون فى العصر العباسي ، فهو يريد تجديد فكرة الأمة وحياتها باتاحة الفكر الحضاري الفرنسي لعقول ابنائها، كما فتح المترجمون الأوائل نوافذ للعقل العربي الاسلامي على مختلف الحضارات .. لقد تتلمذ فى باريس على علماء اجلاء، منهم «جومار» و «سلفستر دى ساسي» و «كوسان دى برسفال» .. الخ .. الخ .. وقرأ لأعلام باريز ، من مثل « منتسكيو » و «جان جاك روسو» .. الخ .. الخ .. وترجم ، قبل أن يعود الى مصر سنة ١٨٣١م ، ١٢٤٧هـ ، أكثر من اثني عشر نصا فرنسيا ، ما بين رسالة ومقالة وكتاب ، كما ألف كتابه الفذ (تخليص الابريز فى تلخيص باريز) فى صورة بحث اجتاز به الامتحان النهائي الذى عقد فى ١٩ أكتوبر ١٩٣٠م ، وهو الكتاب الذى أراد به – كما قال أحد أساتذته – « أن يوقظ أهل الاسلام ، ويدخل عندهم الرغبة فى المعارف المفيدة ، ويولد عندهم محبة تعلم التمدن الأفرنجي ، والترقى فى صنائع المعاش .. » ! .. أما هو فقد سأل الله فى مقدمته « أن يوقظ به من نوم الغفلة سائر امم الاسلام ، من عرب وعجم ، إنه سميع مجيب ، وقاصده لا يخيب ! » ..

وبعد عودة الطهطاوي الى مصر ، قدم الى استاذه الشيخ حسن العطار كتابه هذا ، فقرظه ، وقدمه الى محمد على باشا ، الذى أعجب به ، وأمر بقراءة نسخته المخطوطة فى«قصوره وسراياته» ، وبعد طبعه وترجمته الى التركية وزعت نسخة على الدواوين والوجوه والأعيان ، وترتبت مطالعته فى المدارس المصرية ، فكان بداية الريادة لذلك الجهد الفكري العملاق الذى أيقظ به الطهطاوي الأمة ، ونقلها به من العصور المظلمة الى أعتاب عصرها الحديث ! ..

ومن خلال المناصب العديدة التى تولاها الطهطاوى ، وبواسطة الأعمال الفكرية الكثيرة التى ترجمها أو أشرف على ترجمتها ، وكذلك المؤسسات التعليمية والمنابر الثقافية التى انشاها أو اشرف عليها أو أسهم فيها ، من خلال كل هذه السبل والأدوات رسخت قدم الطهطاوي فى النهضة الفكرية والتعليمية والتحديثية ، كرائد لأمته فى العديد من الميادين ..

● فبعد أن عمل مترجماً فى مدرسة الطب واجهته مشكلة المصطلحات ، فنقب فى تراثنا العلمي عنها حتى بعثها وعند افتقادها كان يلجأ للعامية ، ثم كان يستعير المصطلحات الفرنسية إذا لم تسعفه العربية الفصحى ولا العامية .. ثم كانت «مدرسة الألسن» التى قامت بناء على اقتراحه ، سنة ١٨٣٥م ١٢٥١هـ ، والتى اقامها «جامعة» على غرار « مدرسة اللغات الشرقية » بباريس «لينتفع بها أبناء الوطن ، ويستغنى بها عن الدخيل ، ولتقليل التغرب فى بلاد أوربا .. » .. كانت هذه المدرسة مع «قلم الترجمة» الذى انشاه سنة ١٨٤١م النافذتان اللتان أطل منهما العقل العربي على الحضارة الأوربية بعد علة استمرت عدة قرون ! ..

● وفى ميدان البعث الوطني والقومي كان الطهطاوي رائداً بما أبدع

منتسكيو



جان جاك روسو





رفاعة رافع الطهطاوي

أستاذ التنوير في الفكر العربي الحديث

من اناشيد وطنية ، وبما نظم من قصائد سجلت انتصارات الجيش الوطني ضد الأتراك والأوربيين .. وباول متحف للآثار الوطنية ، اقترحه واقامه ، ليلفت نظر الأمة الى عمقها الحضاري ، وليجعل لآثارها دوراً في شحن اجيالها الحاضرة بالكبرياء المشروع ، كي تنهض للبناء ، وتواجه التحديات ! ..

● وفي الصحافة ، تحول بـ (الوقائع المصرية) - رائدة الصحافة العربية ، من نشرة تركية ركيكة تترجم للعربية ، الى صحيفة عربية تترجم الى التركية ، عندما اشرف عليها سنة ١٨٤٢م ١٢٥٧هـ .. كما اشرف على مجلة (روضة المدارس) التي صدرت سنة ١٨٧٠ م ١٢٨٧هـ فجعل أسرة تحريرها أشبه ما تكون بالمجمع العلمي الذي ضم ابرز العلماء في مختلف التخصصات .. هذا الى (المجلة العسكرية) التي اصدرها ، بالعربية والفرنسية ، كدورية متخصصة للعسكريين ! ..

● وفي ميدان « صنع الرجال » رعى الطهطاوي تكوين اجيال ثلاثة ، تعلموا منه ، ثم عملوا معه ، وقدموا للحركة الفكرية ، بواسطة مطبعة بولاق كنوزاً فكرية بلغ عدد كتبها اكثر من الفي كتاب خلال أربعين عاماً فقط .. على حين لم تقدم مطابع الامبراطورية العثمانية ، خلال قرن من الزمان - ١٧٢٨ - ١٨٣٠م - سوى أربعين كتابا ، اغلبها شعوذة وخرافات ! ..

● وفي التاليف انعطف الطهطاوي الى ميادين كانت غريبة على المثقف والمفكر التقليدي يومئذ ، فكتب عن التمدن في الميادين العملية ، زراعية وصناعية .. الخ .. الخ .. وفي التاريخ انتقل من «نمط الحوليات» الى التاريخ لحضارة الأمة في ترابطها بغيرها من الأمم والحضارات ، وكذلك فعل عندما كتب مؤرخاً للاسلام ودولته ورسوله عليه الصلاة والسلام ! ..

فاذا علمنا أن الطهطاوي قد ترجم في التاريخ والجغرافيا ، وفي الطب ، والعلوم ، والقانون ، والهندسة ، وايضا في الأدب والشعر ... كما الف في فنون شتى ، واتسمت مؤلفاته بالطابع الموسوعي ، وتحلت بما تميز به عصره من الترويح عن القارىء بالمُلَح والتنويع والاستطرادات ... وإذا علمنا أن مؤلفاته ومترجماته قد تعدت الستة والعشرين ، وأن بعضها قد اشتمل على عدة مجلدات ، أدركنا حجم التاثير الريادي الذي احدثه الرجل في هذا الميدان .

ويزيد من قيمة الطهطاوي ويؤكد عظمته التنبيه الى أن الطريق الذي سلكه الى النهضة والتجديد لم يكن ممهداً ، بل لقد حفل بالعديد من العقبات وتعاقبت على الرجل محن ومصاعب كانت كفيلة ببعث الياس في نفسه من الاصلاح ! ..

لقد عاصر الطهطاوي خمسة من حكام مصر الحديثة محمد على باشا (١٧٦٩ - ١٨٤٩م) وابراهيم باشا (١٧٨٩ - ١٨٤٨م) وعباس باشا الأول (١٨١٣ - ١٨٥٤م) وسعيد باشا (١٨٢٢ - ١٨٦٣م) واسماعيل (١٨٣٠ - ١٨٩٥م) .. ورغم ملاحظاته الانتقادية لبعض التطبيقات في تجربة محمد علي الاصلاحية إلا أن عهد محمد على ، بما شهد من تحولات عظمى انتقلت بمصر من العصور المظلمة الى العصر الحديث قد اتاح كل الفرص كي يحقق الطهطاوي الكثير مما في عقله وقلبه من طموح .. ولم يختلف الأمر في الشهور التي تولى الحكم فيها ابراهيم باشا .. لكن الأمر قد اختلف بعد تولى عباس باشا الأول خديوية مصر في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٤٨م (٢٧ ذى الحجة ١٢٦٤هـ) لقد كان عباس حفيداً لمحمد على ، وليس ابنا له مثل سعيد .. لكنه كان اكبر سناً من سعيد ، فسبقه الى منصب الخديوية ، الأمر الذي كان موضع معارضة من كثير من رجالات الدولة الذين عملوا مع محمد علي .. وكان عباس نفورا من الانفتاح على الحضارة الأوربية ، ومن ثم مجافياً لنهج الرجال الذين تربوا وعملوا في إطار هذا الانفتاح .. ثم انه قد تولى السلطة في مرحلة الانكماش ، إن لم تكن التصفية ، لكثير من جوانب تجربة محمد علي الاصلاحية ، ومن ثم فلقد كان تولية السلطة إيذانا بموقف عدائي من كثير من الكوادر الذين مثلوا اركان الاستنارة والاصلاح فيما تقدم حكمه من عقود .. وهكذا بدات متاعب الطهطاوي مع النظام الجديد ! .. لقد اغلق عباس مدرسة الألسن ، وعطل الصحف ، وخفض حجم المدارس والبعثات العلمية .. فما كان من الطهطاوي إلا أن أعاد طبع كتابه (تخليص الأبريز في تلخيص باريز) ؟! .. كموقف ضد هذا التحول الرجعي الذي يقوده عباس وعندما غضب عباس على الطهطاوي انزله من مكانه البارز في جهاز الدولة ، وجرده من مناصبه ، ونفاه الى السودان في صورة ناظر مدرسة ابتدائية ومعه كوكبة من ابرز علماء مصر ، نفوا هم الآخرين ، في صورة مدرسين في هذه المدرسة الابتدائية ؟! فقضى رفاعة في منفاه اربع سنوات (١٨٥٠ - ١٨٥٤م) غالب فيها عوامل الياس والخمول والاحباط .. لقد حاول الهرب من المنفى ، فلما عز عليه ذلك تغلب على سلبيات واقعه بما قدم لأبناء السودان من خدمات تعليمية ، وبما عكف عليه من


أحمد شوقي

محمد علي باشا


سعيد باشا

المطالعة ، وبالعمل الفذ ، والموحي ، الذى ترجمه وهو (مغامرات تلماك) تلك الرواية الرمزية التى الفها القس الفرنسي «فنلون» بقصد تقويم الحاكم والنصح للأمير ! ... وفى المنفى تفجرت شاعرية الطهطاوى ، فتوجه بالقصيدة الى أولى الأمر حينا ، والى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، حيناً آخر ، ولكنه عدل عن إرسال ما نظم الى الحكام ، بل لقد جاءت قصيدته التى توجه بها اليهم من نفس البحر وعلى نفس القافية التى نظمت عليه وعليها القصيدة الشهيرة التى مطلعها:

لقد اسمعت إذ ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادى ؟! ..

وعندما توفى الخديو عباس ، مقتولا وخلفه سعيد باشا فى ١٤ يوليو سنة ١٨٥٤ م أعاد الرجال الذين نفاهم عباس ، فرجع رفاعة الى القاهرة ، ليعاود نشاطه ، لكن دون كامل طاقاته .. لقد تولى عدداً من الوظائف ، فانتقل من وظيفة عضو ومترجم بمجلس المحافظة الى ناظر «المكاتب» الى ناظر ثان للمدرسة الحربية ، وناظر لمدرستى الهندسة الملكية والعمارة ، وتفتيش مصلحة الأبنية .. ومن اهم انجازاته فى تلك الفترة مشروعه لاحياء التراث العربى الاسلامى ...

لكن السلطة عادت فتنكرت له ، بل وفصلته من الخدمة فى ٧ مارس سنة ١٨٦١ م ؟! .. وظل الرجل عاطلا عن العمل لأكثر من عامين حتى رحل عهد الخديو سعيد ، وجاء عهد الخديو اسماعيل سنة ١٨٦٣ م فانفتحت الأبواب واسعة أمام الطهطاوى ، فى ظل حكم حاكم أراد مواصلة تجربة محمد على ، كى يواصل تحقيق مشروعاته الفكرية والتعليمية التى بداها منذ سنوات .. لقد شغل وظيفة «قومسيون» ديوان المدارس ـ الذى كان بمثابة وزارة التربية والتعليم ـ .. وراس مجلس المكاتب الأهلية .. وانشا قلم الترجمة ، وأصبح ناظراً له ، وانجز ترجمة القانون المدنى والقانون التجارى .. وراس تحرير مجلة (روضة المدارس) .. وتاكدت ريادته للحركة الفكرية بمؤلفاته التى الفها فى تلك الفترة ، والتى مثلت نضجه الفكرى ، وفى مقدمتها كتابه (مناهج الالباب) الذى خصصه لمعالجة قضية «التمدن» ، واودع فيه فكره الاجتماعى .. وكتابه (المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين) الذى حوى فكره فى التربية ، والوطنية ، والمدنية .. ومشروعه الطموح لكتابة تاريخ الحضارات من خلال كتابته لتاريخ الحضارة المصرية ، فى علاقاتها بالحضارات التى احتكت بها وتفاعلت معها ، وهو المشروع الذى انجز منه قسمين ، أولهما فى التاريخ القديم ـ (انوار توفيق الجليل فى اخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل) ـ ، وثانيهما فى سيرة الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، وتاريخ الدولة الاسلامية الاولى ـ (نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز) ـ ...

لكن الاجل لم يمهل رفاعة الطهطاوى حتى يكمل مشروعه الطموح ، ويحقق كل امانيه ، فاختاره ربه الى جواره يوم الثلاثاء غرة ربيع الثانى سنة ١٢٩٠ هـ ٢٧ مايو سنة ١٨٧٣ م ، عن اثنين وسبعين عاما ، حقق فيها لمصر خاصة وللعروبة والاسلام عامة فتوحات مبينة فى ميادين الفكر والتربية والتعليم ، جعلت منه الرائد العملاق الذى لم يكذب اهله فى كل هذه الميادين ! ..

لقد اراد ايقاظ العرب والمسلمين من غفلة العصور المظلمة .. وحقق الكثير مما اراد .. حتى لقد اصبح الأب الشرعى لحركة اليقظة والاحياء التى ادخلت امتنا الى عصرها الحديث .. وصدق امير الشعراء عندما خاطب ابنه علي فهمى رفاعة ، قائلا :

ياإبن من ايقظت مصر معارفه
أبوك كان لأبناء البلاد أبا ؟! ..

د. محمد عمارة



● قصــــة ●

كلمات في المدن النائمة

بقلم: سعد مكاوي

فجاة تغير المكان والزمان . مات ابى بعد ولاية دامت فى مصر عشرين سنة ، فحزمت متاعى الغالى فى حمولة خمسين جملا ، عندما دعانى عمى الخليفة عبد الملك بن مروان الى الشام ، الى ترف اكثر ونعيم اكبر . بلغ دخلى السنوى من الأراضى ومن راتبى كامير مروانى اربعين الف دينار . حاول الشباب ان يحاكى طريقتى فى اختيار ملابسى واناقة مظهرى ، وقلدوا مشيتى واسموها المشية العمرية . ثم فى ليلة انفق الخليفة على مباهجها الوف الدنانير وجدت نفسى زوجاً لفاطمة الجميلة بنت عمى امير المؤمنين . وهى محمولة على موجات النعيم والحب لم تكن تدرى فاطمة ماذا تكسب غداً . كانت طفلة النفس مدللة الوجود ، فلبست قميصاً من حرير العراق يكفى ثمنه لاعاشة الف بيت فى الف يوم ، وفى ليلة الزفاف استعرض كل منا أمام الآخر مجموعة عطوره النادرة قبل أن يحتوينا عناق صبية وصبى لا يزيد عمرهما معاً عن أربعين سنة .

تغير المكان والزمان . اين منى الآن ايام حلوان الزاهرة وليالى المدينة المنورة . فى حلوان التى احياها ابى من العدم كان الفارس الصغير وجواده الأصيل كتلة واحدة منسجمة متدفقة عبر المساحات الخضراء التى تشكل وسط الرمال المترامية واحة فائقة الجمال . كنا فى فجر الصبا انا وجوادى ، وعلينا نضرة النعيم . تتلفت الرياض عند مرورنا الخاطف لحسن منظرنا واكتمال اناقتنا ، وتنحنى بالتحية اغصان متوجة ببدائع الازهار ، وإن يكن شذاها ينطوى فى الأريج العطر الذى يعبق به الصباح من عباءة الصبى الفارس . وعند العودة من رياضة الصباح المنعشة يستقبلنا عند باب حظائر الخيل سائس مصرى لطيف ، فامسح بيدى على عنق الجواد الجميل .

ـ إنه خير ما ركبت من الجياد .

ويقول السائس وهو يستلم العنان :

ـ هو أيضاً يا سيدى يكاد ينطق بزهوه بفارسه .

ـ اتحب الخيل مثلى يا بركات ؟

ـ إنى لسعيد بأن تكون هذه هى مهنتى ، رفيق الجياد .

ـ هى أجمل ما خلق الله .

ـ وسيدى أعظم الفرسان .

أرى الصبى يربط كفل الجواد ثم كتف السائس قبل أن يطوح بشعره الناعم الطويل وراء ظهره فى اختيال ، ثم يتبختر بمشيته الفريدة فى اتجاه القصر واسمعه فى حمامه المترف يدندن بصوت حسن هانئاً بالماء الفاتر بعد الرياضة الى أن يدق عليه الباب من يخبره ان الوالد فى انتظاره ، ولا مفر من تصفيف شعرى على عجل حتى انطلق نحو قاعة الحكم التى لا يكاد يغادرها أبى .

ـ هذا انت يا عمر . كيف قضيت صباحك ؟ .

ـ مع جواد لا اخ له فى الدنيا يا أبى .

يتأمل الأب الماء المتدفق تحت نافذته .

ـ وماذا رأيت بعد من الدنيا حتى تصدر احكاماً قاطعة ؟

ـ صدقت يا ابى ، هذا اندفاع الى الراى قبل التروى ، لكنى اعدك أن أصلح هذا الخطا .

ـ الاعتراف بالخطا سمة الناضجين .

ـ إنى لا هدف لى غير النضج والرشد ، وانا كما علمتنى دائم المناقشة لنفسى .

ـ هل صحيح انك تصادق خدم حظائر الخيل والبساتين وتطيل الحديث معهم ؟

ـ نعم .

ـ وماذا يقولون ؟

ـ يقولون إن الناس يقولون .

ـ ماذا ؟

ـ يقولون إن عبد العزيز بن مروان الذى يحكم مصر واليا عليها لأخيه الخليفة عبد الملك إنسان ، وعاقل ، وعادل ، وقلما يجود بمثله بنو مروان .

أرى شفتى الأب ترتعشان ، وصوته يكاد يحتبس :

ـ يقولون هذا عنى ؟ ... إن المسئولية فادحة يا ولدى ... فادحة ... ما كان اغنانى عنها ... وددت لو انى لم اكن شيئاً مذكوراً ... وددت انى دفقة فى هذا الماء الجارى أو نبتة بارض الحجاز !

ـ الى هذا الحد يا ابى تبهظك امانة المسئولية ؟

ـ ماذا تفعل انت يا ولدى لو أن امانة كبيرة كهذه سيقت اليك يوماً ؟

يتفكر الصبى قبل أن يواتيه الرد :

ـ الحق يا ابى لم أسبر غورى كما احب .. وفى سبيل امتلاك القدرة على الرد على مثل هذا السؤال الصعب سالتك ان اترك مصر فترة لاستكمال دراستى فى المدينة .

ـ لك هذا يا عمر ، تجهز للسفر الى منارة العلم وجامعة النبوغ وارض الحكمة .

فى هذه الزيارة الأولى لها فتنت المدينة وفتنتنى بعد أن زالت عنى رهبتها الأولى . اقتحمتها بعطرى وتصفيفة شعرى وحللى المبتكرة ، واقتحمتنى بما تموج به من الوان الاستمتاع والابداع . تكلم شبابها عن مشيتى «العمرية» كما تحدث اهل الأدب والفن فيها عن قدرتى على نقد الشعر

وتلحينه وغنائه ، جذبنى عم والدتى عبد الله بن عمر بن الخطاب الى مجالس الدارسين والباحثين والعلماء ، وقادنى مؤدبى صالح بن كيسان الى متاع الروح والعقل ، لكن فتوتى شدتنى الى عالم آخر متوهج بأهل الفنون من مغنين وعازفين وشعراء ، فالمبدعون يملأون الليالى .

هذه المدينة هى منبع سلالتى الأموية التى اغتصبت الخلافة ثم بهرتها الدنيا فاتخذت الترف صديقاً والقهر رفيقاً حتى تاهت عن النبعة الطاهرة فى بحور الضلالات .

وهنا كان جد والدتى عمر بن الخطاب ملء سمع الدنيا وبصرها ، يجتهد ويعدل ويحسم .

وهنا يا مشارق الأنوار كان النبي يمشي بالفضائل ويعلم الجهال ويتمم مكارم الأخلاق ويتكلم بالكمال .

• • •

دخلت علي فاطمة وفى يدها ورقة مطوية وفى وجهها قلق مطوى .

ـ يا عمر ! قد اقبلت عليك الدنيا فوليت أمر الحجاز وانت دون الثلاثين من عمرك وحكمت المدينة ومكة والطائف أعواماً ، وما دخلت عليك مرة إلا وجدت فى صحبتك الهموم وقرأت فى عينيك هذا الحزن الذى لا افهمه .

تأملت الورقة المطوية فى يدها وتبينت عليها ختم اخيها الخليفة الوليد ابن عبد الملك ، ثم نظرت بابتسامة فى وجهها اللطيف وأنا أبحث لها عن كلمات سهلة يبلغها معناها .

ـ يا فاطمة ! .. إنما يثقل على نفسى ما اجده حولى حيثما نشر اهلنا راياتهم من قهر وفساد وعسف ، وانا أرى أن الدنيا يمكن أن تكون أفضل من هذا .

ـ كان أبى الخليفة يقول إن دنيا الناس لا تصلح بغير شىء من الشدة .

ـ كان أبوك الخليفة مسلماً قبل أن يكون حاكماً ، فلماذا لم يرد على خاطره أن الدنيا منذ عشرات قليلة من السنين صلحت وأشرقت وطابت بالصدق والاستقامة والأمن والعدل ؟

ـ معذرة يا أمير المؤمنين ، فانى لا انسى حينما اخاطبك انك رجل يقول عنه أهل العلم إن العلماء عنده تلامذة ، لكنى أرى انك تشغل ليلك ونهارك بأدق



كلمات في المدن النائمة

تفصيلات الأمور ، ولم يعد لديك وقت لما تحب من الاستمتاع بما آتاك الله من فضل لعل فى طليعته أهلك ، أولادك وزوجتك ! ... الم يكن من الأفضل أن تكتفى بالنظر فى الكليات وتترك لأعوانك الجزئيات وتنهل كما كان العهد بك من نعيم الدنيا ؟ .. هل انت قبل كل شىء إلا رجل من الرجال وعنده امراة من النساء !

ـ وهل هذا ممكن يا زوجتى الغالية ؟

ـ ما سمعت قبلك عن أمير من بنى مروان يعذبه هذا العذاب المقيم شوقه الى الكمال !

ـ اتريدين لي يا فاطمة أن أبيع ادراكى لمعنى الأمانة وفهمى لجوهر دينى بالمنهج الشرس الذى اختطته اسرتنا لحكمها ؟

ـ إن أهلنا المروانيين بدأوا يضيقون بما تقول فيهم فوق ضيقهم بفتورك فى تحصيل الأموال .

ـ إن الله بعث محمداً هادياً ، ولم يبعثه جابياً !

ـ يصفونك بالسذاجة التى لا تؤهلك للامارة كلما وصفتهم بالظلم والجبروت ... ما مصلحتنا فى هذا الصدام مع قومنا والدنيا مقبلة والزمان طائع ؟ ... انظر الى الحجاج بن يوسف الثقفى كيف اكتسب ودهم وأمن شرهم !

ـ آه ! ... هذا السفاح ! ... لو جاءت كل أمة بخطاياها يوم القيامة وجئنا نحن به وحده لرجحناها جميعاً ! ... بأى أسلوب يا فاطمة وطد لهم هذا المتجبر أركان ملكهم وأفسح فى رقعته ؟ ... وأى ملك هذا الذى تنهض دعائمه على استلاب حقوق الناس بالبغى والجريمة ؟

سكتت لحظة قبل أن تهمس :

ـ لقد وشى بك هو وغيره عند أخى الوليد .

ـ كنت أعلم يا ابنة العم انهم لن يطول احتمالهم لواحد منهم تنكشف كل عوراتهم بمجرد وجوده بينهم ... ما هذه الورقة فى يدك ؟

ـ ورقة من دار الخلافة فى الشام .

ـ أمر من أخيك الخليفة ؟

ـ نعم .

ـ أمر بعزلى من ولاية الحجاز ؟

ـ نعم .

ـ ليس هذا بالشىء الذى يستحق أن يمشى فى جمال محياك بهذه الغشاوة من الوجوم ... اجمعى حوائجك وتأهبى للسفر الى الشام .. ويل لهؤلاء الحمقى من الدنيا ومنى ... ما الذى يبقى من جوهر عقيدتنا إذا وضعنا الفساد فى مكان الاصلاح ، والظلم فى مكان العدل ، والأكذوبة فى مكان الحقيقة ؟

● ● ●

انا أمير معزول فى الرواق المروانى تقول له زوجته المحزونة :

ـ امسك هنا لسانك .

أمسك لسانى ؟ وبأى وجه ألقى بعد هذا ضميرى ؟

أيها الناس ها أنذا عمر بن عبد العزيز أنادى عليكم .

إنه ليكفيكم لكى تواجهوا المصيبة على حقيقتها أن تتأملوا طراز الولاة الحاكمين فى انحاء دولتنا .. الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، ومحمد بن يوسف باليمن ، وقرة بن شريك بمصر ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، ويزيد بن أبى مسلم بالمغرب .. امتلأت الأرض والله جوراً !

ـ اسكت ، اسكت يا عمر وكفى ما أصابنا !

جاءت لحظة على ابن العم سليمان ابن عبد الملك الذى خلف أخاه الوليد واجه فيها الموت وحوله إخوته العتاة المتربصون بالأريكة وأولاده الصغار الذين لا يصلحون للاستخلاف .. ثم لا أدرى كيف قفز اسمى فجاة على لسانه !

أنا ؟

لا يا ابن العم ، واليكم عنى جميعا ... أنا خليفة ؟

فى هذا الزمن الضال ؟ .

أنا أحمل كل هذه الأوزار فوق مسئولية كل هذه الملايين ؟ ... ألا يكفى كل هذا السرف ، والتزييف للحقائق ، وللقيم ، وهذا الضمور الشامل فى الروح وفى العقل وفى الضمير ، حتى أحمل فوقه وزر معاوية إذ يأخذ البيعة قسرا لولده يزيد وهو العارف بقماءته الروحية وغلظته الشاذة ؟ ... ألا يكفى وزر يزيد الغشوم وهو يسوم الناس العذاب والبطش حتى يعود الاسلام على يديه كالغريب ؟ ... وأوزار مروان بن الحكم ، وابنه عبد الملك ، ثم الوليد ، ثم سليمان ، ثم هذه القطعان من الولاة الغلاظ الذين اختاروهم على شاكلتهم ؟ ... لا ... لا ... أنا لست من هذه الدنيا التى يأكل بعضها بعضاً .. اعلموا أنى من طينة معاوية الثانى بن يزيد الذى فر من الخلافة حين جاءته بوصية أبيه ، فجمع الناس وقال لهم : «ما أنا بالمتقلد أمركم ولا المحتمل تبعاتكم ، فاختاروا لأنفسكم» !

مواكب من أطراف البلاد ، من الشام والحجاز والعراق ومصر واليمن والمغرب حشود كثيفة من الناس تنتظر كلمة أمير المؤمنين الجديد الذى يريدون أن يحملوه على قبول الأمانة وهو دون الخامسة والثلاثين من عمره ، ذلك الذى ترددت فى المدن أصداء كلماته .

واجهت الأمة لأول مرة :

ـ أيها الناس ! ... قد ابتليت بهذا الأمر على غير رأى منى فيه ، وعلى غير مشورة من المسلمين ، وإنى أخلع بيعة من بايعنى فاختاروا لأنفسكم .

فى ذهول تهامس الطامعون فى الخلافة من أهلى :

ـ ما رأينا من قبل مثل هذه الغفلة ، يرفض بهذه البساطة أقوى صولجان فى الأرض فى زمانه !

لكن البسطاء هبوا صارخين .

وبالأمانة طوقوا عنقى .

قلت لهم :

ـ ليكن ، ولست خيركم ، إنما أنا رجل منكم ، غير أنى أثقلكم حملا !

وفى الساعات الأولى راحت فاطمة بنت الخليفة وأخت الخليفة وزوجة أمير المؤمنين الجديد تطوف حولى ...

ـ تمهل .. أنت بهذا الذى تفعله تصفع كل مصادر القوة وتستفز كل مكامن العداوة !

راتنــى أعزل كل الولاة وأدعوهم الى دار الخلافة ليقدموا حسابهم عن الجياع والعرايا والمهزولين والمساليب ، عن مصارع المفكرين والمجتهدين والمتطهرين عن ارتقاء الأشرار والسفلة واللصوص ، عن إنفاق أموال المساكين على البذخ السفيه والترف الداعر والتآمر الحقير ، وعن حشو الدر فى أفواه الشعراء المداحين الواقفين بالأبواب ينتظرون العطايا ويسفحون عرض الكلمات .

● ● ●

أمير المؤمنين يأمر بأن يضم الى بيت المال كل مخصصات بنى مروان التى تشكل ثلث المال العام ، مع ثروتى

الشخصية وممتلكاتى ، فودعى يا فاطمة ابهى الثياب وانفس العطور واطيب الطعام واعلى القصور !

الآن دقت ساعة معرفة المسافة الحقيقية بين الكلمة والفعل ، ووجب الاكتفاء بالخشن من الثياب والطعام والرياش والمركب ، وإنه ليكفى ان يفرش لمجلس امير المؤمنين حصير يذكره فى كل لحظة بان خادم الأمة لا راحة له قبل راحة الكل .

تاملت فاطمة هذه البلوى الجديدة ، وعلى ادبها الجم وحبها الكريم كشفت عن بعض الغضب .

ـ اذا كنت انت تريد ان تنسى ايام المناعم والتألق والتعطر والطيبات كلها ، فما الذى يلزم أهل بيتك بكل هذا التقشف ؟

ـ مصدر الالتزام هو تجريد النفس للمسئولية .

ـ لكانك امسيت فاصبحت رجلا غير الرجل !

ـ كيف يعرف طعم الراحة يا فاطمة مسئول يريد أن يكون كل الناس فى راحة ؟

ـ وهل ترى أن صحتك تحتمل كل هذا الجهد مع كل هذا الشظف ؟

ـ انا فى عصمة خوفى من ضميرى ، اما انت فكان الله فى عونك !

تناولت ورقتين من امامى وتاملت السطور المكتوبة فيهما :

ـ من هى فرتونة السوداء هذه التى اهتممت بها كل هذا الاهتمام ؟

ـ هى امراة من هذه الملايين التى لم تر وجوهها ولم تر وجوهنا ، ومع ذلك يسالنا الحق عنها ويحاسبنا على صدق خدمتنا لها .

ـ ارى كلاما عن دجاج يسرق .. هل مثل هذه الأمور التافهة مما يصح ان يشغل بال أمير المؤمنين ؟

ـ وماذا يشغل أمير المؤمنين يا فاطمة غير شئون بسطاء الناس ؟ ... لقد كتبت الى فرتونة السوداء هذه من الجيزة فى مصر قائلة إن اللصوص يسرقون دجاجها وليس معها مال تصلح به حائط بيتها المتهدم ، فاستثار كتابها مكمن نفسى الداخلى حيث تقبع القيمة العليا ماثلة فى الضمير .

ـ فكتبت هذين الكتابين اليها والى واليك على مصر ؟

ـ نعم ، اقرئيهما .

قرأت : «من عبد الله عمر امير المؤمنين الى أيوب بن شرحبيل . سلام الله عليكم . اما بعد ، فان فرتونة السوداء كتبت الي تشكو قصر حائطها ، وان دجاجها يسرق منها ، وتسال تحصينه لها ، فاذا جاءك كتابى هذا فاركب بنفسك وحصنه لها» .

ثم قرأت : «من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى فرتونة السوداء . سلام الله عليك . اما بعد ، فلقد بلغنى كتابك وما ذكرت فيه من قصر حائطك حيث يقتحم عليك ويسرق دجاجك . ولقد كتبت الى ايوب بن شرحبيل آمره ان يبنى لك الحائط حتى يحصنك مما تخافين إن شاء الله» .

ثم القت بالأوراق من يدها :

ـ اما بعد فان أمير المؤمنين يكاد يطير لي ما بقى من عقلي !

رقت لها نفسى :

ـ يا فاطمة ! .. رددى كل ليلة ذلك الدعاء الذى تسمعينه منى فى هداة الفجر وانا انادى ربى : «اللهم انفعنى بعقلى» !

تنسحب معرضة ، وليست اول المعرضين ولا آخرهم فان كل من قلمت أظفاره ينفث دمدمات غضب ، لكن هناك أيضاً دعوات استبشار من المقهورين والضائعين الذين يتلقون من أميرهم كل حين كلمات تشرق بها انفسهم ، فانا اكتب الى الناس فى كل مكان : «إنى قد وليت عليكم رجالا لا اقول إنهم خياركم ، ولكنى اقول إنهم خير ممن هم شر منهم ... واى عامل من عمالى رغب عن الحق فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره اليكم !» .

• • •

فى شوارع مدينة الخلافة وساحاتها واسواقها ، وفى المدن المترامية والنجوع الضائعة والحقول النائية ، جموع تنتظر الخير وتستحقه ، وتتساءل عن المسافة بين الكلمات والأفعال .

وبين يدى امراة اتامل فى إشفاق شبابها النضر وهى تعاتبنى :

ـ لم يعد عندك وقت لنا نحن اهلك ! ... يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سرورا منذ دخلت علينا !

تاملت كلمة «سرور» وعاد قلبى يرق لامراتى ... واقفة أمام حصيرتى فى ثوبها البسيط الذى الزمتها به ، هى التى حاولت مرة أن أحسب ما انفق على ملبسها وزينتها منذ مولدها فاجتمع لي من الأرقام ما يصلح به حال مدينة !

ـ الا يكفيك ثوبان فى السنة ؟

ـ وبهذه الخشونة ؟





ـ يأتي عليك يوم يا فاطمة إن شاء الله تستطعمين فيه الخبز الجاف وانت تفكرين في الناس قبل أن تفكري في نفسك .

تأملتني كما لو كانت تشك في رجاحة عقلي :

ـ ماذا تريد آخر الأمر ؟

ـ الحق والعدل للكل .

ـ وهل من حق العدل للكل ان ياخذ في وجهه حللي وحلل بناتي حتى يستقر بها هي الأخرى في بيت المال ؟!

ـ اتفهمين إن شاء الله على مر الأيام .

ـ وراتبك كأمير للمؤمنين ؟ .. لماذا ترده هو الآخر الى بيت المال ؟ ... إن دخلك من قطعة الأرض الصغيرة التي اشتريتها بعرق الجبين لا يزيد عن مائتي دينار في السنة ، اي ثلاثة أرباع الدينار في اليوم يعيش عليها امير المؤمنين وزوجته وأولاده وبناته ! ... وجواهري المسكينة ما ذنبها هي الأخرى وهي هدية زفافي من أبي امير المؤمنين ؟

ـ انك لتعلمين من أين أتاك أبوك بها ، وهو عبد الملك الذي لم يكن يصده شيء !

ـ الأمر لأمير المؤمنين عمر .

ـ بل الأمر لله من قبل ومن بعد .

● ● ●

رأسي فوق الوسادة المحشوة بالليف يكاد يتفجر من الألم ، وفي احشائي وجع اكتمه ، وفاطمة وهي ترى اشتداد المرض بي تحوم حول مرقدي والهة حيرى .

ـ فعلها قومنا !

ـ هوني عليك يا فاطمة وجيئيني بالقلم فاني أريد أن أملي كلمات .

ـ لم يصبر بنو مروان إلا أقل من العامين ونصف العام على خلافتك الراشدة قبل أن يدسوا لك السم .

ـ الموت لا يخيف يا فاطمة ... إنه انتباه على المعرفة الكلية .

وضعت يدها على جبيني المحموم :

ـ ماذا تريد أن تكتب ؟

ـ أطمع في أن يكون أمامي وقت أتم فيه ما حاولت أن أبدأ القول فيه مع أمتي .

ـ أراك قلت كل ما عندك ... طلبت من الحاكمين أن «يقاتلوا هواهم كما يقاتلون أعداءهم» ... وذكرت المحكومين بكتبك الى الولاة والقائمين على المال والقضاء وما قلت لهم فيها : «إذا أرسلت اليكم امرأ يخالف الحق فاضربوا به الأرض واستمسكوا بالحق وحده» .

ـ لك الله يا فاطمة ، كم أرهقك موقفي من الامارة وتجريد نفسي للمسئولية !

ـ الكلام يضنيك ، فاهدأ واسترح .

الآن أصغى ملء وجودي الى خرير الماء المتدفق تحت نافذتي وأنا أقول لزوجتي التي نسيت كل ما ألزمتها به من شظف وتقشف منذ خافت على حياتي :

ـ أتعرفين يا فاطمة ما الذي أرجو له أن لا يموت بموتي ؟ ... كلمة كتبتها في يوم من الأيام لأحد ولاتي : «قد كثر شاكوك وقل شاكروك ، فاما اعتدلت وإما اعتزلت» ! .

سعد مكاوي

رسائل غير عادية

إلى تاجر شديد الطمع

بقلم : معروف رفيق

ليس كل تاجر طامعاً بمال ، في كل الأحوال ...

فهناك تاجر يقنع بالمعقول .. وهناك آخر من أنصار اللامعقول ، حتى ولو كان بائع فلافل أو فول ..

ورغم أن الاستغلال .. وأكل الحرام دون الحلال .. ممنوع ومحظور بالنصوص السماوية والأرضية .. إلا أن البعض يغمض عينيه ويستعيض عن النظر الى السماء ، بالنظر الى الأرض ..

صاحب العيال .. أكثر الناس احساساً بعمليات النصب والاحتيال ..

ولكن الغريب العجيب .. أن التاجر الجشع .. يطمع في جيب رب الأسرة .. ويحاول دائماً سلبه وغدره .. ومطلوب من صاحب العيال .. أن يفتح على الاعيبهم عينيه ، وعلى أفعالهم أذنيه وإلا ضاع بين أشداق الفك المفترس .. لأنه لم يحترس ..

بدأنا هذا المقال .. وقلنا ليس كل تاجر طماعاً في كل الأحوال ... ولكن نماذج الطماعين كثيرة .. والأمثلة على غير ذلك وفيرة .. باع احدهم كيلو واحداً من الجبن العكاوي .. بثلاثين ريالا وهو لا يساوي .. بينما يبيع تاجر آخر ، نفس النوع من الجبن بستة عشر ريالا .. الأول يربح .. والثاني يربح .. ولكن الأول طماع جشع .. والثاني تقي ورع .. وشتان بين الاثنين ...

سألوا الأول .. لماذا يا أيها الهمام .. لا تخش الكلام والملام .. ؟ قال : بضاعتي جاءت بالطيارة .. اما بضاعة زميلي فقد جاءت بالسيارة .. عذر أقبح من ذنب .. وضمير لا يخشى الرب .. قالوا للطماع : ولماذا ندفع الفرق ؟ ونغرم بدون حق ؟ .. قال سامحه الله : وهل أجبرتكم على الشراء .. يا أيها المساكين من الاصدقاء .. قالوا له بكل صراحة : تبنا وندمنا .. وفي اموالنا فرطنا .. فلقد وثقنا بك كما وثق الصديق بالصديق .. حتى بعتنا الحصى على أنه عقيق ..

هذه واحدة من كثير .. وهي تغني عن الشرح والتفسير .. ومالنا نحن أرباب العائلات .. ألا نعيد دراسة ما قرأناه من نظريات .. وأن نتقن كل أنواع الحسابات .. حتى لا نقع في مثل هذه المطبات ..

صديقنا يا من تطمع .. بالله عليك كيف تنام عينك وكيف تهجع .. اما علمت أن الجشع ممقوت ، وأنه لا يلد إلا ثمرة الزقوم ..

سامحنا وإن كنا لن نسامحك .. فلعلك تخشى الله سبحانه ، انه يمهل ولا يهمل



بورتريه للفنان
(١٩٠١)

بيكاسو في لندن

بعد مائة عام على ميلاده!

● كان معرضه فرصة للتفكير في مكانته الحقيقية كفنان في ثقافة القرن العشرين

بيكاسو في لندن

«أعمال بيكاسو تساعدنى على البقاء على قيد الحياة»
بول إيلوار

عندما مات الفنان العظيم بيكاسو فى ابريل ١٩٧٣ ، لم يترك وصية ! لكن كان هناك «وقف» بيكاسو الذى خلفه وراءه : عدد ضخم من أعماله التى اختارها بنفسه ، أخذته الحكومة الفرنسية طبقاً لقانون فرنسى جديد ، فلم يذهب الى «الورثة» .

وبمناسبة الاحتفال بالعيد المئوى لميلاده ، أقام «مجلس الفنون» البريطانى معرضاً له بلندن «بصالة هيوارد» ، حتى قبل أن يعرض بالمتحف الجديد الذى أسسته الحكومة الفرنسية خصيصاً بباريس والمعروف باسم «متحف بيكاسو» .. اختار المسئولون البريطانيون للمعرض اسم «بيكاسو يقدم بيكاسو» لأن الفنان اختار بنفسه هذه الأعمال على أساس أنها تشكل تطور حياته الفنية منذ البداية . واستمر هذا المعرض شهرى سبتمبر وأكتوبر من هذا العام .



المدخن (١٩١٤)

يعتبر المعرض الذى أقامه «مجلس الفنون» البريطانى لأعمال بيكاسو مختلفاً تمام الاختلاف عما سبقه من معارض ، لأنه أولا هو اختيار الفنان نفسه ، وهو اختيار لأعمال تعتبر علامات على الطريق الطويل الذى سلكه خيال هذا الفنان العظيم الخصب . ضم المعرض مجموعة أعمال بما فى ذلك لوحات ورسوم بالالوان وبالرصاص ومطبوعات وتماثيل وأعمال نحت مختلفة .

وهكذا كان المعرض فرصة ذهبية لتفحص «بيكاسو» الأسطورة . وفرصة للتفكير فى مكانته الحقيقية كفنان فى ثقافة القرن العشرين .

وكانت لوحات بيكاسو هى الأعمال الدائمة التى يعرضها وتباع بسهولة ، أما تماثيله فكان يضن بها ، ونادرا ما كان يرضى بمفارقتها وبيعها ، وكان اول مرة يسمح فيها بعرض أعماله فى النحت عام ١٩٦٦ . ويبدو أن أعماله هذه كان يعتبرها أطفاله المدللة الذين يستمتع بوجودهم معه وحوله

ويطرح تاريخ حياة الفنان بيكاسو عدداً من الأسئلة الهامة ، أولها ، لماذا أعجب عديد من الناس من ذوى التيارات المختلفة ، بفترات مختلفة من حياته الفنية الطويلة ؟ ولماذا يوجد هذا التباين الغريب بين الشهرة التى أحاطت بحياته ، وبين حقيقة أعماله ؟ ولماذا تتفق الآراء ، على انه يجب التسلح بنوع معين من المعرفة حتى يمكن تقييم لوحاته ؟ وفى النهاية ... لماذا يظل بيكاسو اسما عظيما كفنان هام وملهم ومدهش ؟

فلنبدأ باسم الفنان نفسه .. بيكاسو .

إن كل شخص قد سمع بهذا الاسم بهذه الطريقة أو تلك ، حتى هؤلاء الذين لا يهتمون كثيراً بالفن . ولقد شق أسمه وتوقيعه طريقاً صاعداً ، خلال حملة اعلامية مكثفة لما يزيد على نصف قرن من الزمان ، سواء كان ذلك فى المعارض أو قاعات بيع اللوحات ، أو محلات بيع الصور المطبوعة ، أو فى لوحاته التى توضع فى البنوك كضمان لقروض ، أو فى خزائن عشرات المطاعم عندما وافق بيكاسو عشرات المرات على دفع فاتورة حسابه عيناً وليس نقداً ، أى برسم صورة ما على مفرش المائدة ، ويتركها لادارة المطعم لتصبح بعد ذلك أغلى ثمنا من المطعم ذاته ! لقد تردد اسم بيكاسو على مدى نصف القرن ولحقته صفات عديدة متناقضة : «العبقرى» ... «فنان القرن» ... «البليونير» ... «الشيوعى» .. «العاشق الكبير» .. بل إن بيكاسو مازال فى الأخبار ، حتى بعد موته . وهو بذلك يظل محلا للجدل . ومع ذلك ، فمن المهم ان نفرق ما بين فنان «تصنعه»وسائل الاعلام ، وتدفع به الى عالم الشهرة مثله فى ذلك مثل نجوم هوليود تطارد الكاميرات حياتهم الخاصة ، وبين الفنان الذى «صنعته» «صناعة الفن» ذاتها . ومن خلال هذا كله يقسم مؤرخو الفن حياته الفنية الى فترات ومراحل ، انشغل فى كل منها بعدد من القضايا الاجتماعية .

الأيام المبكرة

وربما كان من الأفضل ان نبدأ



وجه امرأة (١٩٣٢)



احدى لوحات بيكاسو التى احتلت أغلفة المجلات فى لندن



الطفل والأم (١٩٠٧)

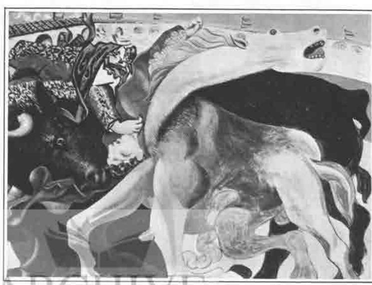
الحديث عن الفنان الذى نضج فى سن مبكرة، ووصل الى باريس عام ١٩٠٠ قادماً من برشلونة مسقط راسه . كان بيكاسو غريباً لا منتمياً . على ثلاثة ابعاد على الأقل : كاجنبى ، وكمتعاطف مع الفوضويين ، وكرسام فى وقت اظلم فيه مستقبل الرسم . وخلال السنوات التى تلت ذلك تمكن بيكاسو ان يقدم تفسيرا لخبرته فى الحياة على حافة المجتمع الفرنسي ، من خلال رسمه لأنماط مختلفة ومتداخلة من اللوحات ، حجزها واقتناها مشترون أثرياء .

رسم بيكاسو الفلاحين ، واستثمر الفقراء بكل الدلالات الرائعة للشعر والرومانسية ، والتى أبدع فى انتقائها لمعرفته المكثفة بتاريخ الفنون والآداب الأوربية . وفى لوحته المسماة «الوردة والأوقات الزرقاء» نلاحظ انه يلتزم بالتقاليد العامة للمدرسة الواقعية لفن القرن التاسع عشر ، والتى تؤكد وتبرز باستمرار ، مسالة الدلالات الاجتماعية للمادة موضع الاختيار .

يقول الناقد البريطانى «سيمون واتنى» مؤلف «الفن الانجليزى ما بعد التاثيرية» :

«كان أصحاب المدرسة الواقعية من امثال «كوربين» و «دومييه» قد اعترفوا بانقسام المجتمع الى طبقات ، فاصروا على ان يتناول الرسم القيم والاتجاهات التى تخالف مجموع القيم والأنماط التى تجدها فى نظام طبقى سائد . وليس مفاجاة كذلك ان «السادة» ردوا على هذا بعنف ، لأن ذلك يواجه سلطتهم التقليدية لتحديد دور الفن ،

بيكاسو في لندن



موت مصارع الثيران (١٩٣٣)

بل واحيانا طبيعة الفن ذاته . وكان احد النتائج المترتبة على هذا التناقض الجديد بين المصالح ، أن ظهر نوع جديد من الفنان الذى لم يعد «موظفاً» لدى سوق الفن فى المجتمع . وقد أجبر مثل هؤلاء الفنانين على أن يسلكوا سبلا ضيقة للوجود القلق المحفوف بالمخاطر على حافة البيئةالثقافية البورجوازية ، واستمروا يبحثون دائماً عن كتاب ونقاد يتخذون نفس موقفهم حتى يقوموا بتقييم أعمالهم .

«وقد انتجت معظم أعمال بيكاسو الأولى ، واكثرها شعبية ، وسط هذه الظروف . وهى أعمال صار بها الفنان حليفاً طبيعياً للطبقات الكادحة ، فى حالة نفي من الادوار والمؤسسات الاجتماعية التقليدية للرسم الأوربى» .

الخروج على التقاليد

لم يكن بيكاسو راضيا ببساطة عن المضي فى التعبير الرمزى عن الحياة الاجتماعية الفرنسية ، كأحد فنانى القرن التاسع عشر ، من خلال مجموعة الرموز الارستقراطية والدينية أساساً . هذا رغم أن المرء كثيراً ما يراه يعود من خلال أعماله الفنية ، الى الدور وذاتية الفنان فى مجتمع ضن عليه بمركزه وموقعه التقليديين .

ومن هذا المنظور يقدم بيكاسو صورة كلاسيكية للفنان المعاصر الذى يتعرض للنفي داخل مجتمعه . لكن فهم بيكاسو لحياة «حافة المجتمع» كان أكثر وعياً وراديكالية من فهم الفنانين من معاصريه : فبدلا من أن يستمر فى خوض معركة «الصراع الطبقى» على مستوى الرموز الثقافية والتشبيهات الفنية ، واصل العمل على فكرة «التمثيلية» ذاتها ، والتى تعتمد عليها الثقافة البورجوازية اعتماداً كبيراً . وما فعله بيكاسو هو انه وضع علامة استفهام كبيرة على المفاهيم التى سيطرت على الفنون الجمالية الغربية لقرون . وربما اختلف الفنانون بشدة حول الأسلوب والموضوع الفني نفسه ، لكن لم يحاول احدهم ــ قبل بيكاسو ــ طرح التساؤل حول فكرة الرؤية والادراك البصري نفسه .

وهذا هو ما تعنيه كلمة «تكعيبية» . ومعناها كما يقول بيكاسو : « إن الفنان ليس مجرد مرآة ، إنه معادل للطبيعة» لقد رفض بيكاسو فى أعماله ، افتراض ان الفن يجب أن يكون بالضرورة «محاكاة للطبيعة» ، وبرفضه هذا ، أجبرنا على ان نفكر فيما نعنيه بمفاهيم «الفن» و «الطبيعة» . وكما قال بيكاسو لأحد أصدقائه : «يجب على الفنان أن يراقب الطبيعة ، وإن كان يجب عليه الا يخلط بينها وبين الفن . إن الطبيعة يمكن ترجمتها الى فن ، فقط عن طريق العلامات» . والعلامات التى يعنيها بيكاسو هنا ، هى العملية التى يمكن بواسطتها تحويل ما تخطه فرشاة الفنان ، مقابل الأشياء المتواجدة فى الحياة الواقعية .

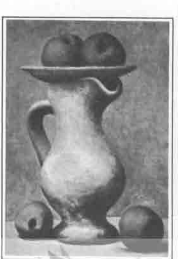
وبعبارة اخرى كان بيكاسو يستكشف القضايا التى من خلالها يمكننا أن «نقرأ» الصورة ، وهى القضايا التى نعنيها عندما نتحدث ببساطة عن «التمثيلية» كما لو كانت اكثر الأشياء طبيعية ، واقلها تعقيداً .

تغيير الواقع

ومن ثم فان رسومات وتماثيل بيكاسو «التكعيبية» ، هى عن عملية النظر ، مثلها فى ذلك مثل كونها عن «الاشياء» المفترض وجودها أمام أعيننا . فاذا نظرنا مثلا الى لوحة «آنسات افينيون» فاننانفهم على الفور ما عناه بيكاسو عندما قال لأحد أصدقائه : «إن الوجه عبارة عن عينين وفم وأنف ، يمكن توزيعها كما تحب ، ويظل الوجه وجهاً» . لكن ابتكار بيكاسو ــ الا وهو تجزئة الجسم الانسانى الى عناصر ، يمكن التعرف عليها رغم انها اعضاء بدائية جداً ــ لم يكن مجرد بدعة ، ذلك ان الوظيفة الاجتماعية للموضوع الفنى كانت لها أهمية حيوية بالنسبة له . ومن ثم فليس هناك مجال لرؤية اعمال بيكاسو على انها «تجريدية» . فحتى اذا ما وصلت رسوماته الى أبعد نقطة من التجزئة ، فهو يهتم بالدور «النشط»



قراءة الخطاب (١٩٢١)



طبيعة صامتة (١٩١٩)

للمشاهد الذى يتفرج على اللوحة . ولهذ السبب بدأ يدخل اجزاء من العالم الواقعى الى لوحاته وتماثيله ، حتى تكون اكثر شمولية . وقد استخدم بيكاسو فن «اللصق» من اوراق الاعلانات والصحف والتذاكر الخ — ومكنه هذا من أن يلعب سلسلة من الألعاب لأنماط ومفاهيم مختلفة من «التمثيلية» . فمثلا يمكن لقطعة من الورق المحبب أن تمثل المائدة ، مثلما يمكن أن تشير قطعة من ورق الحائط الى وجود الحائط كله ، ومن ثم الى وجود الغرفة باجمعها . إن هذه الدلائل البسيطة ، بالاضافة الى زيادة الاعتماد على استخدام عناصر تقليدية يمكن التعرف عليها من العالم المرئى ، هى التى تمكننا من فك رموز المعانى الأساسية فى لوحاته . وفى الوقت نفسه فمن الأهمية بمكان أن نؤكد على أن لوحات بيكاسو ذات نهايات مفتوحة ثابتة ، بمعنى أنها تعتمد على ما تراه انت نفسك فيها مثلما تعتمد على هدف بيكاسو نفسه من رسمها .

وبتحليل بيكاسو للعالم الى سلسلة لا نهاية لها من العلامات فى أعماله التكعيبية ، وبانفصاله الى الأبد عن طرق تصوير الفراغ التقليدية ، أصبح حرا منذ العشرينات فى أن يبدأ فى عملية اعادة بناء عالم جديد من صنعه ... عالم يمكن أن تحدث فيه للناس وللاشياء اكثر التحولات غرابة وخيالا . وكما فى التكعيبية ، فان الحياة ماتزال علامة دائرية واحدة ، يحتمل فى الوقت نفسه أن تشير الى سدادة زجاجة او شريحة من الليمون ، ولذا ففى أعماله الأخيرة ، وجد سروراً عظيماً فى أن يلعب ألعاباً معقدة ، وإن كانت جادة ، مع تشريح الجسم الانسانى . وبهذه الطريقة نجد انفسنا مواجهيـــن — حرفياً — بعالم الرغبة الغريزية فى صورها المختلفة .

قضايا عصره

هكذا تعتبر أعمال بيكاسو مهمة من الناحية العقلانية وكأهميتها من نــاحية ماتقدمه وما يمثله هــو . فعلى خــلاف العديدين من الفنانين الذين تأثروا بفنه ، لم يفقد هو نفسه الرؤية أبداً ، فى عالم الخبرة الاجتماعية . على العكس من ذلك تماماً ، فان عدداً قليلا جداً من فنانى القرن العشرين هم الذين ارتبطوا تماماً بقضايا عصرنا الكبرى . ومن هذا المنطلق تبدو حياة بيكاسو الفنية وكأنها انعكاس لكل مشاغل عصرنا السياسية والاجتماعية

وكما يقول «سيمون واتنى» فان : اكثر أعماله «العامة» وعياً ، هى اقلها نجاحاً ، إذ انها تمتد بصعوبة بين اهتماماته الذاتية كفنان ، واحساسه بالالتزام تجاه جمهور متفرج دائماً ما انسلخ عنه .

ان اهتمامات بيكاسو السياسية تبدو فى أعماله ، ليس من خلال الاحساس الخشن بتصوير احداث او افكار بعينها وكيف يقدم لنا عادة .

لقد حاول بيكاسو ان يغمس متفرجه بشكل مباشر فى مواقف ينظر اليها عادة على أنها «خاصة» أو «شخصية» . وقد حدث هذا بالتحديد فى الطريقة التى مثل بها احساساته الخاصة على المسرح العام من لوحاته مما يجعل منه فناناً ذا اهمية خاصة .

فقد كانت أعماله الأولى نتاجاً لاحساسه الخاص بالفقر والاستعباد الاجتماعى . واعتمدت سمعته بعد الحرب العالمية الأولى على نظام جديد تماماً لتأسيس الشهرة الفنية . ولم تكن القيمة الفنية لأعماله تعتمد على ما «يريده الجمهور» ، ولكن على تقدير النقاد والكتاب ومؤرخى الفن . ومن الناحية الأخرى ، بادل بيكاسو المجتمع التقليدى رفضاً برفض ! فقد قضى سنواته الأخيرة منفياً من هذا المجتمع المعادى بسبب ثروته وشهرته ! لذا ليس لنا أن نلوم الفنان بيكاسو اذا ما قدمت اعماله وكتب عنها بطريقة تؤدى الى ابتعاد معظم الناس عنها .

وحاول بيكاسو فى مطلع القرن أن يخلق فناً رمزياً عظيماً ، ليفسر ويكشف عن تناقضات العالم كما وجده . ولكن لغياب الموقع الاجتماعى الذى كان يمكن أن يحتله هذا الفن ، أحس أنه فشل . وفى نوبة غضب بدأ يعمل على تحطيم فكرة الفن كلية الى قطع صغيرة . ومن هذه الشظايا أخذ يعيد تجميع واحدة من أكثر لغات عصرنا الرمزية قوة وتأثيراً .

إن بيكاسو برفضه التام لمفهوم أن الفن يجب ، بل حتى يمكنه أن يكون مرآة للعالم ، فتح آفاقاً جديدة ومثيرة تماماً من الامكانيات : أمام الفنانين وأمام الناس على السواء .

مجدى نصيف — لندن





الطيور التى تهاجر فى الشتاء من بريطانيا الى امريكا وافريقيا .. ثم طائر المانكشيروتر اشهر الطيور المهاجرة .. وقافلة كبيرة من الطيور تهبط عقب رحلة شاقة !

الطيور المهاجرة
بين الحقيقة والخيال

بقلم الدكتور: محمد الغباشى ربيع

تختلف الطيور عن سائر أعضاء المملكة الحيوانية بأنها لا تستطيع صبرا على الجوع والعطش أو الاكتفاء بالقليل من الغذاء لفترات طويلة ـ بل وان ارتفاع درجات الحرارة فى اجسامها والتى تصل فى الدرجات العادية من ٤٠ ـ ٤٥م ـ وذلك بخلاف الكائنات الحية الراقية الأخرى ـ جعل الاحتراق الزائد فى جسمها يؤدى بها الى الجوع والعطش اكثر مما تتعرض له غيرها من الحيوانات .

لذا كان لزاما عليها أن تكون دائبة الأكل والشرب لتعويض هذا الاحتراق السريع الذى يتم بداخلها ـ وقد تموت بعض أنواع الطيور إذا ما تعرضت للجوع يوما واحدا ـ وهكذا فان الطيور دائمة البحث عن الطعام وتنتقل اليه من مكان الى آخر أينما كان وحيثما وجدته .

طيور البحر المهاجرة أثناء الغروب على الشاطئ .. ثم لقطة نادرة لطائر يحاول اللحاق بمجموعته التى وصلت الى الاراضي الدافئة .. ولقطة أخرى للبط والأوز المهاجر



الصقور

فاذا كانت على قمم الجبال هبطت الى الوديان والمنخفضات وإذا كانت فى الغابات رحلت الى مشارف المناطق الآهلة بالسكان ـ كل ذلك بحثا عن الطعام والشراب .

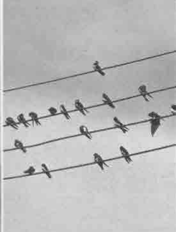
ولأن الطيور واجهت تلك المشكلات منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها ومنذ أن كتبت لها الحياة كان لابد لها ان تصارع من أجل البقاء ومن أجل الحفاظ على أنواعها من الانقراض .. ومن هنا كانت هجرتها .

رحلات طويلة

ولقد وقف العلماء منذ القدم حيارى مكتوفي الأيدي أمام تلك الرحلات الطويلة الغريبة التى تقطعها الطيور ذهاباً وإياباً فى مواسم وفصول محددة على مدار السنة بل وأثارت تلك الهجرة اهتمام العلماء ، كل واحد يفسرها على هواه ، حتى أن تلك التفسيرات جاءت فى معظم الأحيان قريبة الى الخرافة منها الى الحقيقة .. فاعتقد بعضهم أن الكوكبات تتحول فى الشتاء الى صقور ثم ترتد الى أصلها مرة أخرى فى الربيع وأن السنونـوات تقضى الشتاء كامنة فى جحور من الطين حتى الربيع ، وأن بعضاً من تلك الطيور يرحل الى القمر لقضاء الشتاء فيه ثم يعود أدراجه مرة أخرى عندما يحل الربيع .

ولما كان القرن الثالث عشر .. تنبه المهتمون بهجرات الطيور من العلماء الى حقيقة الأمر وأدركوا أنها قد تذهب لتفريخ الصغار فى جهة وتقضى الشتاء فى جهة أخرى من الكرة الأرضية .

الطيور المهاجرة
بين الحقيقة والخيال







زوار الصيف فى بريطانيا من الطيور المهاجرة .. وفى نهاية الموسم كما نرى تستعد الفراخ للتدريب على الطيران حتى تنضم الى المجموعة المسافرة .

وبالرغم من تقدم العلوم وتيسير السبل أمام علماء عصرنا لكشف كثير من الظواهر الغريبة فى هذا الكون العجيب إلا انهم لم ياتوا بتفسير واضح ومقنع لهجرة الطيور

والأمر الذى لا جدال فيه ان الملاحين والطيارين يستعينون فى سفنهم وطائراتهم باجهزة ومعدات وخرائط غاية فى الدقة لحساب الزمن والمسافات والاتجاهات الرئيسية والارتفاع وقياس درجات الحرارة والرطوبة واتجاه الرياح وعليهم ان يقوموا بانفسهم او باجهزة الكترونية وعقول كذلك بحسابات كثيرة ومعقدة مطروحة ومضروبة ومقسومة لكي يهتدوا الى معرفة طريقهم والوصول بسفنهم أو طائراتهم الى المكان المنشود بامن وامان ... ولكن اين لتلك الطيور بكل هذا او ذاك ؟!

ومن المؤكد ان لهجرة الطيور اهمية كبيرة فى حياتها تدفعها اليها وإلا ما حافظت عليها اجيال بعد اجيال تتوارثها بالرغم من ان ذلك يكلفها الكثير من الجهد وربما ذهب باعداد كبيرة منها اثناء تلك الرحلة المضنية الى الفناء .

فمما لاشك فيه ان الهجرة تمكن الطيور من استغلال الامكانيات المتوفرة كالغذاء والجو المناسب للتكاثر والتفريخ فى منطقتين مختلفتين فى المواسم الملائمة لها .

وهجرة الطيور دائما تصاحب التغيرات المناخية فكلما اتجهنا شمالا وجدنا تباينا شديدا بين درجات الحرارة صيفا وشتاء لذلك تكثر انواع الطيور المهاجرة هناك .

ولقد وجد انه مع اقتراب فصل الشتاء فى تلك المناطق وانخفاض درجة الحرارة يقل الغذاء وتختفي الحشرات التى تشكل عند بعض الطيور غذاء شهيا . ولهذا تبدأ بعض الطيور شد الرحال للهجرة الى اماكن اخرى بعيدة بحثا عن الدفء والغذاء ـ وتلك هي صفات الكثير من الطيور المائية التى تستوطن المناطق الشمالية من الكرة الارضية حيث عليها ان تهاجر الى الجنوب شتاء بسبب تجمد المياه مما تصعب معه الحياة وتختفى الحشرات ويقل الغذاء بحكم الظروف المناخية حيث يكون الحال على عكس ذلك فى الجنوب .

ولكن الامر الذى حير الكثيريـن ان معظم تلك الطيور المهاجرة تترك مواطنها والتى نشأت فيها قبل حلول الشتاء بفترات طويلة وفى الوقت الذى لا يزال فيه هناك رغد من العيش وربما كانت الثمار متوفرة والحشرات تغص بها تلك المناطق . كما ان كثيرا من الطيور تبكر بالعودة من المناطق التى كانت قد رحلت اليها بالرغم من توفر الظروف الملائمة لتسرع عائدة الى مواطن التفريخ الأصلية لها وربما جاءتها قبل ان تحل فيها الحشرات وتنضج الثمار والبذور .

وإذا كانت الدوافع الأساسية للهجرة هى البحث عن الطعام والظروف المناخية المعتدلة ، فلماذا تمتد تلك الرحلات فى كثير من الاحيان الى ما وراء تلك الحدود بكثير؟ .

فخطاف البحر مثلا والذى يسكن الجزر البريطانية يغادرها الى افريقيا قبل نهاية اغسطس اى قبل حلول البرد فى بريطانيا بفترة طويلة ـ والسنونوات واللقالق تترك موطنها الأصلي فى اوربا فى اوائل الخريف او نهاية الصيف متجهة الى جنوب افريقيا وهى فى اتجاهها هذا تعرض نفسها للمخاطر بالرغم من ان بلادها مازالت تقدم لها الكثير من الغذاء والراحة .

ثم لماذا لم يكن الاتجاه نحو شمال القارة الافريقية وليس الى جنوبها ؟



طائر الجل .. من الطيور التى تحب وطنها وتسعى دائما للعودة إليه .

ومن المعروف أن « الصغير الأمريكي » Oriole لا يقضى فى موطنه الأصلى ـ أمريكا الشمالية ـ سوى شهرين فقط (من أوائل مايو الى أواسط يوليو) ثم يغادرها الى الجنوب فى الوقت الذى لا تزال فيه تلك المناطق هدفا للطيور القادمة للتفريخ .

الهجرة دافع غريزى

ولقد ثبت للباحثين فى هذا المجال انه عندما توضع بعض صغار الطيور المهاجرة والتى لم يسبق لها الهجرة من قبل فى اقفاص وتوفر لها الظروف الطبيعية والغذاء فانها تتأثر هى الأخرى فى مواسم الهجرة حين تتجه انواعها نحو الجنوب فى هجرتها العادية فيبدو على هؤلاء الصغار حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار كما لو كانت تطالب بفتح تلك الاقفاص لتلحق باقرانها من الطيور التى شدت الرحال ـ ومن هنا يتبين لنا ان الهجرة دافع غريزى تخضع له الطيور رغما عن إرادتها .

ومن التجارب التى اجراها العلماء فى هذا المضمار وجدوا ان هناك ارتباطا وثيق الصلة بين غريزة الهجرة والدورة التناسلية عند تلك الطيور حيث انهم وجدوا ان بعض الطيور المهاجرة ممن لم تبلغ النضج الجنسي فى الأعوام الأولى من حياتها لا تعود الى موطنها بانتظام كما هو الحال عند الطيور البالغة .

وفى إحدى التجارب لاثبات ذلك قام بعض العلماء الأمريكيين بأخذ عدد من الطيور التى جاءت من المنطقة الشمالية فى الخريف ووضعوها فى غرف خاصة ووفروا لها الدفء والاضاءة الكاملة لكي تحاكي أيام الربيع حتى فى طول النهار . وكانت تلك التجارب دقيقة للغاية فوجدوا انه بعد ثلاثة الى اربعة أسابيع يتكون البيض فى مبايض تلك الطيور وتستعد لوضعه والقيام بتفريخه .

وفعلوا عكس ذلك فى الربيع بأن أخذوا طيوراً جاءت من الجنوب ووضعوها فى ظروف صناعية كفصل الشتاء من حيث درجات الحرارة وقصر طول النهار فاذا بها تختفى من المنطقة .

وهذه تجربة اخرى لبعض العلماء اجريت فى محطات المراقبة فى أوربا استؤصلت فيها الأعضاء التناسلية من بعض الطيور وتركوها تحت المراقبة فوجدوا انها هاجرت الى المواطن الشتوية مثلها مثل الطيور التى لم تستاصل اعضاؤها التناسلية .

حب الوطن

ويبدو ان حب الوطن متاصل فى الطيور كما هو الحال عندنا نحن البشر ـ فالانسان الذى يعيش فى غربته يكون مشدودا دائما بالحنين الى وطنه مشتاقا للعودة اليــــه بين لحظة واخرى . فلقد ثبت ان الطيور لا تعود الى نفس مواطن التفريخ فحسب بل في كثير من الأحيان الى نفس الحديقة وربما نفس الشجرة او الى عشها الذى قامت ببنائه فى الأعوام السابقة ـ وحتى تلك الصغار التى كان مقدرا لها ان تضل الطريق اثناء رحلة العودة فانها تعود الى أماكن تفريخها وإن اخطات فسوف يكون الخطا ليس جسيما وربما عادت الى حديقة او شجرة مجاورة لتلك الحديقة او الشجرة التى خرجت فيها فرخا صغيرا من بيضتها فى العام السابق .

ومما اثبته العلماء بالتجارب ان الكثير من الطيور المهاجرة تسلك طريق الهجرة دون تعلم ومن غير خبرة سابقة ففى بعض الأنواع تهاجر الطيور التى تبلغ الحلم لأول مرة وعمرها لا يتجاوز الستة أشهر وذلك قبل أن تبدأ به الطيور التى سبقتها الى الهجرة مرات عديدة فى السنوات السابقة ومع ذلك فانها تعرف الطريق الى الهدف المنشود فى الميعاد المحدد وربما كان هذا المكان فى جزيرة بعيدة فى المحيط الهادى او منطقة معينة فى سيبريا ، او غابة من غابات افريقيا .

ولقد اجرى بعض العلماء الألمان تجربة عن معرفة الصغار لطريق الهجرة دون قيادة الكبار من تلك الطيور فاحتفظت ببعض صغار اللقالق بعد أخذها من العش والعناية بها فى أماكن فسيحة وأبقتها حتى رحلت كل اللقالق البالغة ثم اطلقتها ـ وبملاحظتها بفضل الرادارات واجهزة المراقبة وجدوا انها تطير نحو الجنوب وكأنها قد قامت برحلات الهجرة مرات عديدة من قبل .

وعلى الطيور المهاجرة ان تتبع اثناء رحلاتها خطوط سير معينة فطرت عليها بحكم الغريزة وقلما تحيد عنها . وإذا حدث أن حادت عن تلك الخطوط فان ذلك مرجعه الى بعض التعديلات الطبيعية التى تفرضها عليها المعالم الطوبوغرافية لكي تصل الى نقطة النهاية دون ان تتعرض للكثير من الاخطار .

للطيور حواس اخرى

ولقد اثبتت التجارب ان للطيور حواسا اخرى غير تلك التى تعرفها توجهها الى الطريق الصحيح عندما يصعب عليها أن تستعين باية علامات أرضية او أن يكون انطلاقها من مكان لأول مرة ولا دراية لها بمعالم الطريق على الاطلاق .

وضمن هذه التجارب تلك التى اجراها



بعض العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية ويرويها لنا استاذ العلوم ومدير متحف التاريخ الطبيعي فى جامعة بغداد الدكتور بشير اللوس فى تلك التجارب أخذ عدد من خطاطيف البحر من نوعي سوتـــي و نـــودي – ووضعت فيها علامـات خاصة ونقلت بالبواخر من مواطن تفريخها فى جـزر من الساحل الجنوبي الغربي لفلوريدا الى مسافات واتجاهات مختلفة وبعد أن اطلقت عاد قسم منها فى خلال بضع ساعات من المسافات القصيرة (٥٥ ميلا) بينما عاد القسم الآخر من نقاط تبعد مئات الأميال عن مواطنها خلال بضعة أيام . وفى تجربة أخرى أخذ ٢٢٠ طائرا من طيور بحرية من أماكن تعشيشها فى جزيرة « كنت » فى شرق كندا الى انحاء مختلفة فعاد معظمها إلى اعشاشه الأصلية وبعضها كان على مسافة ٤٧٠ ميلا قطع منها مسافة ٣٦٠ ميلا فوق المحيط الأطلسي .

وفى تجربة اخرى على طيور بحرية من نوع « جانيتـــــس » اطلقت من مناطق غير مالوفـة لديها واجرى تتبعها بالطائرة فظهر أنها تطير أولا على غير هدى حتى يقع بصرها على دليل تستعين به فى معرفة الجهة الصحيحة للطيران .

الأشعة الخفية

وعلى أية حال فهناك عدة تفسيرات لكيفية اختيار الطريق السليم الآمن أمام الطيور المهاجرة منها ما يفسر اعتمادها على الأشعة الخفية فى عيونها وبعضها يفسر اعتمـادها على أشعة الشمس ، والبعض الآخر على ضوء القمر والنجوم الى آخر ذلك من التفسيرات . ولكن يمكن القول بأن هناك عوامل حقيقية مازالت خفية يعلمها الله سبحانه وتعالى وحده تعتمد عليها الطيور في هجرتها بالاضافة الى الاندفاع الغريزي عندها .

والطيور القوية أمثال الكراكي واللقالق والصقور والبط والوز والخواصات يمكنها أن تجتاز أعلى الجبال بينما يصعب ذلك على معظم الطيور الأخرى التى تضطر الى المرور من خلال الوديان أو الدوران حول تلك الجبال والمرتفعات .

والحال أيضا عند عبور الصحاري فان الجماعات الكبرى تسلك حدود الصحارى ووديان الأنهار أو سواحل البحار .

ومعظم الطيور المهاجرة تتجنب عبور البحار لتطير فوق سواحلها وإذا كان لابد لها من العبور فان عليها ان تختار اضيق المناطق لذا فاننا نجدها تعبرها فى منطقة جبل طارق ومضايق صقلية ومضيق البوسفور .

لكن الطيور الأخرى القوية الواثقة من نفسها ومن قوة جناحيها كالزقزاق الذهبي وخطاف البحر القطبي تشذ عن ذلك لتعبر المحيطات دون ملل او تعب ودون أن تضل الطريق وكأنها طائرات مزودة باحدث الأجهزة .

والخطاف القطبي يعتبر من اعظم الطيور المهاجرة ويبلغ طوله نحو اربعين سنتيمترا . وهو يضع البيض ويربى صغاره فى القطب الشمالي حيث لا تغرب الشمس ويقضى الشتاء فى القطب الجنوبى حيث الشمس وضوء النهار الدائم . لذا فانه يفوز باكبر قدر من ضوء النهار فى حياته .

وطائر (دخلة الحدائق) الصغير الحجم يرحل من أوربا الى جنوب افريقيا فى نصف الكرة الآخر لقضاء الشتاء هناك لكي يستمتع بفصلين دافئين فى كل عام – يتعرف على الحديقة التى امضى فيها ربيعه الماضي ويعرف طريقه اليها دون خرائط أو آلات سدس لتحديد الارتفاع أو حتى بوصلة تعينه على معرفة الاتجاهات .

ودخلة الحدائق من الطيور التى تفضل الطيران ليلا لذا فانها تعتمد على ضوء القمر والنجوم فى توجيه نفسها – ولقد اثبتت جميع الاختبارات التى أجريت عليها أن تلك هي الحقيقة – ففى مدرسة (بريما) للملاحة البحرية حيث اقيمت قبة سماوية لتعليم الطلبة الملاحة وضعت مجموعة من دخلة الحدائق تحت نفس الاختبارات التى يتعرض لها الطلبة للتعرف على الاتجاه فجاءت النتائج المدهشة فى أن طيور دخلة الحدائق تجد طريقها للهجرة دون صعوبة إلا فى حالة واحدة وهي حالة الاظلام التام للقبة السماوية .

طريقان للهجرة

وهناك طريقان هامان للهجرة عرفها المتتبعون لها والقائمون بدراستها ومعرفة خطوط سيرها على المدى البعيد احدهما يمتد بمحاذاة الشاطىء الغربي لأمريكا ، والثاني بمحاذاة الشاطىء الغربى لأوربا ثم لأفريقيا .

وللظروف المناخية أهمية كبيرة فى تحديد الطيور لأوقات الهجرة وساعات الطيران

وبعض الطيور تفضل الهجرة ليلا وبعضها يفضلها نهاراً والبعض لا يتقيد بالليل أو بالنهار فى هجرته .

ولكنه من الملاحظ أن الطيور الصغيرة تفضل الطيران ليلا وتستريح نهاراً طلباً للغذاء – ولكن الطيور الكبيرة والجوارح والطيور الصغيرة التى تستطيع أن تتغذى اثناء الطيران كالسنونوات والسمامة فتهاجر نهارا وتستريح ليلا .

وهجرة الطيور ، تبدو للبعض منا ، وكأنها أمر ميسور . ولكن الواقع عكس ذلك تماما . فهجرة الطيور مرتين على مدار السنة لاشك أنها تكلفها الكثير والكثير . لذلك قدر العلماء بأن ثلث الأنواع المهاجرة من الطيور يهلك سنويا ، إما بسبب تعرضها لاعتداء البشر عليها أو الطيور والحيوانات المفترسة ، أو بسبب العطش وضياع الاتجاه بسبب التغير المفاجيء فى المناخ أثناء الرحلة والبعض الآخر يتعرض للاصطدام بالجبال العالية او الانحراف نحو اعماق البحر بسبب سوء الأحوال الجوية ، ولكن ربما كان ذلك ضمن نواميـس الحياة وقوانين حفظ توازن الحياة البيولوجية .

ولقد أثبتت الطيور انها أكفا مخلوقات الله من حيث الهجرة ، فقد كانت هناك منذ زمن بعيد هجرات للحيوانات ومازالت لبعض أنواعها حتى الآن ، وهذا موضوع آخر إلا أن تلك الحيوانات انقرض معظمها بسبب مخاطر الهجرة ودفعت حياتها ثمنا لتلك المغامرة .

د. محمد الغباشي ربيع

في الحياة والناس والطبيعة

أشعار: نيكيفوروس فريتاكوس ترجمة: د. نعيم عطية

● ولد الشاعر اليوناني المعاصر نيكيفوروس فريتاكوس عام ١٩١١ فى قرية « اسبرطة » من اسرة ريفية فقيرة .

● نشر اول دواوينه عام ١٩٢٩ .

● يعتبر من جيل الثلاثينيات فى الشعر اليوناني الحديث ، الذى قاده الشاعر اليوناني الكبير «سيفيري» ، لكنه لم يتأثر به ، ولم يأخذ باتجاهه فى الشعر ، إذ كان «سيفيري» ينحو الى التجريدية ، بينما التصق «فريتاكوس» بالانسان ونضاله من اجل الحيـــاة .

● كان واحداً من ثلاثة شعراء عارضوا النزعة غير الانسانية . الشاعران الآخران هما : « ريتسوس » و «تيميليس» .

● من دواوينه الشعرية : « النزول الى صمت الأزمان » صدر عام ١٩٣٣ ـ « الحرب » ١٩٣٦ ـ « رحلة كبير الملائكة » ١٩٣٩ ـ « مارغريتا » ١٩٣٩ . ثم طبعت أعماله الشعرية الكاملة فى مجلدين : المجلد الأول تضمن قصائده حتى عام ١٩٥١ ، وتضمن المجلد الثاني قصائده التى كتبت بعد ذلك التاريخ .

لــو لــم تعطــني الشــعر يا ســيدي



لو لم تعطنى الشعر ، ياسيـدى
لمـا أصبح لي شيء أحيا من أجلـه
هذه الحقـول ما كانـت ستصيـر ملكي
أمـا الآن ، فأنا سعيد بشجر الزيتـون
وبالأغصان تنبثـق مـن حَجَري .
وتمتلىء راحتـاي شمسـاً ،
وصحرائي أهـلا ،
وبساتيني عصافيـر مغـردة .

● ● ●

الآن ، خبرنـي كيـف يبدو لك كـل هـذا ؟
أرأيـت سنابلـي ، ياسيـدى ؟
أرأيـت كرومـي ؟
أرأيت كم هـو جميل الضـوء الساقط على وديانـي
ولا زال لـدى مـن الوقـت متسـع !
لـم استصلـح ياسيـدي بعـد كل أراضى .
يحفـر الألم بداخلـي ، ويتعاظـم قـدري .
أوزع ضحكاتـي مثـل كسرة مـن الخـبز .
ومـع ذلـك
لا أبدد شمسـك هبـاء
لا ألقـي ممـا تعطيـني أي فتـات مهمـا ضـؤل .
لأنـني أفكـر فى عزلـة الشتاء القـادم وبرده ،
لأن ليلي سيجـيء . لأنه أضحى وشيكـاً ، ياسيدي ،
ويجب أن أكون قد أعددت كوخـي قبل أن أرحـل
معبـداً لرعـاة الحـب .

قصائد من اليونان

أجمع الفتات المتساقط

خذ أى طريق تشاء . أصعد إلى أية قمة . أسأل أية شجرة تحلو لك . اتسمعني ؟ كل دروب الأرض توصل الى قلبي .
لا يبهرنك النور فتنسى نفسك . هل تسمع ؟ تعال !
أجمع الفتات المتساقط كي أرسل اليك قليلا من الخبز .
أجمع بيدي المكسورة ما بقي من الشمس ، كي أرسله اليك كساء
علمت أنك تشكو من البرد .
أرتد يوم الفصح ثوبك الأخضر
سوف يجري الأطفال حاملين زهورا . ويطلع الحمام .





لولاك

لولاك ما وجد الحمام ماء ليرتوي
لولاك لما فجر الله النور فى الينابيع
تتناثر الكلمات في مهب الريح زهوراً ورياحين
وفى حجرك من السماوات ماء تجلبين ،
وتتقاطر الضياء .
ويجلل هامتك قمر من العصافير .

مرثية من سبعة مقاطع

(١)

تارة بطيبة قلب ، وتارة بحماقة ، وتارة اخرى بذكاء ولباقة ، معتمداً على الكلمات احياناً ، واحياناً على الأحلام ، جرب كل أوجه النشاط فى عصره تقريبـا .

كان شجرة عجوزا ، ورأى أن الكثير مما جرب سيدينـه الزمان ، لو أن الأمطار المفاجئة جاءت هادئة . هكذا كانت الشجرة تقول . بينما هي نفسها لم تكن تعرف أي الأغصان من أعماقها ستتجدد ، وَتُعِدُّ زهـرا واوراق .

على أن الشيء الذى لم يفهمه قط ، انه مضت تتكون بداخله طبقة صلبة من الآلام ، راحت تتساقط الما الما ، وتتراكم رويداً ، رويداً ، وبلا انقطاع . شيء يشبه منجماً من فحم الخشب . سيذوب مثل الجليد يوما . وعندئذ سوف تنبت بداخله ، وتغطى كل الأرجاء ، زهور سوداء .

ـ ٢ ـ

خطرت بباله اكثر من مرة ، ان ينهض من كرسيه ، ويهوي بقبضته على المنضدة ليحطمها بكـل قوة .

لكنه يعود ـ هو الشجرة العجوز ـ ويفكر . لماذا يفسد هذه التحفة البديعة الصغيرة ، ما ذنبها إن كانت قد ولدت ضعيفة لا تقوى أن تفعل الكثير ؟ مثلا ، لِمَ لَمْ تصنع كي تصبح خزاناً عند مسقط من مساقط عمرها ؟ إلا انها على الدوام ستظل فى دنيا الله المخلوقَ الصغير ، ستظل على اية حالة تحفة من تحفه البديعة .

ـ ٣ ـ

كان يقول انه سيصلح البستان . وكم من كلام فارغ قال !

كانت يداه معولين يهويان باصرار على ورق كسفوح الجرانيت .

يزرع شجراً من اجل الاطيار ، وزهوراً من اجل النحل .

كان يعرف أن البرقوق بروق للاطفال ، والبرتقال للملائكة العابرة فى الصباح .

كان يعرف ذلك . ولكن من اين له الماء والشمس والخزانات ؟

كانت الدناصير تمر ، وتمضي بالأشجار بين انيابها . والمحاربون يحطون هناك .

كل شيء كان يمر فوقه ، وتنغرس فيه عجلات العربات التى تحمل جثث الأموات .

وكان يقول « ياشمسى ! » ويحفر ، حتى ارتطم معوله بحافة الليل الذى كان قد هبط . فَتَسَمَّر . وظل فى مكانه هناك .

ـ ٤ ـ

يريد أن يتخيل العالم ، كما كان انذاك ،

عندما كان يجري فى الغرف الفسيحة ، ذات النوافذ التى تجعلك تظن انها الأفق ، متعقبا فراشة رقيقة ملونة ، تحس بدورها فى ذلك البيت بالسماء .

أو مقتفيا احد الأطيار كان يزوره ـ ليس فى وقت محدد ، بل حينما يشاء ـ يطوف مثل ملاك صغير فى الغرف .

(جبال عالية متناسقة فى الأعماق ، وأدغال خضراء ، لا بيوت على الاطلاق . غربان أو سحب صغيرة عابرة ، وأجراس ترن من قطيع جديان يرعى هنا وهناك . ولا شيء غير ذلك)

هـذا العالم تماماً ، كما كان انذاك ،

يريد أن يتخيلـه ،

ممسكاً رأسه بين يديـه ، مملوء بالذكريات والشمس والنغمات ،

مطلا على حيث تصطخب ، وتمور الهاوية المظلمة .

ـ ٥ ـ

بعد ذلك بكثير ، ادرك أن روحه مفرق طريق غريب ، وطاته آلاف الأقدام ، وطبعت عليه آثارها مسامير احذية ثقال وحفرت شتى انواع العربات بعجلاتها الضخام على اديمه الأخاديد .

مفرق طريق ، مليء بالطين المقيت ، معجون ببصاق خطباء ، ونفايات لاجئين عابرين ، ودموع شحاذين ، يقفون طوال النهار جامدين ، عميان يمدون صفائحهم الصدئة مستجدين ، والسماء تهيل عليهم امطارها ، فيذوبون .

بعد ذلك بكثير ، ادرك أنه كان بحاجة الى هذا الطين ، وأن كل ما حدث كان حسناً ان حدث ، وأنه ـ حمداً لله ـ عاش من العمر ستين ، وفعل افضل ما بالامكان ان يفعل : احب الناس حباً شديداً .

ولا يهم أن اخفق بسبب هذا الطين ، الطين الذى أنعم به عليـه ، كي يعجنه بضياء شمسه ، ويصنع نوعاً جديداً من الانسان ، على قمة جبل الأحزان .

ـ ٦ ـ

كتب حياته ، وسلم اوراقه للديـــان

لا يرفض الزمان ـ كما ترون ـ ان يتلقى من احـد اوراق .

على ان الكثير مما يتلقاه ينبذه ، وإن كان بالبعض يحتفظ .

يدرسه باهتمام ، ويغربلـــه .

ثم يدلـي بحكمــه . لا يعرف احد ابتداء باي صفة سيستقبلـه ـ وذلك إن استقبله ـ متهماً ، أم شاهداً ، أم مدعياً .

وعلى اي حال ، فهـو قد فـرغ .

كتب حياته على الورق . ووقع على ما كتب ثم نظر الى البحر والى الجبال . وانصرف يبحث عن مكان هادىء ينام فيه .

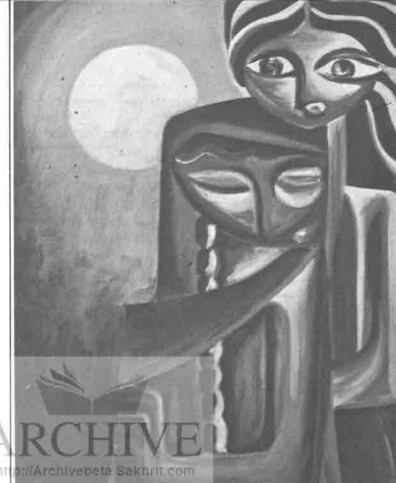
ـ ٧ ـ

مثل موجـــة تَمَـزّقَ قلبهـــا

عنـد صخـرة عاليـــة ، لمـع لحظـة

ثم حـل الليـــل محلـــه .

ترجمها عن اليونانية : د. نعيم عطية



الحركة والسكون

مع الفنان عبدالله يوسف

حركة الفن البحريني تبحث عن طريق!

أجرى الحوار: علوي الهاشمي

● : كيف كانت علاقتك الأولى مع اللوحة ؟

: يمكنني القول بان علاقتي الأولى مع اللوحة بدات منذ دخولي المرحلة الابتدائية وكانت تتسم بعفوية او سذاجة كبيرة يفرضها صغر السن وضحالة التفكير في تلك الفترة طبعا ... لكن تلك العلاقة العضوية تنامت وتطورت مع تطور التفكير ، حتى وصلت الى لحظة الدهشة وبالتالي الاكتشاف ... ذلك حتى توثقت علاقتي بشكل جدي مع لوحة « الرفض » وكان ذلك في العام ١٩٦٨ ، تلك اللوحة احتضنت فيما بين اضلاعها الاربعة اول فكرة واول اسلوب تقني ضمن تجربتي الفنية الخاصة .. منذ تلك اللوحة اصبحت علاقتي باللوحة تعني شيئا اخر يبتعد بكثير عن السذاجة وضحالة الادراك .

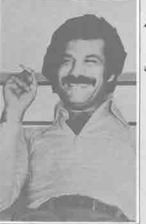
● : انت تضع قدميك بثبات وتوازن على ارضيتين : الفن التشكيلي والفن المسرحي .. ما هي الحدود المشتركة في نظرك بين الأرضيتين ؟ وما مدى ارتباط كل منهما بالاخرى ، في سياق تجربتك الفنية ، تاثرا وتاثيرا ؟ .

: الفن التشكيلي عنصر رئيسي وفعال ضمن مجموعة عناصر فنية تشكل فيما بينها الفن المسرحي بمعناه الشامل ـ فالمسرح كما قيل هو ابو الفنون ـ ومن خلال تجربتي المحدودة في الفن المسرحي ادركت أن المسرح ليس فقط ابا الفنون ، بل هو يتعدى ذلك الاصطلاح او المفهوم الى افاق ارحب واوسع . والحدود المشتركة بين الفن التشكيلي والمسرح .. عديدة ومتنوعة ، تبدا من شكل المسرح الخارجي كمعمار مرورا بصالة العرض وبرواز الخشبة وتكوينها ومرورا بالديكورات والاكسسوارات والملابس والالوان والممثلين والاضاءة والحركة .. وكل ما يمكن أن يندرج تحت ما ذكرته .. والارتباط بين كل جزء والأخر فيما اشرت اليه كارتباط الشكل بالمضمون في اى عمل فني خلاق كل جزء ينبع من الاخر ويرتبط به ارتباطا وثيقا جدا .. وكل جزء يؤثر في الاخر ويتاثر به ، واجزم بكل اقتناع بان الفنان المسرحي المبدع هو ذلك الانسان الذى يمتلك جانبا كبيرا من القدرات والامكانيات والاحاسيس المذهلة التى يتيحها الفن التشكيلي بكل عوالمه السحرية المدهشة .

● : يلاحظ على معظم لوحاتك مباشرية الموضوع والفكرة ، بحيث تبدو عناصرها وابعادها واضحة كل الوضوح منذ الوهلة الأولى . مثلا : لوحة «مذكرات بحار» يتكون موضوعها من العناصر التالية : الغواص ، الدانة او اللؤلؤة الكبيرة ، اليد ، العين ، المحارة الفارغة . ولوحة «تالف» تاتلف فكرتها من العناصر الموضوعية التالية : الصليب ، المئذنة ، السهم ، الشمس العتمة . هل تقصد من وراء كل ذلك الوضوح في طرح موضوعاتك وبسط افكارك ؟ ولماذا ؟

● : الملاحظ ايضا على لوحاتك ، في معظمها ، قوة الحدث او المناسبة التى ينطلق منها ذلك الموضوع او الفكرة ... الى درجة ان اصبحت مثل تلك «المناسبة» شرطا من شروط فهم لوحاتك والتفاعل معها بالنسبة للمشاهد فمثلا لوحة «تالف» تنطلق من حرب لبنان الطائفية . ولوحة

نبذة فنية عن الفنان عبدالله يوسف



منذ بدايته الأولى فى المرحلة الابتدائية ، كان اهتمامه يشمل عدة انشطة فنية ضمن الاطار المدرسي .. فقد كان عضوا فعالا فى جمعية الرسم والخط والنجارة والاشغال اليدوية والجمعية التعاونية ، التى كانت تهتم وقتها برسم الخرائط الجغرافية باحجام كبيرة

فى عام ١٩٦٣ تعرف على الأندية . ومارس نشاطه فى الرسم من خلال نادى الاتحاد الثقافى والرياضي بالمحرق والذى تحول فى العام ١٩٧٠ الى مسرح الاتحاد الشعبي . ومن خلال ذلك النادى تعرف على المسرح من اضيق ابوابه .

ومنذ عـــام ١٩٦٣ تركز اهتمامه فى خطين متوازيين ــ الرسم والمسرح ــ ٦٨ ، ٦٩ ، ١٩٧٠ كانت هي الأعوام الحاسمة فى بلورة رغبته الجادة فى الممارسة الفنية .. فقد ركز جزءاً أساسيا من وقته فى البحث عن الصياغة التشكيلية فى اللوحة .. ونفذ مجموعة أعمال عرضها فى اول معرض علني اقامه فى نادى البحرين بالمحرق سنة ١٩٧١ .

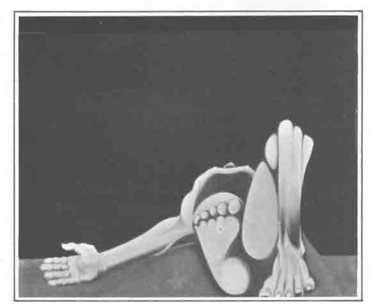
وكانت تلك السنة بمثابة البداية الجادة والحقيقة له نحو الفن التشكيلي .

في عام ١٩٧٠ طرح فكرة تاسيس كيان يمارس العمل المسرحي بشكل منظم ويحصر جل اهتمامه فيه .. وبالفعل تم تحويل نادى الاتحاد الثقافى والرياضي الى مسرح الاتحاد الشعبي .

بعد عدة شهور لاتتجاوز الأربعة حدثت خلافات حادة بين الاعضاء وانقسموا الى مجموعتين .. مجموعة واصلت انتماءها لمسرح الاتحاد الشعبي ، وقسم اخر فضل الانسحاب معه .. فخرجوا وعقدوا اجتماعاً فيما بينهم فى نفس الليلة حيث طرح فيه فكرة تاسيس كيان مسرحي اخر ، وبالفعل تم الاتفاق على تاسيس ذلك الكيان تحت اسم «المسرح البحريني» الذى تبدلت تسميته بعد ذلك الى «مسرح اوال» .

ومنذ ذلك التاريخ واصل باسلوب جاد ومركز اهتماماته بالمسرح والفن التشكيلي كل منهما يخدم الآخر ويلتحم به . وقد شارك فى عدة معارض تشكيلية . سواء فى البحرين أو خارجها .

ولا يـــزال يواصـــل السيـــر .



خطوة فى الحلم

«الحدث» تنطلق من استشهاد احد المناضلين . ولوحة «مذكرات بحار» تنطلق من حياة الغواص بتفاصيلها وشروطها . الا ترى ان مثل هذا الربط «المناسبي» من شانه الحد من اتساع الافق الانساني العام للوحة الفنية؟

: انا أعتقد بان مباشرية الموضوع مع لوحاتي ، تستنتج فى احيان كثيرة من عناوين اللوحات وفى بعض الاحيان من طبيعة وشكل التكوين الفنى فى اللوحة ، لذلك يشعر المشاهد للوحاتي منذ الوهلة الاولى بانه اكتشف ما تطرحه اللوحة من مضامين ــ من ناحيتي احرص على ابراز الحس الجمالي فى اللوحة وعلى شد المشاهد من خلال ذلك الجمال وصدمه منذ الوهلة الاولى بحيث يشعر بانه امتلك اللوحة وسبر اغوارها . ويحدث ذلك الشد الذى أعنيه من العنوان او من خلال الشكل والالوان بالدرجة الاولى . المهم ان يتوافر فى اللوحة كعمل فنى تشكيلي عنصر شد مباغت يتيح للـوحة فرصة فرض نفسها على المشاهد الذى

حركة الفن البحريني تبحث عن طريق!

بالتالي يستهويه حب البحث والاكتشاف ، فيحاول التمعن كثيراً في الاشكال والالوان المعروضة امامه ، وبناء على تكوينه النفسي والثقافي تبرز أمامه عدة استنتاجات وتحليلات تكون في كثير من الاحايين ابعد بكثير عن المباشرية التي فوجيء بها في البداية .

وفي رأيي بان اى عمل فني لا يتيح للمتلقي في عالمنا الثالث تلك الفرصة فانه يظل في حدود الشكل . كما انني اعتقد بان قوة الحدث او المناسبة التي تنطلق منها مواضيع لوحاتي ، لاتحد من اتساع الافق الانساني العام للوحة ـ ذلك ان الأساليب الفنية الحديثة تختزل الافكار والاشكال في رموز وتكوينات فنية ايحائية تحاكي العين والتفكير مجتمعين وليس العين فقط .

● : تتراوح لوحاتك فيما بينها من ناحية الأسلوب الفني والتصميم ، خاصة فيما يتصل بالخط واستخدام اللون . ماذا يعني ذلك في سياق تجربتك الفنية ؟ وهل هو يعكس حالة نفسية معينة ؟ .

: ذلك يعني انه اول اسلوب تعرفت عليه ووضعت من خلاله لوحاتي . وكان جديداً على الحركة الفنية في البحرين ... وقد بدا ذلك واضحاً من خلال اشتراكي لاول مرة في المعرض السنوى الذى تقيمه الوزارة وكان ذلك في المعرض الثاني عام ١٩٧٣ . وقد كانت اراء الجمهور والزملاء الفنانين متفقة على ان اسلوبي كان جديداً ومغايراً لكل الاساليب المطروحة في الساحة الفنية التشكيلية المحلية.

كان ذلك دافعاً مفرحاً وقوياً لي كي اواصل معالجتي التشكيلية بنفس الأسلوب الذى استطاع ان يكون حوله جمهوراً يناقش ويحلل ويطلب المزيد . ولقد توغلت زمناً يتجاوز العشر سنوات في دهاليز ذلك الأسلوب ، حتى صرت اشعر حاليا برغبة عارمة في الانطلاق من خلاله نحو اساليب ومعالجات اكثر زخماً وعطاء .

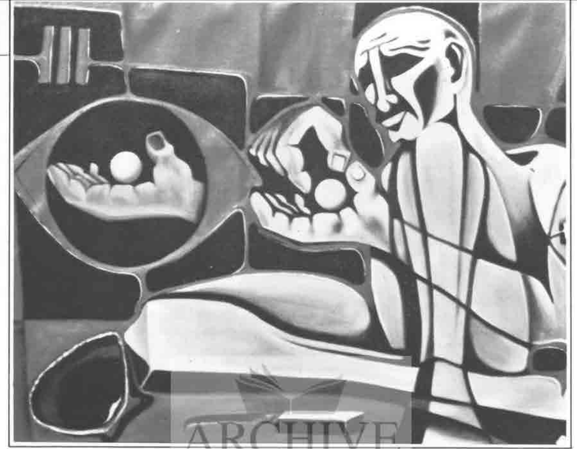
اما الجزء الثاني من السؤال والمتعلق بما إذا كان ذلك الاسلوب يعكس حالة نفسية معينة ... فانني اعتقد بان النتاجات والأعمال الفنية في اى مجال من مجالات الابداع الانساني الفني تكون بالضرورة انعكاسا لحالات نفسية صادقة بقدر ما فيها من صدق واصالة .. كما انني اثق تماما بان كل عمل فني صادق واصيل ، يتخلق نتيجة حالة شعورية ونفسية يعيشها ويعانى سوراتها اى فنان صادق ... وما عدى ذلك فهو محض ثرثرة .

● : في نظرك هل هناك

الحديد ساخن فلا توقف الطرق



الحدث



من مذكرات بحار .

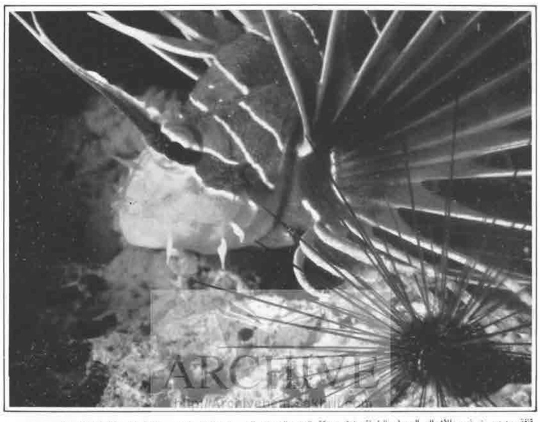
الرأس

خصوصيات مميزة للوحة التشكيلية في البحرين . وما هي ؟

: الحركة الفنية التشكيلية في البحرين لازالت حتى اللحظة الراهنة تبحث لنفسها عن المستوى المطلوب سواء في المضامين او التقنيات . نحن في البحرين لازلنا نناقش ونتساءل عن المستوى الذى توصل اليه الفنان التشكيلي من التجربة والحضور في الساحة ، هل هو يقترب بمستواه الفني من العتبات الجيدة أو المتوسطة أو المتدنية ؟ بمعنى اخر اعتقد بانه من المحال ان تتوحد خصوصيات مميزة للوحة التشكيلية في البحرين ما لم يستقر الفنانون بمستوياتهم عند العتبات الجيدة .... لازال كثير من الفنانين رغم التجربة الطويلة في الممارسة الفنية والعرض تتعرض مستوياتهم في معظم الأحيان للاهتزاز والضعف والهزال . إذا بوضع كهذا لا نستطيع ان نرصد باى حال من الأحوال خصوصيات مميزة للوحة التشكيلية في البحرين ... في رأيي ذلك مطمح بعيد جدا ، لا يمكن ان يتحقق مالم يتحقق للحركة التشكيلية مستوى راق من الإبداع الفني في المعالجة والطرح .... ومالم يتمكن الفنان التشكيلي من الارتقاء بمستواه الفني والثقافي والفكرى . اخيرا يمكنني الجزم بانه لا يمكن ان تتبلور خصوصيات مميزة للوحة التشكيلية في البحرين مالم تتبلور خصوصيات مميزة راقية لكل فنان تشكيلي يمتلك رصيدا زمنيا كبيرا من التجربة في الممارسة العملية والعرض والشهرة

علوى الهاشمي البحرين


الحياة
والموت
في بحر ملوّن

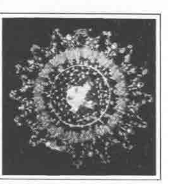


قنفذ بحرى من ذوى الأشواك السوداء الطويلة وفوقه سمكة الجنح الشهيرة التى تشبه الديك الرومى عندما تنشر أشواكها السامة .

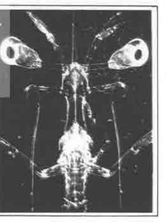
بقلم : صنع الله إبراهيم

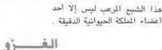
يعتبر البحر الأحمر ، الذى يقع فى قلب العالم العربي ، من أكثر البحار اثارة فى العالم ، سواء من حيث تاريخه السياسي أو تكوينه الجيولوجي أو موقعه الجغرافي .
هذه الخصائص بالذات جعلته ينفرد بثروة حيوانية نادرة ، ومتنوعة ، لم تحظ للأسف الى الآن بالاهتمام الكافي من جانب الأقلام العربيـــة .
وفى هذا الموضوع والموضوعات القادمة تحاول «الدوحة» تلافي هذا النقص بمغامرة مثيرة ، تنقل عالم البحر الأحمر لأول مرة الى مجال الابداع الفني ، فى قصص شائقة ، تستند الى نتائج أحدث الدراسات العلمية .
وهو النهج الذى اتبعه كاتبها فيما نشر له حتى الآن من قصص علمي ، أصدرتها دار الفتى العربى البيروتية ، وتناولت عوالم العناكب والنحل واليرقات والحيتان والدلافين .

الحياة والموت في بحر ملون



عضو آخر من مملكة الحيوانات الدقيقة .





هذا الشبح المرعب ليس إلا احد اعضاء المملكة الحيوانية الدقيقة .

جزء صغير من الجدران الملونة التى تمتد على شاطىء البحر الأحمر

الغـــــزو

كانت مياه الشاطىء مغطاه بمادة لزجة منفرة ، خضراء اللون .

وتحت السطح ، أكتست الصخور المنحدرة نحو الأعماق ، لونا غير مالوف هو اللون الرمادى .

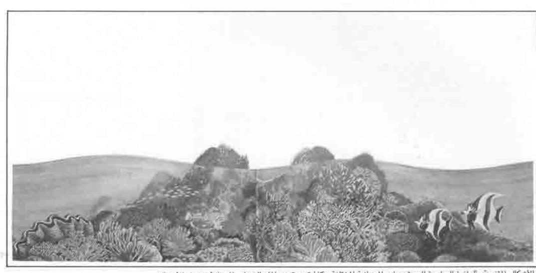
وبينها ، زحفت عدة مئات من السراطين فى بطء شديد . توقف بعضها عن الحركة تماماً ، عندما انفصلت سيقانه ووقعت في الماء .

وهنا وهناك تناثرت المحارات من ذوات الصدفتين ، وقد التصقت الطحالب بفتحاتها المنفرجة ، ونمت أنواع من بكتريا العفن على اللحم الميت داخلها .

وبدت الطحالب ذاتها متجعدة مجردة من الوانها اللامعة . وهو ما حدث ايضا لنجوم البحر ، التى كانت منذ اسابيع قليلة تزهو بالوانها البرتقالية والحمراء والزرقاء ، وهي تتنقل فى نشاط بين الصخور ، فى حركات رشيقة ، تصل عند بعض أنواعها الى مرتبة الرقص .

وتساقطت يرقات الاسماك ميتة الى القاع . اما الأسماك فعامت الى جوار الشاطىء فاغرة الأفواه . تتحرك خياشيمها بسرعة ، كانها تجد صعوبة فى التنفس .

ووسط مظاهر الهلاك هذه ، لم يكن بوسع تلك الحيوانات الجميلة الشبيهة بالزهور ، أن تحيـــا .



الأشكال المتنوعة بألوانها الساحرة للمستعمرات المرجانية المختلفة هكذا تبدو تحت الماء الشعاب المرجانية وتحمل الأسماك المستوطنة ألوانا زاهية أيضا . ويظهر الى اليسار نموذج نادر من حيـــوان البحر العمـــلاق ذو الصدفتين .





عندما تنكمش البوليبات فى مستعمرة المرجان المعروف باسم مروج البحر ، تبدو مثل النقط الحمراء فوق اللحم البرتقالى (الصورة الأولى) وفى الليل تتمدد لتتغذى ، فتبرز من مكامنها بأجسامها الشفافة لتخفف من اللون البرتقالى الساطع للحم المستعمرة (الصورة الثانية)

عندئذ ، لم يعد أمام قنافذ البحر ذات الأشواك الطويلة السوداء ما يدعوها للبقاء ، وشرعت تزحف مبتعدة .

• • •

وقعت هذه المأساة الصغيرة عند مدخل خليج العقبة ، حيث تجمعت مع الزمن كتلة من النفايات الطافية ، استقطبت كل ما تقذفه السفن العابرة من زجاجات وفوارغ ومعلبات وأكياس بلاستيكية .

وذات يوم انضمت اليها طبقة من البترول التى تسربت من إحدى الناقلات . وتكونت من الاثنتين ملاءة سميكة ، حجبت الضوء والأوكسجين عن الكائنات الحية تحت سطح الماء .

ولأن البحر الاحمر بحر شبه مغلق ، لم تتمكن تياراته من أن تجرف الكتلة المدمرة بعيداً نحو المحيط ، والتصقت بالشاطىء ناشرة الموت بين أحيائه .

إلا أن تأثيرها لم يكن قاصراً على مدخل الخليج وحده . فقد كانت مسئولة بشكل غير مباشر عن مأساة أخرى صغيرة جرت على امتداد الشاطىء العربي للبحر الاحمر نحو الجنوب ، على مبعدة ٢٥٠ كيلومترا .

• • •

اتجهت القنافذ جنوبا تبعا لاتجاه

الحياة والموت في بحر ملون



مستعمرة من المرجان المعروف باسم النارى او اللاسع ولا تظهر البوليبات فى الصورة

حركة الطبقات العليا من المياه ، التى تاثرت بدورها برياح صيفية تهب على طول البحرين الخليجين الى باب المندب.

على انها كانت تدرك ايضاً ـ بذلك الحدس الذى يتولد عند الحيوانات من الرغبة فى البقاء ، والمعرفة التى تتجمع عبر ملايين السنين ـ ان الاتجاه شمالا حيث الخليج المغلق الضيق ، الذى تقطعه السفن جيئة وذهاباً طول الوقت ، لن يعود بغير المزيد من التلوث .

واثبتت الأيام التالية صدق حدس الحيوان الصغير .

كانت جماعاته تتحرك ليلا وتهجع نهارا . فما إن تشرق الشمس ، حتى تهبط الى الأعماق البعيدة عن الضوء ، فتحفر لنفسها بين لب الرمال والصخور ، أو تنزوي فى الشقوق والفجوات . ثم تستانف السير مع حلول الظلام .

وبالتدريج أخذت المياه تصفو ، وتمتلىء باشكال الحياة المتنوعة . ولكن القنافذ واصلت السير . فاحيانا لا تتوفر كميات كافية من ذلك الحيوان الجميل الشبيه بالزهرة ، الذى خرجت تبحث عنه لتتغذى على لحمه الرقيق .

واحيانا أخرى تكون المياه ضحلة ، مرتفعة الحرارة .

وهو ما كان يدفع جماعات اخرى من القنافذ ـ ينتمي بعضها الى أنواع مختلفة تتميز باشواكها القصيرة والوانها الارجوانية ـ الى الهجرة والانضمام الى الجيش الزاحف .

وسواء كان الحماس نابعاً من كثافة جموعها أو شعورها المتزايد بالجوع ، فانها كانت تتحرك الآن باقصى سرعتها بعضها كان يتقدم على اقدامه الأنبوبية الرفيعة . والبعض كان ـ بدافع الرغبة فى الاسراع ـ يلجا الى اشواكه ، فيتدحرج فوق اطرافها .

والنتيجة انها اصبحت تقطع قرابة نصف الكيلومتر فى الساعة الواحدة . وهي سرعة فريدة بالنسبة لحيوان بغير رأس أو عينين .

والواقع أن قنافذ البحر تنتمي الى واحدة من أكثر المجموعات اللافقرية تقدماً . وتتوفر أدلة قوية على أنها تمثل حلقة هامة فى العلاقة بين هذه المجموعات ، والسلالة الفقرية التى خرج منها الانسان .

فجسمه الصغير الذى لا يتجاوز فى حجمه أو شكله حبة من حبات الطماطم ، يتالف من كتلة من اللحم الطيب ، تحيط بها علبة جيرية ذات فتحتين : واحدة على السطح السفلى ، بين الأقدام ، هى فتحة الفم . والثانية تقابلها على السطح العلوى وهى فتحة الشرج .

لكن غابة من الأجهزة المعقدة ، واسلحة الدفاع والهجوم تنتشر على سطح هذه العلبة ، فتكذب منظرها البسيط .

فمن الفم تبرز الاطراف المدببة الصلبة لخمسة أسنان بيضاء مقوسة ، تصطف بصورة دائرية حول فتحته . وتحيط بالفم حلقة من الخياشيم ، ثم مجموعة من الملاقيط الصغيرة ، دائمة الحركة ، تنتهى بثلاثة فكوك صغيرة تماثل مناقير الطيور ، يحتوى بعضها على غدد سمية .

وتأتي بعد ذلك خمسة صفوف مزدوجة من اقدام انبوبية مطاطية ، قادرة على التمدد ، تنتهي بممصات يمكن أن تلتصق باى سطح صلب .

وعلى الجسم كله تنتشر أجسام مستديرة دقيقة ، كالعيون ، تحتوى على خلايا الاحساس المتصلة بشبكة عصبية

ويتخلل هذا كله ، عدد لا يحصى من الأشواك الاسطوانية المدببة ، ذات الصلابة البالغة ، يتراوح طولها فى بعض الأنواع ٢٥ و ٤٠ سنتيمترا ،



سمكة شائعة بالبحر الأحمر من عائلة الخنزير .. تستطيع أن تقضم أشواك القنفذ البحرى شوكة شوكة

وترتكز على الجسم بمفاصل تسمح لها بالدوران فى قواعدها .

فاذا اقترب جسم ما من أية ناحية ، فانه يحدث تغيرا مفاجئا فى درجة الضوء الذى تستقبله خلايا الاحساس على سطح القنفذ ، وعلى الفور تدور الأشواك حول محاوره . كالمدافع الصاروخية الحديثة ، لتتجه فى ايماءة تهديدية نحو الجسم الغريب وتتابع أى حركة تبدر عنه .

● ● ●

على مبعدة نحو مائتين وخمسين كيلومترا جنوبا ، كان الشاطىء الذى تحف به سلاسل جبلية ملونة بالأسود والأحمر ، ينحنى فى شبه مرفأ صغير ، يسمى بالشرم ، صنعه فى الماضى مصب واد من أودية الصحراء العربية .

وعندما تنحسر مياه الجزر ، تتكشف بالتدريج طبقة طينية قبيحة المنظر ، ملاصقة للشاطىء ، وتمتد فى البحر عدة مئات من الأمتار .

ولكن ما إن يصل هذا الامتداد الطينى الى اقصى نقطة له فى عرض البحر ، ويبدأ فى الانحدار نحو الأعماق ، حتى تتغير الصورة تماما ، إذ يختفى الطين تحت اغطية من الألوان الارجوانية والذهبية والبنفسجية التى تمتزج مع زرقة البحر الشفافة فى لوحة رائعة التكوين .

ولا يستمر هذا الجدار الملون ، الذى تبرز منه شرفات هائلة تغطيها الأشجار الى اعمق من ستين مترا ، يواصل الشاطىء هبوطه بعدها فى صخور صماء فوق سلسلة من الدرجات يتراوح ارتفاع كل منها بين مائة وأربعمائة متر حتى الظلمات الباردة للبحر الساخن ، الذى يزيد اقصى عمق له على الألفى متر بقليل .

أما كتلة الجدار نفسها ، التى تشكل الطبقة الطينية سطحها العلوى ، فعبارة عن منصة هائلة تالفت على مدى ملايين السنين من تراكم الهياكل الجيرية لعدد من الحيوانات التى تتمتع بالقدرة على امتصاص املاح الكالسيوم الذائبة فى الماء وإعادة افرازها من جديد فى هياكل متنوعة السمك والشكل تحيط بها نفسها .

وأمثال هذا الجدران الجيرية الملونة التى تعرف باسم الشعاب المرجانية ، توجد فى اماكن كثيرة من عالمنا : حول استراليا ، وفى البحر الكاريبى . وعلى شواطىء المحيط الهندى ، بل وفى البحر الأبيض المتوسط .

إلا ان الطبيعة خصت البحر الأحمر ، وشاطئيه اللذين يمتدان أكثر من الفى كيلو متر ، بعدد من اقدم هذه الجدران ، وأكثرها تنوعا فى الألوان واشكال الحياة

ويعود السبب الى ما تتمتع به مياه هذا البحر من خصائص فريدة على راسها الدفء وثبات درجات الحرارة (التى لا تهبط عن ٢٠ درجة مئوية على مدار العام) ، والملوحة الزائدة وانعدام

الحياة والموت في بحر ملون

الأمطار .

وهي الشروط التى تحتاج اليها أشكال الحياة بالشعاب ، المتحرك منها كالأسماك والسراطين ، والثابت في مكانه لا يريم كالاسفنج والمرجان .

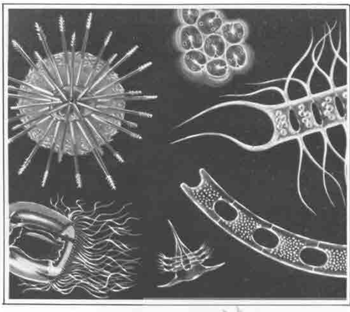
وعلى اساسها قام هذا المجتمع المغلق الذى تربط بين افراده عديد من العلاقات المعقدة المتشابكة ، سداها التعاون والتكافل حيناً ، ولحمتها الاستغلال الذى يصل الى درجة الافتراس فى الأحيان الغالبة .

● ● ●

ويحتل مركز الصدارة فى هذا المجتمع حيوان صغير الحجم للغاية ، حتى أن قطره لا يزيد احياناً عن ملليمترات قليلة ، ولا يتجاوز ارتفاعه عدة سنتميترات ، يتواجد غالباً فى مستعمرات من عدة مئات او الاف ، لا يزيد حجم اغلبها عن ثمرة ناضجة من ثمار البطيخ . ويماثل الزهرة فى شكلها الخارجي وألوانها ، لكنه لا ينتمى الى مملكة النبات ، وهو فوق ذلك كله من آكلي اللحوم المفترسة ، رغم ضعفه الشديد ، إذ تكفى لمسة من انسان او حفنة من رمال للقضاء عليه .

يطلق الناس على هذا الحيوان اسم «المرجان» ، ولكن الدقة العلمية تفرض علينا أن ندعوه باسمه : «البوليب» .

والبوليب كلمة فرنسية الأصل تعني «أقداماً كثيرة» . وهو وصف غير دقيق للحيوان البحري الذى لا يملك قدماً واحدة ، وينتهي جسمه الاسطوانى القصير من أسفل بقاعدة ملتصقة بالصخور . ومصدر الاسم فى الغالب هو الطرف الآخر لجسم الحيوان الذى ينتهي بقرص أفقى ـ كالزهرة ـ تتوسطه



كل شكل من هذه الأشكال الغريبة عبارة عن «دياتوم» أونبات دقيق الحجم للغاية بحيث لا يرى بالعين المجردة ومع ذلك فهو أساس الحياة الحيوانية فى البحر .

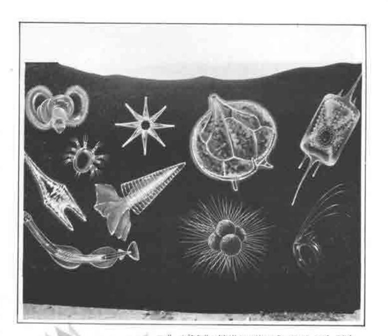


مستعمرة مرجانية كما تبدو بالليل وقد تمددت البوليبات واستطالت وانتشرت ملامسها المزودة بخلايا لاسعة . ووسط راس كل بوليب تبدو فتحة الفم الدقيقة .

فتحة الفم (وهي فتحة الشرج فى نفس الوقت) ويحيط بها عدد من الأصابع القصيرة ، سهلة الحركة ، تشبه بتلات ممتلئة لزهرة ، يطلق عليها اسم اللوامس .

هذا الجسم المكون من مادة هلامية ، ليس أكثر من جهاز هضمي مجوف تحيط به طبقتان من الخلايا : واحدة داخلية تفرز العصائر الهاضمة ، والأخرى خارجية تفرز الجير ...أحيانا .

ذلك أن البوليب أنواع . بعضها ينتمي لحيوان مختلف تماماً هو المعروف باسم الشقائق البحرية . اما البقية فتتوزع على مجموعة من الحيوانات



أشكال أخرى لا ترى بالعين المجردة للنباتات الدقيقة في البحر .

المتشابهة ، أحدهما فقط هو المرجان الحقيقي ، وهوالذي يفرز بوليبه هيكلا خارجياً من الحجر الجيري ، ولا يعيـش إلا في مستعمرات من آلاف الأفراد أو البوليبات .

أما البوليبات الأخرى فمنها ما يتميز بلين الهياكل التي تكونها عندما تتفرع ، أو بمادتها القرنية التي تشبه مادة ظفر الانسان . وبعضها يعيش في مستعمرات ، والبعض الآخر يعيش منعزلا عن الآخرين . وتدعى جميعاً بالمرجانيات . ومنها المرجان الأحمر الثمين الذي لا يوجد في البحر الأحمر ، وانما يتكاثر على شواطىء المغرب العربي .

وبقدر تعدد انواع المرجانيات والوانها ، تتعدد ايضاً أشكالها وتتباين ، فهناك مراوح البحر ، واقلام البحر ، وقرن الغزال ، والمخ ، وعيش الغراب ، والكاس ، والكف ، والأرغن ، ودم الأخوين .

● ● ●

وإذا كان البوليب هو مركز الحياة في مجتمع الشعاب ، فان الشمس هي حاكمه العسكري .

فالبوليب لا يتحمل البرد الشديد بمثل ما لا يتحمل الحرارة الشديدة أو الضوء المباشر لأشعة الشمس .

والنتيجة ان المملكة المرجانية الحية لا تغامر بالبروز فوق سطح الماء ، ولا تمتد نحو الأعماق ابعد من ٣٠٠ متر في العادة ، عندما يتلاشى آخر اثر للأشعة فوق البنفسجية .

وطالما كانت الشمس ساطعة ، انكمشت البوليبات وغطت اجسامها بملامسها ، او اختفت داخل كؤوسها الحجرية .

وعندما تغيب الشمس ، تدب الحياة في ملايين البوليبات ، فتتمدد وتنتفخ ، وتبرز من كهوفها الصخرية ، وتنبسط لوامسها وتخفق : تستيقظ لتاكل وتتناسل وتموت .

انتشر الظلام في الطبقات العليا للبحر ، انعدمت الرؤية بين الشعاب ، وهو أمر لا اهمية له في عالم يعتمد سكانه على وسائل أخرى أكثر فعالية من الرؤية المباشرة .

مثلما كانت تفعل الآن ملايين البوليبات الجائعة المنتشرة على الشعاب ، والتي كانت لوامسها تخفق في الماء وتتموج في حركة دائرية ، الهدف منها هو التقاط ابناء مجتمع الكائنات الهائمة .

فافراد هذا المجتمع — ويقدرون بمليارات الكائنات التي لا يرى أغلبها بالعين البشرية المجردة — يهبطون في هذا الوقت بالذات من سطح البحر الى الأعماق بعد نهار كامل قرب الشمس .

ذلك أن الاعضاء الأساسيين لهذا المجتمع ينتمون الى عالم النبات ، ويحتاجون الى الشمس من أجل القيام بعملية التمثيل الضوئي ، أي يستعينون بضوئها لتحويل ثاني أوكسيد الكربون المذاب في الماء الى سكريات وأوكسجين

وهذه النباتات عبارة عن طحالب ، يتالف كل منها من خلية واحدة لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، لكنها تتكدس في قطرة الماء الواحدة بنفس الصورة التي توجد بها ذرات الغبار في شعاع من أشعة الشمس .

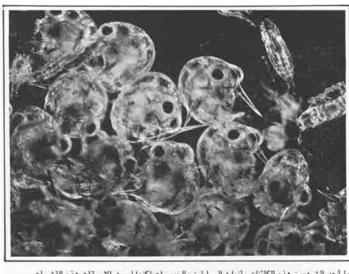
والطحلب الواحد — أو الدياتوم كما يسمى علمياً — عبارة عن مادة خضراء مغلفة بصبغة سمراء تحيط بها علبة زجاجية يكونها الكائن من المعادن المحيطة به . ويتخذ التكوين اشكالا ساحرة متنوعة .

وعلى الدياتومات ذاتها أو ما تخرجه من أوكسجين ، تتغذى بقية أعضاء مجتمع الكائنات الهائمة أو الدقيقة ، الذين ينتمي بعضهم الى عالم الحيوان مثل بيض ويرقات الأسماك والقشريات والقواقع ، ويتأرجح البعض الآخر بين العالمين ونعني به تلك الكائنات العضوية أو السوطية التي تتحرك بذيولها كالحيوان ، وتصنع طعامها بنفسها كالنبات .

ويتحرك الجميع في سحابة كثيفة تجعل البحر مثل طبق هائل من الحساء ، تصعد محتوياته (التي لا يبدو منها سوى الأجسام الشفافة لليرقات والقشريات الصغيرة) الى السطح مع شروق الشمس وتهبط الى الأعماق مع غروبها .

وإذ تقترب جيوش الكائنات الدقيقة من الحائط الملون للشعاب ، تبدو أشبه

الحياة والموت في بحر ملون



ما أبعد الشبه بين هذه الكائنات وانواع السراطين والجمبريات لكنها ليست إلا يرقات هذه القشريات المعروفة و هى بذلك من الأعضاء الأساسية بمجتمع الكائنات الهائمة فى البحار .

بأسطول من القوارب الصغيرة يجرب إنزالا ليلياً مفاجئاً على الشاطىء فى غفلة من حراسه .

وما يحدث لهذه الحيوانات الدقيقة عندما تلامس الأهداب المنتشرة فوق النتوءات البارزة المتموجة للبوليبات الضئيلة ، هو نفس مايمكن أن يحدث لأسطول الانزال الليلي إذا كان الحراس فى انتظاره .

فعلى أسطح هذه اللوامس تنفجر كبسولات دقيقة للغاية مخباة تحت الجلد ، تحتوى على خطوط حلزونية ملفوفة ، ومشدودة .

وتنطلق هذه الخيوط بقوة ، شانها شان خطاطيف صيد الحيتان التى ترتد أثناء الاطلاق ، فتلتف حول الأشواك البارزة على سيقان القشرية أو اليرقة وتكبلها تكبيلا جيداً .

ومن كبسولات اخرى تنطلق خيوط مماثلة تغطيها أشواك مائلة فى عكس اتجاه اندفاع الخيط ، وتتميز عن الخيوط السابقة بانها مجوفة ومتصلة باكياس من السم فى قاع الكبسولة ، وانها تنطلق بقوة تجعلها تخترق اجساد الضحايا .

والطبيعي الا تستسلم الفرائس الدقيقة بسهولة ، وتقاوم باستماتة . لكن مقاومتها لا تؤدى إلا الى اشتراك المزيد من الخلايا اللاسعة في المعركة . ولا يلبث أن يتدفق الى اجسادها عبر المجاري المجوفة للخيوط . وفى ثوان يكون الشلل قد أصابها .

عندئذ تحف اللوامس من حولها ، وتدفعها فى رفق نحو فم البوليب .

وتكون إحدى المواد الكيماوية فى سوائل انسجة الحيوان المشلول قد تسربت الى الماء ، والتقطتها خلايا الاحساس البوليبية ، المنتشرة على سطوح اللوامس . وتنتقل الرسالة الى فم البوليب ، فينفرج استعدادا للوليمة القادمة . وتتاهب شعيرات طويلة فى مدخله ، وظيفتها تمرير الماء الى البوليب ، لدفع الفريسة داخلــه .

وتنضم اليها اهداب أخرى تعمل عادة فى إخراج المياه المحملة بفضلات الهضم فتعكس اتجاه حركتها متخلية مؤقتا عن وظيفتها الأساسية .

وما إن تنزل الفريسة من بلعوم البوليب الى كهفه الهضمي ، حتى يتقلص جداره الداخلى ليعصرها بين عضلاته ويغرقها فى فيض من الانزيمات الهاضمة .

وعندما تتحول الفريسة المطحونة الى سائل سميك ، وتمتصها عضلات الجدار لتستكمل عملية الهضم فى خلاياها ، ومنها تنتشر المادة المهضومة الى بقية خلايا البوليب ، ومنها الى بقية البوليبات فى المستعمرة .

ومن عجب أن هذه الحيوانات جيدة التسليح تقع فرائس سهلة لقنافذ البحر.

والأعجب من هذا أن غالبية المستعمرات المنتشرة على شعاب الشرم، جنوبي خليج العقبة بمائتي وخمسين كيلومتراً ، حيث ظهرت طلائع القنافذ بعد حوالى شهر ونصف من بدء هجرتها، تنتمى الى ما يعرف بالمرجان الناري أو اللاسع .

وتتميز مستعمرات هذا النوع ، فضلا عن الارتفاع الذى يبلغ المتر ونصف المتر احياناً بتقسيم عمل واضح . فكل مستعمرة تتالف من نوعين من البوليبات نوع يقتصر على الصيد والقنص ، والنوع الثاني يتولى عملية الأكل والهضم ثم يقوم بتوزيع المادة المهضومة فى انحاء المستعمرة كلها .

ولهذا السبب يمثل النوع الأول الأغلبية ، فكل ستة او سبعة من افراده تحيط بواحد من النوع الثاني . كما انه أكثر نحافة واستطالة ، لأنه يمسك بالفريسة ثم يميل جانباً بحيث يقدمها الى بوليب مركزي ، قصير ، غليظ ، ذى فم وجهاز هضمي .

ولنفس السبب تحمل لوامس النوع الأول اعداداً كبيرة من خلايا لاسعة بالغة القوة ، قادرة على اختراق جسد الانسان نفسه ، الذى اطلق على الحيوان لقب النار .

لكن هذه الخلايا بالغة القوة ، كانت عاجزة تماماً عندما بدأ غزو القنافذ .

● ● ●

لم يكد آخر أثر للأشعة البنفسجية يختفى من الأعماق ، حتى برزت جموع

القنافذ من مكانها ، وبدأت رحلتها الى أعلى .

زحفت فوق صخور غطتها طحالب جيرية ، وبين اسفنجيات معلقة كالأيدي البشرية ، وتسلقت الهياكل اللينة لمستعمرات مرجانية على هيئة شجيرات ومرت خلال فروع قرنية تشبه الأقلام والمراوح .

وبينما عامت فى تكاسل أسماك بديعة التكوين ، تنطق عيونها بالدهشة الدائمة انكمشت السراطين والجمبريات بين ثنايا المستعمرات المرجانية ، وأوقف رتل من الكياتن الرحلة التى بدأها منذ شهر بالضبط قطع خلالها متراً كامل ، وجمدت الاستاكوزات الضخمة فى أماكنها وهى تحرك قرون استشعارها فى قلق ، وأغلقت محارات البصر العملاقة صدفاتها على أجسامها المنتفخة الملونة ، وتراجعت الثعابين الضخمة داخل جحورها بعد ساعات من التردد ، أطلت خلالها برؤوسها المرقطة ، التى لا يتفق شكلها المرعب مع جبن صاحباتها الشهير

لم تكن القنافذ بالحيوان الغريب على مجتمع الشعاب ، لكنها تتواجد دائماً فى أعداد محدودة لا تبعث على القلق .

أما هذا الحشد الهائل منها الذى انتشر على سطح الشعاب مثل سحابة سوداء ، فامر يدعو للخوف .

وهو خوف بلا مبرر .

فرغم أن أغلب حيوانات الشعاب تصلح طعاماً دسماً للقنافذ الجائعة ، إلا أن هذه ماكانت لترضى بغير لحم البوليبات الرقيق ، وهو الهدف الأساسى لرحلتها الطويلة الشاقة .

ولهذا واصلت الصعود بلا هوادة الى أعلى ، حيث تنتشر المراجين الصخرية والنارية .

استولى الذعر على البوليبات .

فصواريخها المرعبة فشلت فى اصطياد الأجسام الزاحفة .

لقد نجحت فى تكبيلها ، لكن الرماح المسممة لم تتمكن من اختراق ترسانة الأسلحة التى تحملها الحيوانات السوداء فوق ظهورها .

والادهى من ذلك ، انها فشلت فى وقف زحفها ، وأصبحت عرضة للعضات القاتلة من اسنانها الحادة .

والواقع أن أغلب البوليبات تمكنت من التراجع فى الوقت المناسب ، إذ انقبضت لوامسها وانطوت متشابكة فوق رؤوسها ، ثم انكمشت أجسام البوليبات ذاتها أو انسحبت داخل غرفها الصخرية لكن مصيرها تحدد .

فالقنافذ قادرة على أن تحفر بأشواكها فى هياكل المرجان الصخرية مسافة لا تقل عن ١٤ سم ، وعلى أن تكشط بأسنانها جدران الغرف الحجرية للبوليبات حتى تبلغ أجسادها اللذيذة .

وفى أسابيع قليلة يمكن أن تهلك المراجين ، وتفقد الشعاب ، على مدى امتداد كيلومترين ، زهورها الملونة .

ولا يلبث الدمار أن يمتد الى بقية أشكال الحياة بالشعاب ، وهى الاشكال التى يعتمد كل منها على الآخر بدرجة أو بأخرى فى سلسلة معقدة متشابكة ، ينفرط عقدها إذا تحطمت إحدى حلقاتها .

لولا القانون الذى يسود عالم البحار .

فكما أن للمراجين عدواً منيعاً لا تؤثر فيه سهامها المسمومة ، تحظى القنافذ بعدو مشابه .

وسرعان ما تتوافد على جموعها أفواج من أسماك الشعرم والخنزير والدرمة .

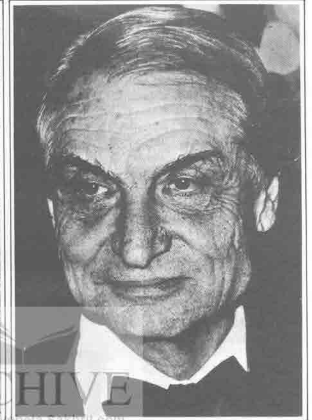
ودونا عن بقية الأسماك والحيوانات البحرية ، فان هذه الأسماك التى تتمتع بفكوك بارزة معقوفة وأسنان قوية ، وتتغطى أجساد بعضها بالأشواك حتى عرفت باسم العائلة القنفذية ، قادرة على أن تقضم أشواك القنافذ قطعة قطعة ، وشوكة شوكة ، إلى أن تعريها تماماً من أسلحتها ، وعندئذ تستمتع بالتهام لحمها الطيب .

فليس بالبحر من لا يقهر .!

صنع الله ابراهيم

عندما تحتل القنافذ احد الشعاب لا يبرز منها غير اشواكها





ريتشارد إيتنجهاوزن .



مدارس التصوير العربى .

ريتشارد إتينجهاوزن

وقصة البحث عن عبقرية الفن الإسلامي

بقلم : جمال قطب

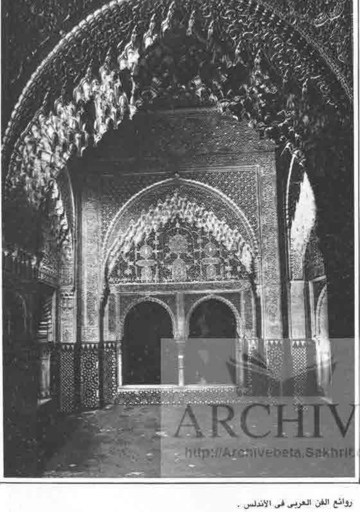
قصة اليوم .. هى قصة نبوغ ووفاء والتزام من نوع نادر ..

نعود الى صيف عام ١٩٧٦ ، لنرى حدثا عالميا مثيرا على ارض بريطانيا وفى رحاب عاصمتها لندن ؛ إذ اقيم «مهرجان العالم الاسلامى» الذى هز الضمير الانسانى بعنف ، وفتح بصائر العلماء والمثقفين على حقيقة واقعة ، وهى تلك العبقرية المعجزة للحضارة العربية الاسلامية ، ممثلة فى فنونها وادابها وعلومها التى ايقظت وجدان البشرية على التفتح والمعرفة . وصدر بهذه المناسبة نحو سبعين مؤلفا ، تتفاوت بين الموسوعات الضخمة والكتب العادية والنشرات



فنون الهند الاسلامية .

المصورة ، ولكنها تتفق فى غالبيتها من حيث معالجة شتى تخصصات الفنون الاسلامية . كما كان القاسم المشترك بين المؤلفين والباحثين والمؤرخين فى هذا الفيض من الدراسات التراثية اسماً كبيراً يدوى فى أرجاء الفكر العالمى المعاصر هو (البروفيسور ريتشارد إتينجهاوزن) ؛ الرجل الذى أوقف حياته وعلمه على استجلاء الحقيقة وإعلاء شان الحضارة الاسلامية عامة والعربية بوجه خاص ، واتسمت أبحاثه بالموضوعية والتجرد ، ضارباً فى أعماق التاريخ البعيد قبل الرسالة المحمدية .. وصولا الى مشارف العصر الحديث . وعرف منهجه فى الكشف والاستقصاء



روائع الفن العربى فى الأندلس .

ريتشارد إتينجهاوزن

وقصة البحث عن عبقرية الفن الإسلامي

بانه المرجع العلمى الذى لا يرقى اليه شك فيما يصدر من احكام مدعمة بالادلة والبراهين .. وما أن تعمق الرجل فى الدراسات الاسلامية حتى تغنى بها وتحول الى داعية لأمجادنا الابداعية وإيمانا لا يبارى فى اخلاصه وتفانيه وحبه الذى وصل الى درجة الهيام . وغمر مكتبات العالم ومحافلها الثقافية بالموسوعات والكتب والمنشورات والمقالات الصحفية والمحاضرات .. وكلها تبحث فى مجالات العبقرية الفنية عند العرب والمسلمين .

.. وأخيراً ، مات الرجل عن عمر يناهز الثالثة والسبعين ! وفجع المجتمع الدولى والمثقفون والمتخصصون فى الدراسات الاسلامية برحيله . وكتب اسمه فى سجل الخالدين ! وكنا نحن العرب ـ ومازلنا ـ فى صمت مطبق نحو هذا العالم الجليل ... ولا أدرى على وجه اليقين ما اذا كانت حكوماتنا العربية أو مؤسساتنا الثقافية قد عملت على استضافته فى حياته الطويلة ، أو قدمت اليه الأوسمة والدرجات التقديرية عرفانا له على عطائه الرائع ؟

وبعد أن رحل عن عالمنا وخلف للبشرية هذا الكم الهائل من نتاج فكره ، هل تفكر تلك المؤسسات الثقافية العربية فى أن تتبنى مشروعاً لترجمة مؤلفاته التى تزيد على مائتين وخمسين مؤلفا بينها كثير من الموسوعات النادرة والمراجع النفيسة ؟ إن تخليد اسم الرجل واجب يفرض نفسه على الضمير الاسلامى فى كل بلاد الاسلام عامة ، وفى الوطن العربى خاصة ، ليبقى رمزاً للنزاهة العلمية المتالقة ، وقد اضافت للفكر الانسانى هذا الفيض من الروائع عن حضارتنا وماثرنا الخالدة !

المستشرقون بين الأهواء والتجرد

ولكى نوقن بان إتينجهاوزن ظاهرة فريدة بين علماء الغرب ممن تخصصوا فى مجالات البحث عن العرب والاسلام ، لابد ان نستعرض فى عجالة مناهج البحث عند هؤلاء المستشرقين والمستعربين ؛ فنرى الكثيرين منهم وقد توافدوا على بلادنا العربية منذ بدء حركة الاستشراق التى ظهرت بشكل مركز منذ نحو قرنين من الزمان حتى بلغت أوجها فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن . ويمكننا ان نقسمهم الى ثلاثة اقسام حسب مناهجهم وارائهم : فريق دفعته اهواؤه ونوازعه الى الاساءة المتعمدة الى كل ما هو عربى او اسلامى : فقد رأينا ـ مثلا ـ راهبا يدعى (لامانس) ، كانت مؤلفاته تتفجر حقداً علينا ـ نحن العرب ـ إذ يقول فى احد مؤلفاته عندما يتناول فن العمارة الاسلامية :

«إن أغنياء قريش ما كانوا يهتمون إلا بالطعام وبسعة القدور ، اما مساكنهم فلم تعرف الفن ، ولم تكن لهم مهابة ، ولم يعرفوا كلمة قصر ، بل كانوا يلجاون الى صناع اجانب إذا ما ارادوا ترميم الكعبة» !

وكان فى كتاباته الأخرى ، كثيرا ما يتعمد الاساءة الى العرب ويتهمهم ـ بمناسبة او بغير مناسبة ـ بالتخلف والبداوة ، ويجردهم من كل جذور حضارية ، وبالتالى ينكر عليهم مجرد المشاركة فى بناء الحضارة الاسلامية !

● والفريق الثانى ، لاشك انه اضاف الى العلم الشيء الكثير عن تراثنا ومساهماتنا الابداعية فى المسيرة الانسانية ، وذلك كتسجيل وثائقى وامر واقع لا يمكن انكاره . ولكن علماء هذا الفريق لم يكلفوا انفسهم عناء البحث فى تالق العبقرية العربية تحت لواء الاسلام او قبله (وقد اثبتت الحفريات والاكتشافات الحديثة أن حضارات مزدهرة تماثل الحضارة الفرعونية والرومانية والاغريقية وغيرها ، كانت تقوم على الأرض العربية قبل الاسلام) . لم يتكبدوا تلك المشاق ، لغياب التعاطف مع تراثنا وأمجادنا التى اقروا بها وانفعلوا باكتشافها ولكنهم لم يتفاعلوا معها تفاعلا وجدانيا من أعماقهم .. ومن هؤلاء ، وجدنا باحثا مثل (كروزويل) الذى تربع على عرش التاليف فى مجال الفن الاسلامى (وبخاصة فنون العمارة الاسلامية) ، كما كان فى الوقت ذاته مديراً لمعهد الآثار الاسلامية بالقاهرة بعد ان كلف بانشائه عام ١٩٣٣ ، نراه وقد صارت مؤلفاته حينذاك مرجعا لكل المهتمين بتراثنا وفنوننا وحضارتنا ، وللحقيقة ، فقد اضاف كروزويل للمكتبة العالمية عن العمارة الاسلامية موسوعات رائعة بالكلمة واللوحة والرسوم التفصيلية ، واهم هذه المؤلفات القيمة اربعة مجلدات تناولت بالترتيب التاريخى : العمارة

فنون الحضارات القديمة للدول الاسلامية .



تاثير مدارس الفن الاسلامى على المدارس الاوروبية .

الاسلامية المبكرة – الفاطمية – الايوبية – المملوكية .

ولكنه انجز هذه الاعمال الكبيرة من واقع الانبهار بما هو كائن ، ومن دافع ولعه بمتعة الاكتشاف والتالق .. ولم يكلف نفسه مشقة البحث فى مقومات العبقرية العربية الاسلامية او الاشادة بالتفوق الابداعى للذهن والوجدان العربى فى تلك العصور الذهبية ، بل نراه على النقيض من ذلك ، يلجا فى بعض الأحيان الى الايحاءات المغرضة – متاثرا بنفس النهج الذى سلكه من سبقه من المستشرقين – والغرض من هذه الايحاءات هو إنكار فضل العرب فى قيام الحضارة الاسلامية وفنونها المعجزة !

● اما الفريق الثالث ، وهم صفوة العلماء واجلهم تجردوا فى سعيهم وراء الحقيقة بنزاهة وموضوعية ، حتى اظهروها فى صورتها المثلى ، وكان منهجهم فى البحث ينبع من قناعة شخصية وصلت الى درجة التعاطف والاعجاب ثم الحب لدرجة الهيام .. وكان على راس هذا الفريق – ولقرابة نصف قرن – ريتشارد اتينجهاوزن ! فقد تغنى بالعبقرية العربية الاسلامية .. وتباهى بها من منطلق التفوق والريادة ، بعد ان تخطى موقع الدفاع عنها بعزم وإصرار وثقة ، وملأ أسماع العالم وبصره بروائع ابداعاتنا التاريخية النادرة !

الاستاذ ومآثره

نادرا ما نقرا مؤلفا لعلمائنا وباحثينا العرب فى العصر الحديث فى مجال الفنون والحضارة العربية الاسلامية ، إلا ونرى اسم إتينجهاوزن يتصدر قائمة المراجع والمصادر الموثوقة المحققة التى استمد منها المؤلف معلوماته ومناهله .

وعندما هممت بكتابة هذا المقال ، ورجعت الى مكتبتى ، وجدت بين مراجعى عن الفنون الاسلامية كثيراً من المؤلفات القيمة ، من بينها ما كتبه (الدكتور ثروت عكاشة) ، ويشيد الرجل باعزاز دائما – ضمن مصادره – بالبروفيسور إتينجهاوزن . ومؤلفات (الدكتور عبد العزيز الدولاتى) عن عبقرية الفن الاندلسى والمآثر الابداعية العربية على ارض اسبانيا ، نرى ان اسم إتينجهاوزن يحظى بالقسط الأوفر من بين مصادره . اما (نعمت اسماعيل علام) تلك الباحثة الجادة الرائعة ، فنراها لم تكتف بذكر اسم أستاذها ضمن مصادرها ، بل تصدر بعض كتبها عن فنون الشرق الاوسط بكلمة تقدمة ثمينة من العالم الجليل ، وقد ذكر فى احداها اعتزازه بأن تكون (نعمت) من تلامذته المرموقين فى مجال الأبحاث الاسلامية .

وكذلك يفعل د. فريد شافعى ، د. حسن الباشا، د. حسين مؤنس ، عبد الله عنان وغيرهم .. وغيرهم .. من الصفوة الذين برعوا فى الكتابة حول هذا التخصص الرفيع ! فالاسم الكبير قد فرض نفسه على العالم اجمع ، وعلى كل باحث عن الحقيقة فى مجال التراث العربى والاسلامى بشتى مراحله وتخصصاته .

النبوغ والعطاء

ومن حق القارىء علينا ، بل ومن واجبنا نحو هذا المفكر العظيم ، ان نورد شيئا عن حياته ومناهل ثقافته ، ثم عن عطائه وانجازاته التى لم تتوقف للحظة واحدة ... الى ان رحل عن عالمنا فى الثانى من ابريل عام ١٩٧٩ .

● ولد ريتشارد إتينجهاوزن فى مدينة فرانكفورت على نهر الماين فى الخامس من فبراير عام ١٩٠٦ .

● تلقى علومه التاريخية والفنية فى جامعتى ميونخ وكامبردج ، واهتم بدراسة اللغة العربية وادابها ، وتوج تلك الدراسات العميقة عام ١٩٣١

ريتشارد إتينجهاوزن

وقصة البحث عن عبقرية الفن الإسلامي

ببحث نال عليه درجة الدكتوراه ، وكان موضوع تلك الرسالة : «قدح الوثنية فى القرآن الكريم» ، وطبعت فى فرانكفورت عام ١٩٣٤ ، وكانت من أولى اهتماماته وتفهمه لعالم الاسلام وللرسالة السماوية والاعجاز القرآنى .

● عنى حينذاك عناية خاصة بالدراسات الشرقية والاسلامية فى مجال الفن والآثار ، وتوالت مؤلفاته فى تلك السن المبكرة عن الحضارة الاسلامية وفنون العالم العربى .

● هاجر الى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٣٤ ، وما أن استقر به المقام حتى بدأ فى نشر الموسوعات الكبيرة عن الفن الاسلامي وتراث المنطقة العربية .

● من عام ١٩٣٤ الى ١٩٣٨ عمل إتينجهاوزن مساعداً فى المعهد الامريكى للفن والآثار ثم عضواً فى (معهد الدراسات المتقدمة) . ومن عام ١٩٣٨ حتى عام ١٩٤٤ عمل استاذاً للفن الاسلامى فى جامعة ميشيجان .

● وفى عام ١٩٤٤ اصبح عضواً عاملا فى رواق الفن فى واشنطن حتى صار امينا عاما للرواق عام ١٩٥١ ، وفى نفس العام تقلد منصب استاذ الفنون الجميلة فى جامعة نيويورك حتى عام ١٩٦٧ مركزاً فى دراساته على الفنون الاسلامية وتخصصاتها التطبيقية المختلفة .

● وفى الأعوام التالية اخذ يهتم بقسم المعروضات الاسلامية فى متحف (متروبوليتان) فى نيويورك ، واخذ يطوره ويرعاه حتى وصل به الى ما هو عليه الآن من الضخامة والتنسيق واحتوائه للتحف الاسلامية النادرة !

● اعتمدته معظم المتاحف الامريكية مستشاراً وخبيراً لا مثيل له فى العالم لانشاء الأقسام الاسلامية فيها . وبفضل مشورته وتوجيهاته توسعت المتاحف الامريكية فى اقتناء التحف الاسلامية من كل مكان ومهما كان ثمنها ، حتى اصبحت مراكز حقيقية لأبحاث الفن الاسلامي والتراث العربى ، وبفضل استاذيته وعمله الدائب فى البحث واستحداث الآراء فيما يتعلق بالتعليم الأكاديمى وحلقات الدراسات العليا ، خرج أجيالا من العلماء المهتمين بكل ما هو اسلامى فى ربوع الولايات المتحدة ومن يفدون عليها طلباً للمعرفة من انحاء المعمورة .

ولم يكتف إتينجهاوزن بهذه المجهودات ، ولكنه اصدر العديد من المجلات المتخصصة مثل (فن الشرق ـ الفن الاسلامى ـ اسلاميات) وغيرها فى كثير من دول العالم المتقدم .

البحث وراء الجذور

وقد سعى (البروفيسور) الى جذور الحضارة العربية وحضارات الدول التى دخلت الاسلام وفنون الشرقين الادنى والاوسط والهند الاسلامية والاندلس ، فنرى موسوعاته تغطى كل العهود والأمصار . ومن مؤلفاته من المراجع الفذة فى المكتبات العالمية : إيران ما قبل العهد الاسلامى ـ البارثيون والساسانيون ـ الفترة الانتقالية من الفن الساسانى والبيزنطى الى أولى المدارس الفنية فى المعهد الاسلامى ـ الفن فى العصرين الوسيط واللاحق لايران ومصر وتركيا ـ الفن فى الهند الاسلامية ـ فنون الأندلس ـ وقد أصدر موسوعة ادبية رائعة عام ١٩٧٢ بعنوان :

«من بيزنطة الى ايران الساسانية والعالم الاسلامى : ثلاثة اشكال من التاثير الفنى» .
وبديهى ان يتناهى فى ابحاثه هذه الى ادق التفاصيل من عمارة وزخارف ونقوش وخزف وسجاد ومنسوجات وتعدين وصناعات خشبية وايقونات وفنون الكتاب والمخطوطات وجماليات الخط العربى ... الى غير ذلك من التخصصات التطبيقية التى تتميز بها الفنون الاسلامية .

ومن موسوعاته التى حظيت بالشهرة الواسعة مؤلفه الرائع «فن الرسم العربى» ، وقد نشر على العالم فى عام ١٩٦٢ باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية ، وذاع صيت هذا المرجع النادر بشكل مذهل ، وحتى اليوم ، لا يخلو محفل علمى او وثائقى فى العالم أجمع من هذا المؤلف الثمين ، وسيظل منطلقاً اساسياً لكل باحث متخصص فى مثل هذه الدراسات الرفيعة .



من روائع الفنون التطبيقية الاسلامية

وتعددت مجالات إتينجهاوزن فى التاليف والنشر وفى المتاحف والجامعات ، الى جانب عضويته فى عدد لا يحصى من الجمعيات العلمية : فنراه عضواً فى معظم الجمعيات الامريكية وعضواً فى معهد مصر وفى معهد الآثار الالمانى ، وفى الأكاديمية الفرنسية .

وفى عام ١٩٧٣ اقامت له جامعة نيويورك حفلا تقديرياً ضخماً على هيئة ندوة للأبحاث اشترك فيها تلامذته وزملاؤه ، وقد تناولت تلك الأبحاث حياته ومجهوداته ومؤلفاته واستاذيته ودرجاته العلمية وغير ذلك .. وقد طبعت هذه الأبحاث فى مجلد خاص ، أدرج فيه فهرساً يحتوى على مؤلفاته الكبيرة ، وكانت حتى ذلك العام مائتين وواحد وعشرين مؤلفاً .

وفى الخمس سنوات التالية ـ وهى التى سبقت وفاته (توفى فى الثانى من ابريل عام ١٩٧٩) ، لم يكف عن البحث والكتابة ليوم واحد وشهدت تلك السنوات الخمس العديد من مؤلفاته الثمينة نذكر منها النقوش العربية ـ المضمون الرمزى فى الفن الاسلامى ـ اوراق اللعب فى العصر المملوكى ـ اتجاهات الأساليب فى عصر شاه عباس ـ الخزفيات الايرانية والفخاريات الاسلامية المتاخرة ـ الفنون الزخرفية الاسلامية طبيعتها ومجالاتها ـ تاثير الفنون الاسلامية على الفن الاوروبى ـ تراث الاسلام ـ الفن التطبيقى وفن العمارة فى الاسلام ـ فى عالم الاسلام : التاريخ والحضارة على سنة الرسول ـ الحديقة الاسلامية وتاريخ المناظر الطبيعية ـ الخط الكوفى فى اليونان البيزنطية ـ الغرب اللاتينى والعالم الاسلامى ـ الأصالة والتقليد فى الفن الاسلامى ـ الفردية والتقليد فى الاسلام الكلاسيكى .

..... وهكذا كان ريتشارد إيتنجهاوزن ، عبقرية ناصعة اهداها الله للبشرية جمعاء ، لتنير العقل الانسانى بنور المعرفة الاسلامية الخالدة ..

واخيراً ، اتساءل وكانى اجيب على هذا التساؤل من واقع فكرنا العربى المترف :

ماذا قدمنا للرجل فى حياته تقديراً لعطائه الفذ فى مجال البحث فى تراثنا وحضارتنا ؟ وبماذا نخلد ذكراه ومآثره بعد ان رحل عنا ؟

واليوم .. ارجو ان تكون هذه السطور المتواضعة لمسة وفاء وعرفان لروح العالم الجليل علها تبعث ايحاءات خيرة فى ضمير الوجدان العربى المعاصر ، فنرى بعض حكوماتنا او مؤسساتنا الثقافية وقد اقدمت على تبنى مشروع لترجمة مؤلفات الراحل العظيم ، لتكون فى متناول ايدينا نحن اصحاب التراث والتاريخ والأمجاد !

جمال قطب

أحبك..

شعر: محمد خليفة



أُحِبُّكِ
فانتظريني على شرفة الصبحِ
آتيكِ
معشوشباً بالضياءْ
مثخناً بدم الليلِ
مُغْتَسِلا بندى الفجرِ
أحملُ خاتم حب
وأيقونة الانتصار
سآتيك
فانتظري
وانسجي بدلة العرسِ
حتى أجيء
غدا يبدأ العشق
والفرح العربي
وتشتعل الأرض
والعشب
والماء
في رقصة دامية
أنت أجمل عاشقة
وأنا أول العاشقينْ

●

أحبك
موعدنا ساعة الغسق العربي
على صهوة الصبح
آتٍ إليك
أشيلك بين يدي
الى ساحة العرس
اني اقتربت .. اقتربت
فكوني على أهبة الاستعداد
لنفتتح العرس
فى رقصة الانتصار

خواطر



عندما كنا طلاب علم فى الجامعة ، كان لنا أستاذ انجليزى ، لا يفتا يعيرنا ، كلما جدت المناسبة ، باننا بلد الواجهات! واجهة ليس إلا ! عندنا جامعة .. اى نعم ! منظرها من بعيد باهر .. مبنى القبة العتيدة فى الوسط ، وعن جانبيه كليتا الآداب والحقوق ، بالعمارة الرصينة الانيقة ، والمدخل اليها ، بين زينة حدائق مصر .. الاورمان والحيوان ، خلاب ياخذ بالألباب .! اشجار الكاسيا نودوزا بزهرها اللبني القرنفلي تحف بجانبيه ، والخضرة الانيقة واحواض الورد تغطى اديمه .. مشهد متالق مؤثر ينطبع فى الفؤاد ! فاذا ما اجتزت ذلك كله ، وبلغت عتبة الكليات ، وخطتها قدماك دالفا فى قلعة العلم .. لم تجد من حياة الجامعة شيئا ..

صخب ولغط ! لا طلاب يؤمون المكتبة ولا حلقات بحث ونقاش ، ولا ابحاث ينكب عليها الباحثون بالنهار وبالليل ، ولا جلسات ودية بين الطلاب واساتذتهم يتناولون فيها شتى الأحاديث العلمية والاجتماعية ، ولا جولات صافية فى بساتين الجامعة ورياضها ، ولا مناظرات نابضة بالحيوية فى الشئون الفكرية العامة ، تجتذب وتستقطب ، تكون رأيا عاما للجامعة ، وتنمي الأساليب السليمة

... من الشاطئ

بقلم : محمد فتحي

للنهج العلمي فى المناقشة وتبادل الراي
لا شيء من ذلك ، لاشيء من فكرة الجامعة وروحها وغاياتها ؟!

هكذا كان الاستاذ الأجنبي يعيرنا فى مناسبات القصور من جانبنا . وكان بنقده المر اللاذع يستثيرنا . يثير فى صدورنا الضيق والغيرة والعزم ، وفى صدور البعض الاستفزاز والرغبة فى التشاجر .

لم تبرح مخيلتي ، على كر الأعوام ، هذه الدعوى ، أصحيح نحن بلد الواجهات ؟! واجهة ليس إلا ؟!

تدخل ذلك المبنى الحصين الرابض على النهر ببرجه الشاهق المشرف على الهضاب والجبال والوديان فتكاد تسمع فيه صوت الخواء ، إن كان للخواء صوت لا تستشعر بالنبض الذى ينبغي ان تستشعر به ، نبض البلد ، ماضيه وحاضره ومستقبله .. موكبه المصيري السائر فى طريقه .. يقينه وفكره وفلسفته ومزاجه وتطلعاته .. لا تجد خطة ، وإنما فتافيت خطة بلا نظم ولا نسق ولا ترابط ؟!

وما الدار إلا مثال من امثلة متكررة ، سواء ربضت على النهر ، أو رسخت فى الحي القديم ، أو نهضت فى الشارع الجديد .. !

وإذا عَنَّ لك ان تجوس بقدميك فيما وراء الشارع الفسيح الذى يزهو بعمائره الشاهقة وشجيراته الباسقة لهالك الهول وسيصدق لديك القول ، إن وراء الأكمة ما وراءها !

يصفعني هنا مرة اخرى قول الاستاذ الأجنبي ! أو اذهب الى الثغر الفتان ، وتعمق فى سيرك ، وراء الواجهة ، وراء المقاصير حيث يقطن الوجهاء ، لسوف تثور نفسك وتتساءل فى حدة أحقا هناك عدالة فى توزيع الرعاية والعناية على القصور واهل القصور ، وعلى الأكواخ وساكني الأكواخ ؟! ذلك أن التلال المرتفعة على طول الشوارع الخلفية وعرضها من القمامة تعترض طريق قدميك ونشَّقَ انفك ، دعك من الطفح المختلف الينابيع الذى يلطف حدة القيظ

وإذا بالسائر هنا يتلقى صفعة إضافية إذ يقرا فى لوحة إعلانية ضخمة انيقة .. مرحباً بك في حي شرق ، أو حي غرب ، أو مع السلامة مع توقيع حي غرب .!؟

لا يملك المرء وهو مايفتا يصطدم بهذه الدعوى فى شتى المواقع ان يتساءل ..

هل نحن نؤخذ بالبريق والمظهر دون الجوهـــر ؟!

هل ماتزال تجرى فى عروقنا اثارة من جاهلية فيستهوينا التباهي والتفاخر والادعاء ؟!

هل نَقَلْنَا عن الغير فَصَلَ بيننا وبين اصالتنا ، وانسانا أصولنا ، واضلنا سبيلنا ؟!

هل ما نزال نخوض فى وحل النكسة ونكتفى من الغنيمة المتوهمة بالواجهة؟!

واجهة واحدة لا زيف فيها . لا تخدعك ولا تغشك . المخبر فيها لا يختلف عن المظهر . تلك هي التى صنعها الله . اذهب الى شاطىء البحر ، واجعله قبلتك ادر ظهرك للحضر . سيستغرقك جمال البحر وصفاؤه وعظمته وستانس اليه نفسك ، وتقر عينك . ولسوف تنعم فى حضن الطبيعة التى صنعها الله باوقات من اللين والسماحة والرضا ، لا تعكرها أكدار الزيف وهمومه ..

او اذهب الى حافة الصحراء واقم خيمتك ، او فوق الهضبة او على سفح الجبل ..

ستجد هناك لفحات الشمس حامية ، وهَبَّات الريح مزمجرة ، ولكنك لن تجد إلا الطهر والحق وبدائع صنع الباري .

محمد فتحي

هذا ما كان

قال الحاج « عناني » انه مسئول عن ديون رجاله ، كانت الرسالة قصيرة أرسلها الى الأستاذ « مدبولي » ناظر المدرسة الابتدائية ، وتسلمها فى صحن الجامع بعد صلاة الجمعة ، وكان يتاهب للخروج فوقف حائراً ، ان يختاره الحاج عناني من دون الأهالي جميعاً لتبليغه الرسالة ، وهو لم يلتق به ابداً فى حياته ، وليست له ديون طرف رجاله

رآهم فى الجامع يتجمعون حول الرسالة . وظل واقفاً بجوار الباب وعيناه عالقتان بها حتى عادت اليه ، وطواها داخل الجيب المبطن بالحرير فى محفظته ، وغادرهم دون أن يقول كلمة .

استبشر الأهالي خيراً ، فرجال الحاج عناني ليسوا مثل خلق اللـه الطيبين . كان يتصيدهم واحداً واحداً من بلاد لم يروها أو يسمعوا عنها ، وكلما جاءت «ترحيلة» لتطهير النهر ، كانت تغادر البلـدة وقـد نقـص عددهـا ثلاثـة انفار او اربعة . وكان « خولي » عزبته كثيراً ما يعلن ـ بعد سهرة ثقيلة فى المقهى وهو يفتل شاربه ، وعيناه الحمراوان تنظران شمالا ويميناً ، وخلفه كوكبه من رجال العزبة ـ ان هؤلاء الرجال فى البلدة لا يصلحون إلا لتنقية الأحواض من الحشائش ، وجمع روث البهائم ـ ويبصق لاعنا ، ويركبون الحنطور الى العزبة .

كان يأتي مع الاسطوات الذين يعملون على الجرارات والمكينات فى العزبة لقضاء السهرة فى البلدة ، يتنقلون من مقهى الى مقهى ، ويخرج من جيبه منديلا ملفوفا يضعه على سطح المنضدة ، ويفتحه فى بطء ـ والعيون تحدق اليه ـ عن قطعة حشيش فى حجم نصف الكف ، ويقطع منها بمطواه صغيرة على هيئة سمكة ، ويجمع « الفتافيت » ويلوكها فى فمه ، ويسيرون فى الشوارع صاخبين يقذفون الكلام نحو النوافذ المغلقة ، ثم يتجهون الى النهر . وينتهى بهم المطاف مبللين الى سياج الجسر يلاحقون المارة بتعليقاتهم ، ويغادر ابناء البلدة السياج واحداً وراء الآخـر .

وكانوا ياخذون ما يحتاجون اليه من الدكاكين «على الحساب» . وفى البداية كانوا يدفعون ، ثم ملأت ديونهم صفحات فى دفاتر التجار ، واستمر التجار يعطونهم ما يريدون .

كان الخولي يشرف على كل شؤون العزبة . وكان الحاج عناني يأتى لقضاء شهر في الصيف ثم يمضي . يرى الناس عربته الزرقاء تخترق شوارع البلدة والستائر مسدلة على النوافذ ، ويرونها مرة أخرى فى نهاية الشهر تمرق عائدة الى المدينة .

● ● ●

سمع عم «شاكر» البقال بما كان ، وخطف رجله الى عبد الستار تاجر القماش .

ـ هل سمعـت ؟

ـ آه سمعت .

وقفا على مصطبة الدكان . ودفع عم شاكر طاقيته إلى مؤخرة رأسه وقال :

ـ هل ذهب احد الى هناك ؟

العلم عنـد اللـــه .

كان عم شاكر يتفرس فى وجهه بعينين جاحظتين ثم قال :

ـ ومـاذا لـو ذهبنــا ؟

ونظر كل منهما فى عيني الآخـر .

كان الجو حاراً ، والشمس تغطى المصطبة ومدخل الدكان . وقال عبد السميع :

ـ ننتظـر قليــلا .

ـ وماذا ننتظـر ؟ الم يرسل الى الأستاذ مدبولي ؟

إنهما فى النهاية اتفقا على أن يذهبا إلى العزبة فى الصباح الباكر .

● ● ●

لبس كل منهما جلباباً نظيفاً وحذاء ، وحمل دفتره ملفوفاً فى فوطة تحت ابطه ، وكان عم شاكر يضع كوفية من قماش لامع حول رقبته . وخرجا الى الطريق الزراعي . وكانا يسيران فوق خط من الحشائش الجافة بعيداً عن التراب . وتوقف عبد السميع فجاة ومد رقبته النحيلة وقال عابساً :

ـ لم تقل إنك ستلبس كوفية .

توقف عم شاكر ايضاً ، وهربت عيناه بعيداً نحو قمم الأشجار ، وقال عبد السميع مزمجراً :

ـ لم أرها عليك من قبل . من اين جئت بهـا ؟

ـ كانـت عنـدي .

وعبرا جسراً يؤدى الى طريق ضيق وسط الحقول ، وسارا متجاورين . وقال عبد السميــع :

ـ كم مبلغــك ؟

ـ عشرون جنيها وثلاثة واربعون قرشاً .

ـ وماذا اشتروا بكل هذا المبلغ ؟

ـ سجائر . جبن . حلوى .. وكم مبلغك ؟

ـ كثيـر .

ـ كم ؟

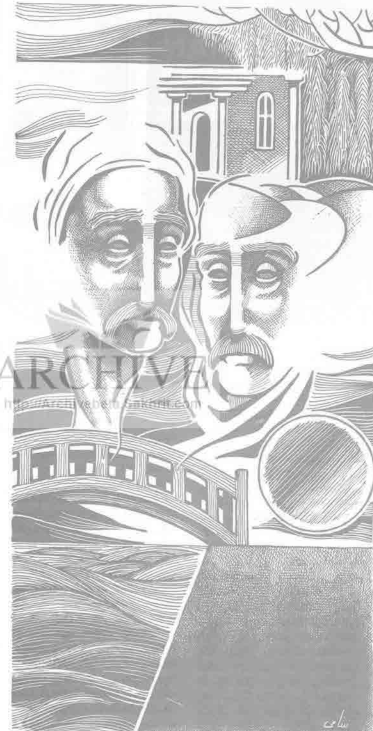
ـ خمسة واربعون .

وصمتا ، وقال عبد السميع :

ـ اتظنه يسدد المبلـغ كلـه ؟

ـ ولم لا ؟

بقلم: محمد البساطي



ـ ربما راى مبلغى كبيرا ؟

وشربا من ماء زير تحت شجرة . ومسح عم شاكر العرق والتراب عن وجهه بمنديل نظيف اخرجه من جيبه ، وكان عبد السميع ينظر اليه صامتا . ثم قال :

ـ ارني دفترك

نظر اليه عم شاكر مترددا . وقال عبد السميع :

ـ هاهو دفتري خذه .

اخذ كل منهما دفتر الآخر ، ووقفا فى ظل الشجرة . كان خط عبد السميع مائل الحروف ، والكلمات تنتهى بتقوسات ، وعلامة فوق حروف المد . وفى نهاية الصفحات وضع جملة المبلغ داخل مربع صغير بلون احمر ، وكتب ايضا بالحروف . وفى دفتر عم شاكر بدت الكتابة غير واضحة ، كان يستخدم حبرا فاتح اللون ، والحروف مبتورة الأطراف ، والأرقام محشورة وسط الكلمات . وقال عبد السميع :

ـ لنسرع قبل ان تسطع الشمس .

ولحق به عم شاكر :

ـ اتظنه يستطيع ان يقرا الدفتر؟

ـ وماذا يهم . اقراه له .

كيف . وهل ينتظر حتى اقراه.؟

ضع علامة فى الدفتر من الآن .

ووضع كل منهما عودا صغيرا من القش عند صفحة الدين .

بدا البيت الكبير امامهما تحيط به اشجار الكافور العالية ، كانت له واجهة بيضاء واعمدة وشرفة عريضة ، وابراج صغيرة من الزجاج الملون فوق السطح تتوسطها قبة كبيرة كانت تعكس بريقا ملونا .

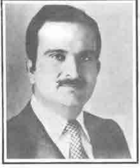
وقفا عند منحنى الطريق يحدقان فى صمت ، وتردد نباح الكلاب وسط الأشجار .



PALESTINIAN



HASSAN BIN TALAL
CROWN PRINCE OF JORDAN



الأمير الحسن بن طلال





تقرير مصير الفلسطينيين

دراسة للضفة الغربية وقطاع غزة

تأليف : الحسن بن طلال ولي عهد الأردن
تقديم ومراجعة : أحمد العناني

يتمتع الأمير الحسن بن طلال ولي عهد الأردن بتقدير عميق فى الأوساط الثقافية والفكرية العالمية ، كباحث هادىء دؤوب ، ومثقف واسع الاطلاع ... وهو فى سائر انشطته الذهنية سواء على مستوى الحوار فى مجلسه الخاص ام على مستوى الندوات الفكرية التى اعتاد المساهمة فيها بفاعلية بارزة ، أم على مستوى التاليف فى قضايا محددة يعكس صفات العالم المتمسك بموضوعية الباحث عن الحقيقة ، وصبره وتباعده عن العواطف الفائرة والتعميمات المرتجلة ، وقد كان له وما يزال دوره الرائد والمؤثر فى سير الحركة العلمية والتقنية فى الأردن بكل ما حققته من انجازات واضحة فى نهضة ذلك البلد العربي الذى يواجه تحديات ضخمة ربما كانت عواقبها اهم العوامل المقررة لمصير الأمة بعامة ... وقد صدر فى لندن مؤخراً كتابه الذى نحن بصدده الآن ، ولا يفوتني قبل تقديم موضوعه الى القراء أن انوه بالأسلوب الرصين المتمكن الذى يتمتع به المؤلف ولاسيما من حيث الدقة البالغة فى انتقاء المفردات وصياغة العبارات واصطناع الأسلوب العلمي المباشر المتخفف من الزخارف والحشو ، والالتزام بالمحتوى المنطقي القائم على الحجة الواضحة دون العواطف الفائرة ، بحيث يجب اعتبار هذا الكتاب بالذات انموذجاً رائعاً للكيفية المثلى فى مخاطبة سائر الأوساط المعنية بقضايانا فى الغرب، وإذا ما تعلق الأمر بأمور عاطفية كشقاء الرازحين تحت عذاب الاحتلال الاسرائيلي الباغي من العرب فان المؤلف يقدم مجموعة مختارة من الصور الفذة التى تعبر بذاتها عن الأبعاد الوحشية التى وصل لها الصهاينة المتعصبون فى استهتارهم وانغلاق بصائرهم .

فى الوقت الذى انطلقت فيه وسائل البغى الاسرائيلي ممعنة فى مصادرة الأرض ، وتشريد الناس ونفيهم وإحلال عتاة المهاويس من عصابات كاهانا فى املاكهم جهاراً نهاراً ، اقول بالنظر لهذا كله جاء كتاب الأمير الأردني تماماً فى وقته ليضع النقاط على الحروف ، ويعرض حقيقة القضية كلها على ضوء الواقع التاريخي ، والموقف القانوني

الدولى كاشفا كل غطاء عن حقيقة ماسمي بالحكم الذاتي ، وعما تتذرع به اسرائيل باسم الأمن والدفاع عن النفس للقضاء على امن العرب وطمس حضارتهم فى الأرض .

فصول الكتاب

قبل أن أعالج تقسيمات الكتاب التى أملتها طبيعة البحث والأسلوب الذى اختير لعرضه ، أقول ان سائر ما فيه يدور حول محـور واحد وهو إقامة الدليل على صدق المقولة التى استهل بها الأمير مقدمة كتابه حيث يقول « لم يحدث إلا نادراً فى التاريخ أن شوهت مبادىء الوحدة وتقرير المصير ومعنى الدولة والضمانات الأمنية ذلك التشويه الشيطاني الذى وقع فى قضية فلسطين » وقبل أن يشرع المؤلف فى ايراد ادلته فانه يواصل فى المقدمة تصوير ابعاد الأزمة الناتجة عن ذلك التشويه الشيطانـــي حيـــث استكمـل ربـــط اقتصاديات الضفة الغربية والقطاع بالاقتصاد الاسرائيلي ، وتواصل احتلال الأراضي العربية وطرد سكانها وباتت حكومة بيجن تنادى علنا بيهودية الضفة والقطاع مستندة الى نفس النصوص التوراتية التى تجعل أرض اسرائيل من الفرات للنيل ، كما كانت اجراءاتها التعسفية فى القدس بالذات على مستوى من التحدى لكل الأعراف والقوانين والمقررات والرغبات الدولية بحيث لا سند له إلا هذه الادعاءات التوراتية التى يروجها بيجن وأمثاله من غلاة الصهاينة المتعصبين .

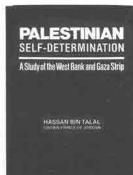
التسلسل التاريخى للماساة

ما أن دخلت قوات اللنبى القدس فى ١١ ديسمبر ١٩١٧ فانتهت سيادة الخلافة العثمانية التى دامت قرابة أربعة قرون ، حتى تبين أن وزير خارجية بريطانيا اليهودى لورد بلفور قد أصدر الى اللورد روتشيلد اليهودى أيضاً رسالة تضمنت وعداً رسمياً من الحكومة البريطانية بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين مع مراعاة عدم الاضرار بالحقوق المدنية والدينية لطوائف السكان المقيمين بالأرض المقدسة ومراعاة لرغبة بريطانيا قرر أطراف معاهدة سيفر من الحلفاء الغربيين عام ١٩٢٠ اضفاء شرعية على الادارة العسكرية البريطانية فى فلسطين فعهدوا الى بريطانيا بالانتداب عليها دون أى اعتبار للدولة ذات الشرعية وهى تركيا الخاسرة للحرب او لسكان البلاد من رعاياها السابقين ، وفى سبتمبر عام ١٩٢٢ وافقت عصبة الأمم المتأثرة جداً بالنفوذ البريطانى على اضفاء الشرعية على ذلك الحكم الشرعى بالموافقة على الانتداب اياه وفى عام ١٩٢٣ والأوضاع قد باتت فى تركيا مواتية لبريطانيا عقدت معاهدة لوزان التى تنازل فيها حكام تركيا المستجدون عن كل حقوق لهم فى السيادة على فلسطين فى جملة ما تنازلوا عنه ، وهكذا زالت كل الاعتراضات من طريق الانتداب الذى اقرته عصبة الأمم قبل ذلك بسنة ، والذى خولت مادته السادسة المؤسسة الصهيونية العالمية صلاحية مراقبة أعمال الادارة البريطانية فى فلسطين بما يكفل تنفيذ وعد بلفور الأمر الذى سارع بخطى الصهاينة فى الاستحواذ على أراضى الدولة أيام العثمانيين وشراء المساحات الضخمة من الأراضى التى كانت مسجلة لاقطاعيين معظمهم لبنانيون ووضح الخطر الكبير وبدأت مقاومة العرب فى فلسطين وبدأ سيل الهجرة اليهودية المتعاظم فى عهد النازية يخل بالنسبة السكانية فى فلسطين اخلالا واضحا ، ثم كانت سلسلة الثورات العربية المتلاحقة التى جعلت بريطانيا فى مهب رياح الحرب العالمية الثانية تقترح ابتداء تقسيم فلسطين ثم تصدر الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ لتصرح فيه بانه لم يكن فى نيتها انشاء دولة يهودية او فتح باب الهجرة اليهودية بلا حساب وما لبثت الحرب العالمية الثانية أن اشتعل اوارها .. ويواصل المؤلف استعراض الأحداث وانفجار حركة العنف الصهيونى وتخلى بريطانيا عن الانتداب وقرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ (١١) بانشاء دولتين للعرب واليهود وتدويل القدس وتدخل الجيوش العربية والهزيمة التى حاقت بها عام ١٩٤٨ ثم قصة الوجود الأردنى فى القدس والضفة والوجود المصرى بغزة حتى عام ١٩٦٧ ثم اعلان اليهود القدس عاصمة لهم وادعاءاتهم بالحاجة للتواجد فى الأراضى العربية المحتلة لأغراض أمنهم ، ثم يختم هذا العرض التاريخى بوصف دقيق للوضع الراهن عام ١٩٨١ .

الجوانب القانونية

ثم يجـيء الفصل الثالث الذى اعتبره شخصياً أثمن ما فى الكتاب الا وهو الاستعراض الوافى للمنطويات القانونية للاحتلال العسكرى البريطانى بعد زوال السيادة التركية ذلك الاحتلال الذى يبطل كل ادعاء بالشرعية حيال التصرف فى الأرض المحتلة عسكرياً ، وكذلك التلاعب المقصود الذى اغفل الاشارة الى استعادة السكان الوطنيين فى فلسطين حقوق سيادتهم لدى انتهاء الانتداب على غرار ما ورد فى حق الشعوب الأخرى المنتدب عليها . ويتدرج المؤلف بالموضوع القانونى تدرجاً منطقياً قائماً على حقائق القانون الدولى لكى يتوصل الى ان اسرائيل لا تتمتع باية أوضاع شرعية أو ادعاءات قائمة على اي اساس بالسيادة على الأراضي التى لم تكن مشمولة باشرافها لدى عقد الهدنة عام ١٩٤٩ .. كما ان من اكبر التناقضات ان تكون لاسرائيل ادعاءاتها المستندة لقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ فيما هي تتجاهل ما يختص بالقدس من تلك المقررات .

ويفند الكاتب كل المعاذير التى تنتحلها اسرائيل سواء فيما يتعلق بامنها المدعى ، أو الأمن فى داخل ما ابتدعت له اسم «المناطق المدارة» من الأراضى العربية المحتلة لمواصلة الاحتلال والتستر المؤقت على مطامع عدوانية مبيتة ، وهو يستخدم التفاسير الواضحة لنصوص ميثاقى عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة واتفاقات جنيف ــ أو مواثيق جنيف ــ ومقررات محكمة لاهاى الدولية ، ونصوص الانتداب على مختلف درجاته ، والمقررات المتلاحقة بصدد فلسطين فى المنظمة الدولية والقانون الدولى للحرب كما يقتبس نصاً صريح الدلالة من المادة ٤٢ من لوائح لاهاى لعام ١٩٠٧ يؤكد موقوتية الاحتلال العسكرى ومسئوليته عن إعادة حق المحتلين فى السيادة على أرضهم



تقرير مصير الفلسطينيين

وتقرير مصيرهم كما يقتبس من نص المادة ٤٩ (٦) من ميثاق جنيف الرابع النص المثبت بان إنشاء اسرائيل مئة وست مستعمرات في الضفة الغربية وبعض المستعمرات في قطاع غزة لاينشىء اى وضع شرعي لها لمواصلة احتلالها ، ولايعطى هذه المنشات اى حق للبقاء،كذلك يفصل المؤلف المخالفات القانونية للمحتلين الصهاينة في مصادرة الاملاك العربية الخاصة واعتداءاتهم على مختلف اشكال المؤسسات الدينية والعلمية والجمعيات الخيرية خلافا للمادة ٤٦ من لوائح لاهاى لعام ١٩٠٧ . ويصف المؤلف ادعاء اسرائيل بانها انما تواصل العمل بقوانين الطوارىء المفروض من قبل الانجليز عهد الانتداب بانه استناد مبطل الى اجراءات لم تكن مسوغة اصلا حيث كان الانجليز يلجاون لنسف المنازل والاعتقال والتشريد ، وعلى كل حال فالانجليز كانوا يقتصرون على تلك النظم الجائرة فى احوال الطوارىء العارضة ولم تكن لها صفة الديمومة التى يمارسها الاسرائيليون ، ثم يناقش الامير الكاتب موضوع الجولان حيث الحجة ضد اجراءات اسرائيل اشد وضوحا وادل على سوء نوايا هؤلاء الغزاة .

حقوق تقرير المصير

لقد تطور موضوع تقرير المصير حتى اصبح حقا اساسيا عاما من حقوق البشر كافة وقد اكدت ذلك في الغرب وثيقة الاطلنطي لعام ١٩٤٢ وميثاق الامم المتحدة حيث تضمنت المادة الأولي من ميثاق الحقوق المدنية والانسانية لعام ١٩٦٦ نصا صريحا يؤكد بان لسائر شعوب الارض حق تقرير المصير ، وهو حق يعطى كل شعب حق تقرير وضعه السياسي وطريقته الخاصة في ترقية وتطوير شئونه الثقافية والاقتصادية والاجتماعية . وقد وقعت اسرائيل ذلك الميثاق ، ثم جاء اعلان حقوق الانسان الدولى لعام ١٩٧٠ الذى اكد الاجماع الدولى العالمى على احترام المبادىء الاساسية لميثاق الامم المتحدة في امر الحقوق الطبيعية لسائر شعوب الارض بلا استثناء . وقد نص قرار الجمعية العمومية للامم المتحدة رقم ٢٧٦٧ الصادر في ٨ ديسمبر ١٩٧٠ على ان لشعب فلسطين من الحق في تقرير مصيره ما لسائر شعوب الأرض قاطبة ، وقد تلاحقت احداث ناميبيا والصحراء الأفريقية جعلت من تقرير المصير حقا معترفا به عمليا لكل شعب تحت الشمس

على أن الذى يجرى في اسرائيل مغاير لكل ما هو جار في العالم فهى تنقل مثلا رعاياها للسكن في ارض محتلة عسكرية على عكس المادة ٤٩ من ميثاق جنيف الخاص بالرعايا المدنيين الذى يحظر على كل محتل «أن ينقل ايا من سكان بلاده الى منطقة الاحتلال بغرض السكن فيها » .

الحكم الذاتى ـ والدفاع عن النفس

يحسم المؤلف تماما كل شك في أن الحكم الذاتي شىء مختلف تماما عن تقرير المصير فان نطاقه لايتعدى الشئون البلدية مع المساهمة في الابحاث الخاصة بموضوعات تهم المتقاعدين في تفاهم اتحادى كموضوعات الطاقة والماء ويؤكد الاهمية الحيوية للرفض المطلق من كل فئات الفلسطيين والسواد الأعظم من الامة العربية لموضوع الحكم الذاتي المقترح كما ينوه بنصوص قرارات فينيا للدول الاوروبية التسع التى اعترفت بحق تقرير المصير الفلسطينى ثم يعود الى توضيح المقاصد التوسعية الخفية لما تكرره اسرائيل بشان الدفاع عن النفس وهو امر غير متماثل ابدا مع الحاجات الأمنية كما انه لاينشىء اى حق مستديم لاحتلال اراضى الغير بموجب النصوص الثابته لميثاق الامم المتحدة ، كما ان قرار مجلس الأمن ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ و ٣٣٨ لعام ١٩٧٣ يؤكدان وسيلة الأمن الاسرائيلي عن طريق انسحابها من الاراضي العربية والتزام الكيان السياسي العربي المستقل بعدم الاعتداء .

قضية اللاجئين

يقدم المؤلف خلاصة رقمية سريعه عن المراحل المعروفة لتطور قضية اللاجئين واعدادهم المتزايدة ومهمة هيئة الاغاثة الدولية الخاصة بهم ومشكلاتها المالية واصرار اللاجئين على حق العودة المقرر لهم دوليا ، والتازم المستمر في الشرق الأوسط نتيجة استمرار معضلتهم وحتمية ربط قضيتهم بحل شامل في المنطقة وضرورة ايجاد جهاز دولى

فعال للاعداد للوفاء بحقوقهم ومطالبهم .

تثمين المطالب القانونية

الوضع الناشيء عن قضية فلسطين منذ عام ١٩١٧ وحتى الان هو وضع فريد لامثيل له في التاريخ، ولايمكن ان يكون له غير احد حلين ـ الحل السياسي بالمفاوضة على اسس سلمية او استمرار التازم وانتظار الحرب التى بات يتدخل فيها توازن الرعب الذرى بين الدولتين الاعظم وقدرة الولايات المتحدة على التاثير في اسرائيل التى تجادل علنا بالتمسك بالاراضى العربية بحجة صيانة امنها ، وتضرب عرض الحائط بسائر الاعتبارات والمواثيق والقوانين الدولية وتمعن في اصطناع اشد العنف لتحقيق عدوانها متجاهلة كل "حق للاردن في السيادة ناشيء عن ظروف قبل عام ٦٧ مصرة على الاستمرار فى سياساتها الى أن يتقدم لها الاردن والفلسطينيون بطلب التفاوض ، منكرة كل حق للامم المتحدة او اهمية لأى من مقرراتها ، وهى تتصرف في موضوع القدس وحقوق السكان العرب تصرف من لايحسب ادنى حساب لامم متحدة او سواها ، ومع انها تتصرف تصرف الذى ضم كل اراضى العرب لكنها تنكر انها فعلت ذلك وهكذا فان شرعية المطالب العربية مرتهنة بمن يتولى تنفيذها بالقوة .

الحلول المقترحة

يتعرض المؤلف لرأى اسرائيل فى الحكم الذاتي ورفضها لمشروع تطبيق صورة مقترحة من ذلك الحكم فى غزة ، حيث هي تصر على الاحتفاظ بكل امر ذى قيمة في الصلاحيات الادارية لأى مجلس محلي .. ويقول إن الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية قد رفضتا كل حديث عن الحكم المحلي يضار به الحق الطبيعي للاجئين بالعودة وتقرير المصير، فالسياسة الوحيدة التي تفهمها اسرائيل هي سياسة البقاء وهي

● ضرورة إعداد جهاز دولي للاجئين للوفاء بحقوقهم ومطالبهم

عندها تقتضي التواجد الدائم فى سائر الاراضي المحتلة . ولقد فشل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ فى فتح الطريق امام اى حل للقضية من جراء الاختلافات القائمة على تفسيره بما فى ذلك الخلاف بين التفسير الامريكي والاسرائيلي الأمر الذى أفسح المجال لبيجن لطرح مفاهيمه العتيقة عن ارض اسرائيل كمفهوم سماوي حتمي ، وقد تستطيع الجمعية العمومية للامم المتحدة ان تلتمس استشارات تؤدى الى فهم حاسم لذلك القرار وذلك بموجب المادة ٩٦ (١) من ميثاقها . على انه قد اصبح واضحا للعالم كله استحالة التفاوض فى مستقبل الضفة وغزة والقدس وعودة اللاجئين بغير اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية الامر الذى ترفضه اسرائيل او تعترف بها المنظمة . وغنى عن القول ان مثل ذلك الاعتراف يكاد يدمر موقف الفلسطينيين فى اية مفاوضات ويدمر حقهم غير المنازع دوليا فى تقرير المصير ، ولا شك ان موقفا خطيرا قد ينشا إذا ظلت الأمور على ماهي عليه الى مابعد اتمام الانسحاب الاسرائيلي من سيناء فى ربيع ١٩٨٢ الأمر الذى يضاعف من مسئولية الولايات المتحدة الأمريكية فى مواجهة الأطراف المعنية بما تتوصل هي اليه من قناعات مدروسة ومنصفة فان اسرائيل تعلم انها فى نهاية المطاف ستواجه حتمية الانسحاب من الأراضي العربية فى مقابل السلام كما ان العرب سيرتضون بوجود كيان غير متوسع لاسرائيل كحياة طويلة سلمية فى جوارهم .

طوالع السلام

يرى المؤلف أن على سائر الدول التى تنتفع بسيادة السلام فى الشرق الأوسط أن تتعاون بحزم مع سائر الجماعات الدولية لاحلال السلام العادل الذى بات الشرق الاوسط بحاجة ماسة اليه بعد حروبه الأربع . وهو سلام فى مصلحة العالم كله اقتصاديا وسياسيا بحيث يستاهل كل مشاق الوصول اليه . وينبغي الاشارة الى ان مؤتمرات القمة العربية فى بغداد وتونس وعمان قد اكدت ان الحاجة قائمة لسلام شامل مرتكز على اقرار حقوق الفلسطينيين فى العودة وتقرير مصيرهم بانفسهم . ثم يفصل المؤلف فى تقديم تصريحات لمختلف زعماء العرب يقرون فيه السلام على مثل الأسس التى وردت آنفا من حيث الشمول والانصاف ، وستدعو الحاجة الى انشاء قوة سلام دولية كجزء من الضمانات المطلوبة للحل الشامل والتى قد يكون من بينها ضمانات من سائر الاعضاء الدائمين بمجلس الامن بعدم لجوء اى من اطراف الحل المذكور الى التسلح لمقاصد عدوانية . إن اسرائيل تدرك أن من العبث التفكير فى اى حل عسكري وحيث هي تريد السلام كما ينشده الآخرون فانه لا مناص من الاقرار بحقوق الفلسطينيين والتعايش مع دولة فلسطينية مجاورة على اسس من السلام والحدود الواضحة ، وبحيث تتوافر الجهود لوضع الحلول المنصفة للجوانب الشائكة من القضية كالترتيبات الخاصة بضمان وسلامة سائر أهل الاديان السماوية فى الوصول الى الاماكن المقدسة مع ضمان الحقوق العربية فى القدس وضمان حق تقرير المصير للفلسطينيين ذلك بأن استمرار الاحتلال اليهودى للاراضي العربية اربع عشرة سنة لا يغير شيئا فى الوضع الشرعي لتلك الاراضي وأهلها ولن تجدى التسميات المستحدثة من نوع «الاراضي المدارة » أو غيرها فى زحزحة ذلك الوضع القانوني كما لن تؤدى الاعتداءات على املاك العرب الخاصة اوانشاء المستعمرات الى اى تاثير على الصورة الحقيقية الشرعية لسلام شامل عادل منصف فى نهاية المطاف . إن امن جميع شعوب المنطقة هو امن واحد لا يتجزأ كما انها على قدم المساواة فى التمتع بحقوق تقرير المصير وكل ما يعطيه العدل والانصاف ...

من أدب المرأة في قطر

الأدب النسائي في قطر بل وفي الخليج كله يشهد نشاطاً وحيوية يلفتان النظر ، ويستحقان الاهتمام والدراسة والمتابعة ، فما أكثر ما تكتب المرأة القطرية والخليجية الجديدة ، في محاولة صادقة للتعبير عن نفسها وأحلامها وطموحها ... والقصتان اللتان نقدمهما هنا هما نموذج حي لهذا الأدب النسائي ... الأولى هي قصة « ميلاد جديد » للأديبة كلثم جبر التي خطت خطوات جيدة في هذا الميدان ونشرت من قبل عدداً من قصصها في الصحف والمجلات .

كما أصدرت مجموعة قصصية رحب بها النقاد والدارسون .

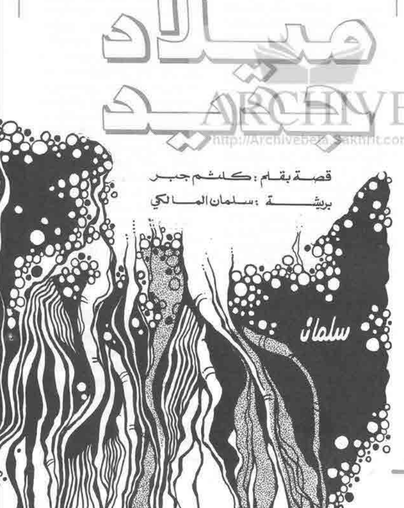
أما « نوره آل سعد » فهي كاتبة جديدة تشق طريقها وتضع أقدامها الأولى في ميدان الابداع الأدبي والفني ، معتمدة على موهبة واضحة ، واجتهاد ثقافي ملموس . وقد قام برسم هاتين القصتين الفنان الشاب القطري الموهوب سلمان المالكي .

« الدوحة »

ميلاد جديد

قصة بقلم : كلثم جبر

بريشة : سلمان المالكي



(١)

وكان علي كأية مسافرة اخرى ان اعد حقيبة سفرى وابحث عن اشيائي الصغيرة ... المهملة وغير المهملة ايضاً وبعض كتبي و .. و .. واوارقها في الحقيبة ...

فتحت دولاب ملابسي .. نثرت كتبي .. وكومت أشيائي الصغيرة بعثرتها ... جمعتها بيدي ثم عدت فالقيتها تناثرت .. واستقرت فوق ارض الغرفة اشلاء مبعثرة ..

فرحت بمنظرها هكذا ...

وبلحظة اخرى قادمة شعرت إنني لا اريد التقاطها لا أود حملها معي .. لا اريد ...

لم على الانسان ان يحمل حقيبة سفر ويسافر بها .. لم ... ؟

وقررت أن اسافر بدون حقيبة .. وكان

(٢)

تلفتت الصغيرة حينما احتوانا بهو الفندق والحقائب تتراكم امامنا والجميع منهمك في البحث عن حقيبته ليضمن وجودها بجانبه وانا وحدي صامته ...

ـ أين حقيبتك ؟

هززت رأسي نفيا .. العيون حاصرتني في دهشة وصوت اجش يخاطبني .. هو ابي ..

ـ أين حقيبتك ؟

اطرقت صامتة .. خائفة .. العياذ بالله وهل مثلي يخاف ؟ .. ولكني اكن لهذا الصوت احتراماً شديداً يفوق احترامي لنفسي .. ولذا علي أن اشرح الأمر ...

ـ الحقيقة ...

وصوت « الخادم » سبقني ..

ـ يمكنكم اللحاق بي سادتي.

وتنهدت ... الحمد لله ...

سرت وراءهم وانا اشعر براحة عجيبة .. راحة من نوع آخر .. لم اشعر بها قبل ذلك .إني لا أعني بشيء ما كأني ولدت من جديد .. لا شيء هناك على التفكير به لاشيء .. ! ليتني بالفعل أولد من جديد ، ساتخذ لنفسي اسماً آخر .. ماذا .. دانيا .. داليا .. دانه .. د .. وما فائدة الأسماء ولماذا التعلق بحرف «د» ربما له علاقة ما بصورة ذهنية مطبوعة بـ .. اللاوعي .. وهو يخرجها بهيئة

اسماء تبدا بحرف د .. ربما .. ولكن .. بالفعل لماذا ابحث لنفسي عن اسم اخر؟ لماذا لا اكون بلا اسم ، «انا» فرد بدون اسم كما انني الآن بدون حقيبة ! .

(٣)

– الن تنامي ؟
– سافعل .
– لماذا لا تأتين بحقيبتك ؟
– لا توجد لدي حقيبة .
وهبت اختى مذعـورة ....
– هل فقـدت ؟
– لا
– إذن اين هي ؟
– لم آت بها من المدينة .
– مـاذا ؟

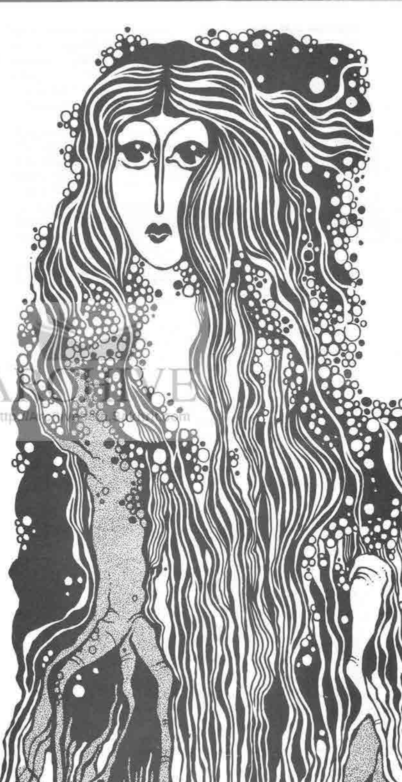
وفغرت فاها من الدهشة في حين شرعت انا بخلع ملابسي .. ومن ثم طويتها بعناية ووضعتها فوق المقعد الخشبي واستلقيت على الفراش الملاصق لفراشها حيث تفصلني عنها – طاولة زجاجية – ويحتلها هاتف رمادى اللون يقارب بلونه «الأباجورة» المنسق اعلاها بخيوط مذهبة كيف يتماشى الخط الذهبى واللون الرمادى ..
غداً لن يكون لي اسم ايضاً ...
وبهدوء انسللت تحت الأغطية وأنا اهمس ...

(٤)

الساعة تشير الى البواكير الأولى من الصباح والشمس لا تزال بعد غافية فى خدرها .. ونشاط عجيب يسرى فى جسدى وانسللت بخفة حيث الستارة الكثيفة التى تستر الحاجز الزجاجي .. ازحتها ومن ثم فتحت الزجاج .. الهواء البارد لسعني فاخفيت صدرى بيدى والهواء يتلذذ أتنشقه « باريس » المدينة اللاهية غافية وضباب رمادى اللون كالهاتف يغطيها .. وانا فرحة بهذا اليوم حيث انني بلا حقيبة .. وسوف اكون بلا اسم بعد ذلك .

(٥)

خطواتي المبكرة أثارت انتباه «موظف الاستقبال» النشط . من يراه يحسب انه قد بدأ دوامه منذ اللحظة فى حين انه



سوف يبادل زميله الواقف بجانبه العمل.

قبل ان تصل خطواتي الى الباب كانت يده أسرع مني فى فتح الباب الزجاجي ..

ـ صباح الخير ياسيدتي ، المدينة لاتزال غافية وخطواتك هي الأولى فى هذا الصباح .

رسمت ابتسامة فوق وجهي .. استقبلني الهواء باردا .. سرت طويلا .. طويلا .. وكنت اتبع الجهة اليمنى أو الطريق المستقيم الذى يبدأ منه الفندق ولا اعلم الى اين ينتهى .. حتى لا اتوه حين العودة .. وانا عادة اكره العودة . ان أسير فحسن ؛ اما ان اعود فشيء لا اطيقه . ليتني دائمة السير .. لماذا علينا العودة عندما نذهب ؟ لماذا لا نسير فقط ولا نعود الى الطريق الذى غادرناه لماذا؟

« باريس » تستيقظ مع خطواتي المنحدرة الى اسفل .. هل الفندق يقع فوق جبل وإلا ما سر هذا الانحدار ...

رائحة الخبز ملأت انفي . وقفت أمام المحل اه شعرت بالجوع .. الجوع نهشني .. انا لم اذق طعاماً منذ الأمس نظرت فى ساعتى لقد مضت مدة طويلة وانا اسير واحساس عجيب بالسعادة يغمرني .. حيث لا احد هنا يعرفني .. لا احد يعلم اسمي .. او يمكنه مناداتي .. أو يعرف هويتي ومن اكون ..

ولكن هناك احساساً آخر إنه «الجوع»

حملق الرجل بي من خلف الزجاج حيث طالت وقفتي .. وأدار الباب وغرس عينيه فى عيني ..

ـ عربية انت ؟

قالها بلكنة انجليزية ركيكة يغلب عليها الطابع الفرنسي .. عيناه سوداوان .. وبشرته سمراء .. ليست سمراء داكنة وليست ايضا بيضاء ولكنها مزيج من ذلك .. شعره كثيف يغري بالعبث به ولكنه لا يعادل نعومة شعري وكثافته ! .

ـ اجائعة انت لقد استطالت وقفتك ؟

لكنته .. انه لا يجيد الانجليزية بقدر ما يجيد الفرنسية ولكنه ليس فرنسي الاصل بالطبع وقد يكون عربي الهوية هارباً من قدره هناك ...

ـ انت لا تملكين نقوداً ، ومع ذلك فعيناك تشيران إنك تملكين بئراً من النفط .

النقــود .. بحثــت في جيبــي عــن النقود .. انا لا أملك بالفعل نقوداً ، وغزاني احساس جديد .. لقد تحررت من شيء آخر .. هو النقود .. فلم يعد المال يستعبدني .. وكانت قبضته قوية فوق ذراعي ..

ـ من انت ؟

انفاسه ساخنة فوق وجهي «وبرد»

باريس يتسلل فى ثنايا جلدى .. ويدى الأخرى تهوى فوق وجهه .. تراخت يداه فادرت وجهي وزرعت خطوات قوية فوق الرصيف ..

بصق خلفى وصرخ ..

ـ عربية جائعة ستعودين بعد ذلك . جميعهن يفعلن ذلك وفى النهاية يركعن تحت الأقدام انه الجوع و ..

ولماذ أعود .. لماذا العودة .. المال .. والحقيبة .. والملابس .. والاسم .. لماذا الانتماء الى هوية واحدة .. او وطن واحد .. أب واحد .. ام واحدة .. لماذا هذه الروابط .. لمــاذا ..

انها تخنقني كالسلاسل حول عنقي وانا لا اود الانتماء .. ولا اريد العودة ..



(٦)

الجهة اليمنى من الطريق التى احتذيتها فى أول الأمر تركتها بلعتنى الأرصفة والشوارع الواسعة .. والطريق لم يعد منحدراً : اتسع واتسق واصبحت له فروع والوجوه تسير مستقيمة .. والخطوات مسرعة .. وانا يمكنني الصراخ .. والبكاء ... والغناء .. دون أن يلتفت الي احد ما ويستفسر عن سر جنوني ويطالبني بالكف والعودة .. ولكن الجوع يناوش سعادتي .. وهناك إحساس آخر إنه التعب ..

والوقت بعد الظهيرة .. قدماى ملتا من خطواتها الواثقة فوق الطريق وباتتا تؤلماني .. الطريق .. والرصيف .. انتهى الرصيف .. وانا جائعة ... المنازل هنا متناثرة .. وهناك بالقرب منها حديقة واسعة .. وخطواتي التعبة تقودني اليها .. المقاعد متناثرة .. احتللت احدها خلعت حذائى مرغت قدمى بالعشب إنه مبلل .. القيت نفسى فوقه ومرغت وجهى به .. وجهي .. وشعري .. و .. نمت ..

لا لم انم بعد .. انى اسمع .. خطوات .. همسات .. اسمع .. والجوع .. التعب .. الاحساس بالفرح .. لماذا يتلاشى .. أمي .. اجل أمي .. ابي .. اجل ابي .. إخوتي .. لا .. ماالذى اتى بهم ولماذا افسد سعادتي .. امي .. ابي .. والأصوات تقل من حولي .. امي .. اخوتي .. ابي .. والتعب يجعل النوم لذيذاً فوق العشب .. و .. وأبي .. و ..

فجاة .. استيقظت . حفيف حولي .. حول قدمي .. فزعت .. الظلام يحيط بي وعيون تنظر الي .. انه المساء .. واغمضت عينى من جديد .. انى احلم .. و .. لكن رجعت العيون البارزة فى الظلام افزعتنى فهببت واقفة ... أرعبنى الرجل الواقف .. امامي .. ولغته فرنسية وانا لا اجيدها إلا قليلا .. وكذا لا أريد التحدث .. ولكنه مخيف ..

الخوف انتابني .. الخوف .. الخوف اكتسح الاحاسيس الاخرى .. الجوع .. التعب .. الخوف غزا لحظتي وتمسك باهدابها وغمسني بأرجائها .. الظلام .. والخوف .. الخوف زعزع ثقتي المزروعة بي منذ ثلاثة وعشرين عاماً .. وصرخت .. أمي .. ابي .. الظلام .. اخوتي .. الظلام .. صدى صرختى تردد فى انحاء الحديقة الواسعة ..

تجمع البكاء فى صدرى .. صرخت .. الظلام .. اخاف الظلام والعيون البارزة فى الظلام تنقض علي ..

أريد العودة .. ركضت خطواتي راكضة .. مسرعة .. راكضة أريد العودة .. والخطوات ورائى مسرعة ايضاً ..

أريد العودة .. أخاف الظلام .. والخطوات المسرعة خلفي .. أمي .. أبي .. أريد العودة ..

« وباريس » لا يوجد بها طريق مستقيم يقود الى الفندق وانا غريبة .. وجائعة .. وخائفة .. وأريد العودة !

كلثم جبر

الحلم والانتظار

قصة بقلم : نوره آل سعد



دخلت المدرسة . هذه المرة كان يداخلها إحساس غريب مبهم عجزت عن فهمه . كانت تحس الخوف وتنتظر حدوث شيء ما .. شيء ما.شيء اعظم ما ينفرها منه .. إنها لا تدريه .

في لسانها بقايا مذاق ذكريات بعيدة .. عذبة لكنها تؤلم القلب .

بالطبع كانت سعيدة .

رغم انها لم تعترف بذلك وغمرت احاسيسها المتاججة بكتل ثقيلة من الاكتئاب النفسي والصداع الذى اعتادته كانت سعيدة .

ولكنها اخفت مشاعرها ببراعة لا مثيل لها ، كان الفرحة طير مسجون فى ضلوعها ويكاد يحطم قفصها الصدرى ويرفرف عاليا فوق القمم الخضراء ويزعق بحرية فقد شفي جناحه المكسور تواً .

كانت سعيدة .

رغم عينيها اللتين تخزانها كالابر فقد ارقت حتى انبلاج الفجر (بين اليقظة وبين الحلم مساحة ضيقة لا تسمح بالتنفس بشكل مريح .. لذلك اصبحت لا تنام .. لا تحلم) .

لكن سحقاً لعينيها .. انها سعيدة وكفى .

تنفست الصعداء عندما دلفت الى حجرة المدرسات . ضجة الاحاديث واللغط الفارغ سوف تمنعها من التفكير فى «الأشياء اللامجدية » كما تدعوها هي

منذ زمن وهي تقنع نفسها باشياء مماثلة .. زمن بعيد .. لم تعد تذكر منذ متى بالتحديد !

لكن ذاك زمن بعيد بالتاكيد .. زمن لم يكن فيه القمر يخبيء وجهه من النجوم خجلا .. ولم تكن هي تكف عن الرسم والتفكير .. وعادة صبغ عيون الأشخاص باللون الوردى فى لوحاتها .. ايضا حينذاك كانت تمارس النوم كالأشخاص الآمنين .

اثاقلت الى مقعد ، رمت كراسات فوضوية كانت تحملها بعيداً .. بعيداً عن انظارها . وغرقت في تصحيح كراسات اخرى امامها .. كالقدر لا مفر منه ومنها

دخلت الحجرة إحدى المعلمات وكانت تسب وتشتم فى عصبية وبصوت عال انتهك حرمة شرودها فرفعت ذقنها ببطء وراقبتها وهي تلقى نفسها على اول مقعد

امامها وتنتفض غيظا .. كسمكة اخرجت لتوها من البحر . قالت المعلمة وكانها تبصق الكلمات :

ـ ظلم .. محض ظلم ومستحيل .

واضافت بسخرية :

ـ لو كان مستحيلاً .. لما حدث .

عاجلتها معلمة اخرى بالسؤال بينما واصلت قضم التفاحة التى بين اصابعها

ـ ماذا ؟ ماذا حدث ؟

اجابتها بمرارة :

ـ الذى حدث ان جهد شهور طويلة قد ضاع سدى .. انتهى فى غمضة عين .. منذ دقائق استدعتنى الناظرة ..

وابتسمت باشفاق وتابعت .

ـ وتاهبت لسماع كلمات الاطراء والثناء .. ولكن قاطعتها صاحبة التفاحة بفضول شره .

ـ وماذا حدث ؟ هيه .. ماذا ؟

توقفت هي عن تصحيح الكراسات . خلعت نظارتها فبدت عيناها متورمتين . ووجدت نفسها تصم اذانها باصابها المتشنجة .

ما اشرس هذه الافكار التى تهاجمها من كل صوب وهذا التمرد العرم .. المكبوت . يقاوم . يقاوم .

وبالم ممض مرت بخاطرها مقترحات مسكينة غرقت فى تراب النسيان .. فى احد الادراج الخلفية لمكتب احد المسؤولين وقد ختم عليه « يؤجل حتى اشعار آخر » ودمتم .

كانت المدرستان لازالتا تتحدثان ، قالت احداهن وهي تلتهم القضمة الاخيرة من التفاحة .

ـ لكن ماذا فى ايدينا لنصنعه .

قالت الاخرى بنبرة الاستسلام ذاتها :

ـ اي والله . ماذا سنفعل ؟ .. هل نقتل انفسنا ونرتاح . هنا مشاكل وقرف .. وفي البيت ينتظرنا مليون شاغل ومشكلة . الله يلعن هكذا حياة .

اما هي .. فلا تزال تقاوم .

بالامس كان زوجها يحزم امتعته . ودت لو تستطيع أن تساله البقاء هنا .. بجانبها .. صار يسافر كثيراً . اسندت راسها الى الوراء . قلبها واهن شيخ . سمعته يهمس بلا وعي « اعصابي متوترة » .. لحظات ثم طفق يحدثها عن هموم عمله .. عن مستقبله ومصيره ، بل مصير العائلة كلها متعلق بيده .. اليس هو رب الاسرة .. ورجل البيت .

شدت على يده المحمومة مشجعة . سحبها بعنف ممتزج بخجل رجولي . لم يكن يدري انها تحصي كل ارتجافة عضلة فى جسده .. مهما حرص على إخفائها .

همت بالحديث .. فهي ايضاً لديها شيء أسمه هموم العمل .. لديها هموم صغيرة وتافهة .. وتحتاج ان يسمعها . لكن قاطعوها قبل ان تبدا . بكاء مخيف أنبعث من غرفة الاولاد . (انقطع الحبل وسقطت فى قاع البئر حيث السكون والظلمة .. والحلم الذى تحول الى كابوس حينما تنازلت .. يوماً ما) .

قالت تلك المدرسة بعد ما انهت التفاحة واخذت تمسح يديها :

ـ عندما اتذكر أيام الدراسة الوم نفسي بشدة . لقد أضعت الكثير من الأوقات الحلوة .. تلك الأوقات التى لم ادرك قيمتها إلا الآن .. وبعد ان خبرت الزواج والاولاد والشغل والسام وبعد ان دفنت حية .

ـ نعم . اه .. كم كانت اياماً حلوة . كنا نحلم وننتظر .. ننتظر المستقبل .. وهاهو المستقبل المنتظر .. كومة دفاتر .. كومة مشاكل .. كومة غسيل ..

زوج .. عيال ومطالب لا تنتهي . ثم لا قيمة لمطالبك انت .. لرغباتك انت .. ولا كلمة تقدير واحدة على الاقل .

ـ حياتنا دوام متصل مستمر . ليل نهار . فى البيت وخارجه صدقيني .. احياناً امرض ولا اجد فرصة للذهاب الى الطبيب .

عادت تدفن رأسها فى الكراسات (أيتها النعامة .. العقي الطين حتى الابد)

صرخ فى وجهها ذات يوم .

ـ وأولادك ؟ بيتك ؟ وأنا ؟ انا ؟؟ هل تتجاهلين كل هذه الاساسيات من اجل نزوة فارغة ، من اجل امر ثانوى .. تافه ؟؟ اجابته بغصة :

ـ الرسم ليس امراً ثانوياً .. والمعرض يمثل لي حاجة ضرورية لاشباع رغبة لا بديل عنها ، من خلاله سوف احقق ذاتيتي . سوف اجد نفسى .. اجدك .. وسوف اجد العالم .. و ..

قاطعها بحدة :

ـ كلام فارغ .. لقد ضقت بلوحاتك واصباغك .. وهذه القذارة التى اوجدتها فى بيتي .

انذرك الا تخلطي بين عملك خارج البيت .. وواجباتك المقدسة هنا .. كزوجة وأم وامرأة . وإذا حصل اى تعارض .. فلابد ان ترجحي احد الامرين على الآخر .

كان صدرها يعلو ويهبط بسرعة . اصطنعت الهدوء ، قالت :

ـ القضية .. القضية ليست الرسم .. ولا البيت ولا المدرسة .. القضية هي .. انا . اريد أن اكتشف من انا ؟ ماجدواي ؟ .. اريد ان ..

صفق الباب فى وجهها وخرج مسرعاً . لن يعود قبل منتصف الليل كعقاب لها .

وفشل المعرض حينذاك . لان الاشياء سائبة فى ذهنها .. لان رائحة الالوان اصبحت تدفعها للتقيؤ .. كما تدفع زوجها الى الشجار .

قالت تلك المدرسة وهي تقشر البرتقالة لتتبعها بالتفاحة :

ـ لكن .. ما العمل ؟

قالت الاخرى بياس تام :

ـ اي والله .. ما العمل ؟

أشاحت بوجهها بعيداً .. بعيداً . لكنها اصطدمت بمنظر (الفراشة) التى كانت تكنس الممر فى استرخاء وبرود . كانت تمضغ شيئاً ما في فمها . ربما كانت تدندن .. ايضاً . اما هي ففكرت « ان كلتيهما تجران ساقية خربة وتدوران كل يوم كجاموستين هرمتين .. بلا فائدة تذكر » هكذا فكرت .. لكن عادت تصحح لنفسها « إنها بالتاكيد اوفر حظاً مني .. إنها خاضعة لقدرها راضية به .. وربما كانت أكثر جدوى مني ايضاً » .

انتصبت واقفة . انها لا تستطيع ان تقف ساكنة بلا حراك .

ظلت طوال المساء تلوب أمام الهاتف . كانت تنتظر مكالمة من زوجها . لم يقل لها إنه سوف يخابرها لكنها على كل حال سوف تنتظر .

لسوف تنتظر .. ولسوف تخبره انها مرهقة للغاية .. وسعيدة . فالسعادة ـأحياناـ شيء مرهق جداً .

سوف تقول له ما يوقر صدرها منذ الصباح .. بل سوف تصرخ بالخبر « إنهم يدعونني للاشتراك في معرض عالمي سيقام قريباً . إنها فرصة لطالما تمنيتها .. هل تعي ما معنى .. إننى تمنيتها ؟ »

لقد جهزت كلمات مطولة .. هي ذاتها تعرف انها لن تقولها . على كل حال سوف تقول إنها جائعة .. وتحس الفراغ بداخلها بئراً من العدم والحرمان . كم تساءلت : هل يمكن أن اكون قد مت وجسدي يتحرك دون ارادتي بسبب قوانين فسيولوجية غير مفهومة .. ترى هل يمكن هذا ؟ .

هامت على وجهها .. انتهى بها المطاف الى المخزن وفى ركن منزو رقدت اكوام كتب متربة .. ولوحات باهتة وذكريات يعجز القلب عن نسيانها ..

أو لايريد ذلك.نهضت مسرعة . انطلقت كالقذيفة الى الخارج .. وخرج صراخها الدفين « عبث .. عبث » رددتها مرات عديدة رغم انها لم تحتج لتاكيد ذلك .. لكنها ارادت فقط .. أن تعلنه بحرية .. فلقد سقط كل شيء .. علام تخاف ؟ .. فلقد سقط كل شيء.حياتها . طموحاتها.. قناعاتها .. كل الاقنعة عبث .. كل الشعارات عبث .. كل الاكاذيب عبث .

لا شيء حدث .. لاشيء يحدث.. لا شيء سوف يحدث . فعلام تخاف ؟

لفها حزام قاس من الصداع . صرخت بقوة غريبة :

ـ حتام الخوف ؟ التردد ؟ الهروب ؟ فلنشد الحبل بقوة .. حتى لو لم ينزل المن والسلوى فلنتوقف عن قرع الطبول البدائية .. فهذا لن يجبر الموت أن يقى احلامنا .

هرولت الى المخزن .. التقطت الالوان غمست أظافرها فيها ، وعلى اللوحة بدأت الأشياء تتخذ صيغا ودلالات بعينها .

وانعدم العالم ليبعث من جديد فى اعماقها . لم تبال برنين الهاتف .. وبضجة غوغائية أخذت تقترب بطبول الحرب .. فقد عثرت على المرأة الأخرى التى تنازلت عنها .. ذات مرة .

نوره آل سعد

المثقف والقلق

اترى نحن أسرى للظروف والمقادير ؟ ام اننا رهن الأقدار والحياة والواقع ؟

ذاك هو السؤال الذى مازال يلح على ذهن الانسان المثقف .. او الكائن الحقيقي الذى يرفض أن يتعاطى مجانية الأشياء حتى استنشاقه لجرعات الاكسجين .. ويتساءل :

إذا لم نكن قد منحنا وسائل الأعمال الجيدة او الصالحة فلماذا نمنح الرغبة الدائمة فيها ؟

إن المتردد يعرف تردده ، لذا فهو يقوم بأفعال مفرطة واكبر من طاقاته حتى يحقق الارتياح لنفسه .. والمرء الذى يتالم لعدم تحقيق ذاته يشعر بوجوده الى ابعد حد .. اما من يتخيل أن العالم يرفضه ويلفظه فهو يمارس اقصى التخيلات فى محاولة استعجال اعتراف الآخرين به ..

ولكن المرء حين يشعر بالخوف من فقدان نفسه فهنا النهاية المحتومة التى تظل تراوده .. انه يتساءل « العالم كله ظلم فان قبلته اصبحت شريكا فى الجريمة ... وإن رفضته اصبحت جلاداً »

هذا ما ورد على لسان أحد ابطال المسرحيات السارترية .. إنى لا أملك إلا عقلى النابض فهو يعذبني ولا يتوقف أين أذهب منه ؟ وافعالي .. آه .. تلك التى تخرج منى بسرعة دون أن أعرف إن كنت قد اردتها او لم اردها .

وإن جاء الفعل منافياً لارادتنا علقناه على مشجب المصادفة . ثم انهم ينظرون الى تلك الفئة المعزولة عن عالمهم .. تلك التى تمثل من يسمونهم الطبقة الدنيا أو المسطحة بحقد لأنهم يرون رؤوسها ساكنة وهادئة تعج بالظلام والهدوء . يشمئزون من علاقات تفرض عليهم .. ويصابون بالغثيان والدوار أمام مواجهتهم بالرفض .. فالرفض ملك خاص لهم .. كما أن الواقع من حقهم .. وهم يتمنون لحظة الألم ويريدون أن يسلموا انفسهم لها .. وحين يسقطون فيه .. لا يعود الأمر بالنسبة لهم غير انات وصيحات توجع .. وامنية أن يسكت هذا الألم باى شكل ..

إذن ... ؟

فلنكف ياصديقى عن الخوف من التفكير باننا زائدون عن الحاجة .

ولنقتلع انفسنا من مسرحية التحركات والتلاعب بالمفردات الى عالم أكثر واقعية .. لنفعل كل ما نعتقد انه جيد حتى لو كان وسيلة لانهيار العالم .

نحن احرار .. أحرار تماما .. فافعالنا هي ملك لنا .. ولا حاجة للسقوط فى (مصيدة المواقف) .

لأن الانسان المثقف متميز .. وتمايزه ينبع من رؤيته الواضحة حتى ولو كان وضوح الرؤية أكثر عذابا وشراسة من عدم الرؤية ؛ فنحن نساهم بافعالنا فى تنمية وجودنا .. وحين نتوقف عن القيام بأفعال جديدة .. يقوم غيرنا بحيازة حياتنا . حينها لن نتمكن من فعل شيء .. وسوف يصل بنا الأمر الى الصمت حتى لو كان بامكاننا الكلام ..

ذلك أن كلامنا لن يفيد في شيء ، لأنه سيتحول الى أحتجاج ضعيف على الواقع ..

نحن وُجدنا .. سقطنا من أرحام امهاتنا .. ولكن علينا بعد ذلك ان نوجد انفسنا ونحقق وجودنا فى هذا الوجود .. ولن نستطيع التمسك بوجودنا مادمنا نفعل عكس ما نريد . لن يعود الخوف من النفوذ الى الآخرين والتاثير فيهم ..

لاننا سنجد الف طريقة للتسلل الى الجموع بدهاء وثقة . ولنتذكر أن بداخل كل منا رقابة .. فالرقابة تنبع من هنا .. من الداخل . والانسان المثقف الذى يصنع مواقفه انسان جديد يخلق نفسه كل يوم .. فلنعط وجودنـا شرعية مادام أولئك الذين جاءوا الى العالم بدون شرعية يتمكنون من الانزلاق على سطح الأرض بحرية تامة دون النظر لانتمائهم

بشرى ناصر

أحمد فارس عبد المنعم

النظام الإذاعي في بريطانيا

يقوم النظام الاذاعي فى بريطانيا على دعامتين اساسيتين هما هيئة الاذاعة البريطانية، وهيئة الاذاعة المستقلة .

وفيما يلي تحليل لهما يتناول ظروف التكوين والهيكل التنظيمي وعلاقة كل منهما بالحكومة والبرلمان ومصدر التمويل .

أولا: هيئة الاذاعة البريطانية:

تعود اصول هيئة الاذاعة البريطانية الى شركة الاذاعة البريطانية التى انشئت عام ١٩٢٢ بواسطة ستة من منتجي الأجهزة الاذاعية ، وحصلت على رخصة لمدة سنتين من المدير العام للبريد الذى كانت بيده سلطة منح هذه الترخيصات آنذاك . وقد شكل المدير العام للبريد لجنة عرفت باسم « لجنة سايكس » لدراسة وضع الشركة وتطويره ، فاوصت اللجنة باخضاع الاذاعة لقدر كبير من سيطرة الحكومة عن طريق وزير يتحمل المسئولية عنها امام البرلمان ، على الا تقوم الحكومة نفسها بادارة الاذاعة بل يتم ذلك عن طريق مجلس خاص بها . كما اوصت اللجنة بانشاء عدد من المحطات المحلية تديرها مجالس محلية . وقد امتدت رخصة الشركة لمدة عامين تنتهى فى ٣١ ديسمبر ١٩٢٦.

وفى اغسطس ١٩٢٥ تم تشكيل لجنة اخرى لدراسة تطوير وضع الاذاعة عرفت باسم « لجنة كروفورد » حيث أوصت في تقريرها بأن تتولى الاذاعة هيئة عامة يكون لها مجلس محافظين ، وذلك كحل وسط بين أن تتولاها شركة خاصة تبحث اساسا عن الربح وبين السيطرة الشاملة للحكومة عليها . وقد استجابت الحكومة لذلك فصدر الميثاق الملكي فى عام ١٩٢٧ متضمنا انشاء هيئة الاذاعة البريطانية التى حلت محل شركة الاذاعة البريطانية .

وقد استمرت هذه الهيئة فى احتكار الارسال الاذاعي بنوعيه (بدات ارسالها التليفزيوني عام ١٩٣٦) حتى عام ١٩٥٤ حينما تم انشاء سلطة التليفزيون المستقل (I.T.A) مما انهى احتكارها للارسال التيلفزيوني ، ولكن استمر احتكارها للارسال الاذاعى المسموع حتى عام ١٩٧٢ حينما تم تحويل هيئة التيلفزيون المستقل الى هيئة الاذاعة المستقلة (I.B.A) وتدير هيئة الاذاعة البريطانية الآن شبكتين قوميتين للتليفزيون ، وأربع شركات قومية للراديو ، وعشرين محطة راديو محلية فضلا عن الاذاعة الموجهة للعالم الخارجي .

ويحكم نظام هيئة الاذاعة البريطانية الميثاق الملكي الصادر عام ١٩٣٧ ، واتفاق الرخصة :

بين الهيئة والحكومة ، ورغم تشكيل العديد من اللجان لتطويرها فى سنوات ١٩٣٧ ، ١٩٥١ . ١٩٥٢ ، ١٩٦٤ ، ١٩٧٢ إلا أن الخطوط الأساسية لنظامها ظلت كما هي . فللهيئة مجلس محافظين من ١٢ عضواً (بما فيهم الرئيس ونائب الرئيس واعضاء من اسكتلندا وويلز وشمال ايرلندا) ، عضوية كل منهم لا تزيد عن ٥ سنوات تعينهم الملكة بناء على نصيحة الحكومة . ويستعين هذا المجلس بمجلس استشاري عام من ٦٠ عضواً فضلا عن مجالس استشارية اقليمية تعاون فى تحديد نوع البرامج المناسبة لكل منطقة . كما يقوم مجلس المحافظين بتعيين مدير عام هيئة الاذاعة البريطانية الذى يرأس مجلس ادارة الهيئة المكون من رؤساء الادارات المختلفة فى الراديو والتليفزيون .

اما عن العلاقة بين هيئة الاذاعة البريطانية والحكومة والبرلمان فانه حتى عام ١٩٦٩ كان المدير العام للبريد هو المسئول امام البرلمان عن الاذاعة . ولكن فى هذا العام الغي منصب المدير العام للبريد وحل محله وزير البريد والمواصلات . وفي عام ١٩٧٤ الغيت وزارة البريد والمواصلات واصبحت مسئولية الاذاعة من اختصاص وزارة الداخلية .

ومن الناحية النظرية اعطى ميثاق الهيئة واتفاق الرخصة الحكومة سلطات كاملة على هيئة الاذاعة البريطانية ، حيث يستطيع التاج بناءاً على نصيحة الحكومة تغيير المحافظين في أى وقت . كما يستطيع الوزير المسئول سحب ترخيص الهيئة فى أى وقت إذا رأى انها تخل بواجباتها ، كما ان من حقه الاعتراض على أى مشروع إذاعي . فضلا عن ذلك من حق كل وزارات الحكومة إذاعة اية مواد تريدها . وقد يبدو من هذا ان الهيئة ليست سوى ادارة من ادارات الحكومة تحت اسم اخر . ولكن الواقع غير هذا ، حيث اتفقت الحكومات المتوالية على اعتبار هذه السلطات احتياطية وقت الضرورة فقط ، حيث احتفظت الهيئة بسلطاتها كاملة فى شئونها الادارية ومضمون البرامج التى تقدمها داخلياً وخارجياً . وقد ساعد على ذلك أن الشخصيات التى تولت منصب المدير العام للهيئة احتفظت باستقلالها السياسي وتحررها من ضغوط المصالح التجارية . فمنذ انشاء الهيئة لم يحدث ان صدر أى اعتراض من الحكومة على اذاعة اى موضوع ، فالتوجيهات العامة الوحيدة هى تلك التى تمنع الهيئة من اذاعة رأى خاص بها إزاء المسائل الجارية او اذاعة مواد موصي عليها أو الامتناع عن اذاعة مواد بناءاً على توصية . فالميثاق الملكي وقانون ١٩٧٣ يعرف هيئة الاذاعة البريطانية بانها مرفق عام هدفها الاعلام والتعليم والتسلية ، ولها سلطة مستقلة فى ادارة شئونها اليومية وسياستها فى البرامج .





هيئة الاذاعة البريطانية ..كانت بدايتها عام ١٩٢٢م

ونستون تشرشل

اما الحكومة فتحتفظ بالكنترول النهائي من خلال وزير الداخلية الذى يعتبر المسئول عنها امام البرلمان بشأن القضايا الأساسية لها ، ويمكنه اصدار توجيهات لها وتعطيل رخصتها . وتلتزم الهيئه باعداد تقارير سنوية وحسابها المالي الى وزير الداخلية لعرضها أمام البرلمان .

أما عن التمويل ، فهناك أربعة مصادر أولها المبلغ الذى يقرره البرلمان للخدمات الاذاعية الداخلية يعادل المبلغ العائد من رسوم رخص اجهزة الاستقبال بعد خصم تكاليف جمعها ، ثانيها المبلغ الذى يقرره البرلمان للخدمات الاذاعية الخارجية ، ثالثهما عوائد ارباح مطبوعات الهيئة ورابعها عوائد المشروعات الأخرى للهيئة .

ثانياً : الاذاعة المستقلة :

تعود أصول انشاء الاذاعة التجارية المستقلة في بريطانيا الى النقاش الذى دار فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حول تقييم اداء هيئة الاذاعة البريطانية حيث دار جدل حاد فى البرلمان والصحافة حول الجوانب الايجابية والسلبية لاحتكار الهيئة للارسال الاذاعي بنوعيه ، وثار التساؤل حول أهمية كسر هذا الاحتكار بانشاء هيئة أخرى تجارية ، وقد أدى هذا النقاش الى تشكيل لجنة عرفت باسم لجنة بيفردج فى يونية ١٩٤٩ لدراسة الموضوع دراسة علمية ، ولكن هذه اللجنة أوصت فى تقريرها الذى قدمته الى البرلمان فى يناير ١٩٥١ باستمرار احتكار هيئة الاذاعة البريطانية للارسال الاذاعي بنوعيه .

ولكن وصول المحافظين الى السلطة عام ١٩٥١ أدى الى ترجيح الاتجاه المطالب بادخال الاذاعة التجارية خاصة وأن راديو لوكسمبرج والمحطات التجارية الأخرى جذبت جماهير بريطانية كبيرة ، وهو ما أسهم فى اقناع الحكومة الجديدة بتغيير اتجاهها حيال ادخال الاذاعة التجارية . وفي مايو ١٩٥٢ أعلنت حكومة المحافظين (تشرشل) أنها بينما تؤيد استمرار احتكار هيئة الاذاعة البريطانية للراديو إلا انها ستؤيد ادخال بعض التنافس فى مجال التليفزيون . وفى الحوار الذى دار في مجلس اللوردات انتقد اللورد ريث ـ الذى كان من كبار العاملين فى هيئة الاذاعة البريطانية لمدة ١٦ سنة ـ بشدة المقترحات والحكومة التى قدمتها ، واتهم اللورد الحكومة بمحاولة تغيير النظام الذى حظى باعجاب العالم ، وعبرعن معارضته لادخال التمويل التجاري للتليفزيون باى شكل من الاشكال لاعتباره أن ذلك سيعرض القيم المعنوية والثقافية للخطر.



ثم تقدمت الحكومة بمشروع قانون الى مجلس العموم ودافعت عنه بالقول أن ادخال التليفزيون التجارى سيحقق هدفين : أولهما ادخال عنصر التنافس مما يؤدى الى التطوير نحو الأفضل فى الخدمة الاذاعية ، وثانيهما تقليل الالتزامات المالية التى تتحملها الدولة . وقد استمر النقاش حول هذا الموضوع حتى عام ١٩٥٤ حينما وافق البرلمان على مشروع قانون انشاء هيئة أو سلطة التليفزيون المستقل (I.T.A.) فى ٣٠ يوليو من نفس العام . وفى عام ١٩٧٢ صدر قانون يتضمن السماح بادخال الراديو التجاري وتغيير الأسم الى هيئة الاذاعة المستقلة (I.B.A.) والتى هي عبارة عن نظام فيدرالي مكون من مجلس يقوم بتعيين اعضائه الوزير المسئول عن الارسال الاذاعى ، وهذا المجلس لا يقوم بانتاج البرامج ، وانما يشرف على ١٥ شركة مسئولة عن إعداد البرامج منها ٥ شركات قومية وعشر شركات اقليمية .

ويتكون مجلس هيئة الاذاعة المستقلة من رئيس ونائب رئيس و ٨ أعضاء (ثلاثة منهم يمثلون اسكتلندا وويلز وشمال ايرلندا) وكل هؤلاء يقوم بتعيينهم الوزير المسئول عن الارسال الاذاعي (المدير العام للبريد قبل عام ١٩٦٩ ، ووزير البريد والمواصلات من هذا التاريخ حتى عام ١٩٧٤ ثم وزير الداخلية بعد ١٩٧٤) ، ويقوم بمعاونة هذا المجلس مجلس استشاري عام وثلاثة لجان متخصصة فضلا عن اللجان الاستشارية فى اسكتلندا وويلز وشمال ايرلندا .

ويقوم مجلس هيئة الاذاعة المستقلة بممارسة الكنترول على سياسة ومضمون البرامج التى تعدها الشركات ، وهو الذى يبرم العقود مع الشركات التى يقع عليها الاختيار وله الحق فى وقف والغاء هذه العقود فى حالة مخالفة شركات البرامج لسياسة مجلس الهيئة .

وتتشابه هيئة الاذاعة المستقلة مع هيئة الاذاعة البريطانية فى القواعد التى تحكم العلاقة بينها وبين الحكومة والبرلمان . أما من حيث التمويل فان هيئة الاذاعة المستقلة يتم تمويلها عن طريق الشركات المحلية ، وهي تدير الأن شبكة تليفزيونية واحدة وأكثر من ٢٠ محطة راديو محلية .

أحمد فارس عبد المنعم

من فات قديمه تاه

ماضينا الجليل
ليس عورة لنسترها
ولا جريمة فننكرها

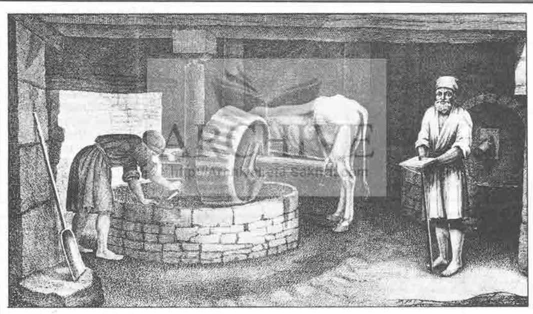


مقتطفات مما كان
يقرأه منذ ١٠٠ عام
جد أبيك
أو جد جدك



حملة ثقافية
علمية أدبية
صناعية
زراعية

لمنشئها
ومحررها
صلاح الدين
المقريزي



أثناء عملية عصر الزيوت ... لوحة فنية من القرن الماضي

العدد السادس - نوفمبر/تشرين ثان ١٨٨١م

باب المقالات



«الوطن فى اللغة محل الانسان مطلقا ، فهو السكن بمعنى : استوطن القوم هذه الارض وتوطنوها : اى اتخذوها سكنا . وهو عند اهل السياسة مكانك الذى تنسب اليه . ويحفظ حقك فيه ، ويعلم حقه عليك ، وتامن فيه على نفسك والك ومالك . ومن اقوالهم فيه : لا وطن إلا مع الحرية . وقال لابرويز الحكيم الفرنساوى : لا وطن فى حالة الاستبداد ، ولكن هناك مصالح خصوصية ومفاخر ذاتية ومناصب رسمية . وكان حد الوطن عند قدماء الرومانيين المكان الذى فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية .

اما السكن الذى لا حق فيه للساكن ، ولا هو أمن فيه على المال والروح فغاية القول فى تعريفه انه ماوى العاجز ، ومستقر من لا يجد الى غيره سبيلا ، فان عظم فلا يسر ، وإن صغر فلا يسوء ، قال لابرويز السابق الذكر : ما الفائدة من أن يكون وطنى كبيراً إن كنت فيه حزينا حقيراً ، أعيش فى الذل والشقاء خائفا اسيراً .

على ان النسبة للوطن تصل بينه وبين الساكن صلة منوطة باهداب الشرف الذاتى . فهو يغار عليه ، ويذود عنه كما يذود عن والده الذى ينتمى اليه ، وإن كان سيء الخلق شديداً عليه . ولذلك قيل فى مثل هذا المقام : إن ياء النسبة فى قولنا مصرى وانجليزى وفرنسوى هى من موجبات غيرة المصرى على مصر والفرنساوى على فرنسا والانكليزى على



الامام محمد عبده

انجلتره .. فاذا تقرر ذلك مما قلناه ، وجب حب الوطن من كل هذه الوجوه : فهو سكنه الذى ياكل فيه هنيئا ويشرب مريئا ويبيت فى الاهل امينا . وهو مقامه الذى ينسب اليه ولا يجد فى النسبة عاراً ولا يخاف تعييراً . وهو الآن موضع حقوقه وواجباته التى حصلت له بما اوضحناه من دخوله فى دور الحياة السياسية .

ولقد كان بعض الناس يحاولون خلع الشعار الوطنى عن ذوى الحقوق والواجبات فى مصر ، وإلباسهم جميعا لباس الجهالة والذل ، ولكن ابت الحوادث إلا ان تثبت لنا وجوداً وطنيا ورأيا عموميا ولو كره المبطلون . على ان منهم فئة لايزالون يؤلمون اسماعنا بما يكررون من سفاسف القول ، من مثل اننا تعودنا احتمال الظلم والحيف ، والفنا الخدمة والرق ، فلن يستقل لنا راي اجمعين ولن نهتدى سبيل الحرية ، كانما هم لا يعلمون ان اهل الغرب اجمعين تعودوا مثل ذلك الحيف اعصاراً ، وكانوا فى قديم الايام على ضروب من الرق وانخفاض الجناح ، وان العالم باسره كان فريقين : احرار يظلمون .. وعبيد يطيعون . اولم يكن فى بلاد الفرنسيس من قبل هذا العهد صنوف من الرقيق يشتغلون فى الارض لغيرهم ويباعون كما تباع العجماوات . اولم يقل كاتبهم فولتير فى وسط المائة السابعة : لايزال فى بلادنا ستون الفا او سبعون الفا عبيداً للرهبان؟!

فما بال هذه العادة لم تمنع الفرنسيين من الوصول الى ما ادركوه من رفعة المقام وان يروا امثال «تيارس» و «جريفى» و «غامبتا» فى ابناء الذين كانوا من قبل عبدانا ارقاء ؟

ولئن كان فضل هذه المائة ان يكتب فى صدر تاريخها تحرير ارقاء العصر السالف ، فقد رجونا – وحقق الله هذا الرجاء – ان يختم ذلك التاريخ بتحرير الذين كانوا ارقاء فى هذا العصر ، وحسن ذلك ابتداء ، وحسن ذلك ختاما» .

«محمد عبده»

الوقائع المصرية – ٢٨ نوفمبر ١٨٨١

آفات الجراد

الجراد عدو العباد وآفة كل نبتة خضراء فى الارض ولكن سبحان من لا يبقى فى الارض عاتيا فانه سلط حتى على الجراد آفة تلتهم بيضه كما يلتهم نبات الارض . إذا جاءنا الجراد طلبنا له مجيء السمرمر فاذا لم يجيء السمرمر قابلناه بالجد وافنيناه بالمجاهدة . واما الآن فاذا شددنا الهمة ابدناه بقليل من التعب فان الاخبار التى التقطناها من نواحي الاناضول تبشرنا بظهور دودة هناك تقتات ببيض الجراد وقد قللت البيض الذى غرزه الجراد هناك فى العام الماضى تقليلا عظيما حتى زال الخوف منه . والمظنون أن انقراض الجراد من تلك البلاد يكون بفتك هذه الدودة .

والظاهر ان هذه الدودة تستحيل الى فراش كما يستحيل دود القز . ويظن قنصل الامريكان في الدردنيل أن هذا الفراش يتبع الجراد ويبيض في جسده فاذا باضت الجرادة خرج بيض الفراش مع بيضها وفقس دوداً يلتهم بيض الجراد . ولا يكون فى بيض الجراد الواحدة إلا دودة واحدة .

وقد وجد القنصل المذكور ان هذه الدودة كثيرةالوجود فى بر الاناضول ولولاها لاشتد الجوع هناك هذه السنة . ولما شعر هو وغيره من الامريكانيين الذين هناك بما لها من النفع للفلاح وغيره بعثوا الى دولتهم منها ومن جراد الاناضول حتى إذا كانت تصلح لاهلاك جرادهم كما تهلك جراد الاناضول يربيها اهل اميركا لانها سريعة التوالد فتقى مزروعاتهم ومغروساتهم من شر الجراد .

ولما كان الجراد يجرد مزروعاتنا ومغروساتنا فلا يبقى منها ولا يذر وكان جرادنا من نوع جراد الاناضول فعلى اصحاب الهمم أن يوجهوا العناية الى استخدام هذه الدودة فانا اشد اهل الارض احتياجاً اليها .

التراث للجميع

القاسم المشترك الأعظم بين الدوريات الثقافية العربية التى صدرت فى القرن الماضى هو ذلك الحرص على أن تكون المجلة لكل قارىء من قرائها مكتبة خاصة رفيعة المستوى رخيصة السعر ..

ومنذ اصدر العلامة «بطرس البستانى» مجلة «الجنان» فى عام ١٨٧٠ لتكون اول دورية ثقافية عربية ، وهى تقدم لقارئها مع كل عدد ملزمة منفصلة من كتب التراث ، فاذا اكتمل العام ، وجد القارىء بين يديه مجلداً للمجلة ذاتها ، وكتابا او اكثر من كتب التراث النادرة كرحلة ابن بطوطة او رحلة ابن جبير او موسوعة القلشقندى ، او حيوانات الجاحظ والدميرى !

ولم يقتصر هذا التقليد الحميد على الدوريات الثقافية ، فقد سبقتها به وواكبتها فى صنعه بعض الصحف ذات الطابع الرسمى كالوقائع المصرية ، ذات الطابع الاخبارى مثل «وادى النيل» ، ولم تكتف الدوريات الثقافية بنشر كتب التراث ـ وكان بعضها ينشر لأول مرة ـ فقدمت ايضا كتبا معاصرة ، تشبع الاحتياجات العقلية والمعرفية لقرائها ، عبر السنوات الثمانى التى صدرت خلالها مجلة «روضة المدارس» ـ التى انشاها العلامة «رفاعة رافع الطهطاوى» ـ قدمت لقرائها بهذه الطريقة اكثر من عشرين كتابا فى الادب واللغة والمسرح والتاريخ والطب والكيمياء والتراجم والتربية . منها كتب هامة للطهطاوى وعلي مبارك وعثمان جلال .

بالطريقة ذاتها قدم «الهلال» معظم اعمال محرره «جورجى زيدان» وعلى راسها سلسلته الشهيرة عن تاريخ الاسلام ، التى سعت الى قراء فى الهند وأمريكا الجنوبية وافغانستان ، لانها ببساطة كانت ملزمة ملحقة باعداد الهلال ذاتها . وصدرت مجلات تخصصت فى نشر الكتب بالتقسيط المربح للناشر الذى يقدم الكتاب على اجزاء ، وللقارىء الذى يدفع الثمن على اقساط ، وللمجلد الذى يروج عمله ، ومنها مجلة «سلسلة الروايات» وكانت تقدم أسبوعيا لقرائها اربع ملازم من اربع روايات مختلفة مترجمة وهى طريقة حفظت مخطوطات نادرة كانت مهددة بالضياع ، ووضعت كتب التراث بين يدى جمهرة المثقفين تغريهم بوجودها بين ايديهم بلا مجهود وبلا ثمن ، بقراءتها والاحتفاظ بها ..

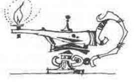
ذلك تقليد طيب ادركته الحرب الكونية الاولى بازمة الورق ، فذهبت به ، وادركه الزمن الذى تلا الحرب بالمجلات المصورة التى نقلت القارىء الى صحافة يقل فيها الكلام الجاد وتكثر الرطانة فقضت عليه ، بل إن معظم المحاولات التى بذلت لاصدار كتب الموسوعات والتراث على شكل ملازم توقفت او هى مهددة بالتوقف ، فمشروع اعادة طبع ترجمة دائرة المعارف الاسلامية قد توقف بعد احد عشر مجلداً ، وتوقفت سلسلة ممتازة اصدرتها هيئة الكتاب بمصر بعنوان «التراث للجميع» ، بعد ان قدمت عدداً هاماً من الكتب .

لقد بات واضحا أن قدرتنا على المثابرة فى مشروعات كهذه ، نفذت او كادت ، وهى ظاهرة خطيرة ، فتلك واحدة من سبل كثيرة ينبغى ان نلجا اليها لاجتذاب القارىء العربى الى الصفحات المشرقة فى تراثه ، بوضعه بين يديه وتقديمه اليه ، وتخليق الاهتمام به والسعى اليه لدى الجيل القائم .. والقادم !

اللهم قد بلغت !

«صلاح الدين المقريزى»

الفانوس السحري



فى ليلة الأربعاء الماضي ذهب الناس أفواجاً الى قاعة استورارى للتفرج على التشخيص بالفانوس السحري فلما تمت الساعة الثالثة (عربي) لم يبق فى القاعة موضع خلي فخطب فى القوم حضرة اسكندر افندى دباك خطبة ضمنها المقصود بعبارات بسيطة لا تكلف فيها ثم طلب اطفاء النور فأطفىء وبعد ذلك بين كيفية دوران الارض وسير الكواكب بما لا يمكن انكاره فكنت ترى الشمس فى الليل والمشتري وانت على الارض ثم وضح أسباب الكسوف والخسوف وما يتبع ذلك من ظهور ذوات الاذناب وبعده انتقل الى الحيوان وطبائعه حتى وصل الى القرد فاستطرد حكاية انسان اساء عشرة اهله وقرد احسن السيرة فقال وهو مما يحسن فى النفوس وقعا

قولوا لمن داسوا النساء وغادروا
اجسام هاتيك الظباء ضعافا
لا يفخرن بصورة رجليه
فالقرد افضل منهم أضعافا

ثم ختم الحفلة بعد اربع ساعات بخطاب ضمنه مستقبل الكرة الأرضية بما يحقق الآمال ويلزم كل انسان البحث عما يقدمه وعلى ذلك تمت الحفلة فانصرف الجميع وهم شاكرون .

الحكومة ستوظفه

صدر قرار مجلس النظار بالغاء جريدة الحجاز لغواً مؤبداً ، وقال بيان المجلس ان صاحب الحجاز «كان يطعن فى الدول الاجنبية طعنا غير ادبى ، ويسقط عند الكلام فى شانها بما لا يليق ، وكثيراً ما طلبناه ونبهنا عليه وشددنا فى الأمر ، وحذرناه من الرجوع الى مثل ذلك ، فلم يرتدع ولم ينزجر .

ثم خالف المنشور العمومى الذى بعث اليه والى جميع اصحاب الجرائد العربية الى ان اتى فى عدده الاخير بازيد مما حذرناه منه مراراً . فمن اجل هذا صدر قرار مجلس النظار بالغاء جريدته لغواً مؤبداً» .

ولكن سرنا أن الحكومة ستوظفه فى نظارة المعارف .

(الوطن ـ ١٢ نوفمبر ١٨٨١)

إعلان
من إدارة الكوكب المصري

نشرت ادارة الكوكب المصرى اعلانا مفاده انها شرعت فى طبع حاشية العلامة الشيخ عبد الله الشرقاوى على شرح التحرير وبهامشها تقرير العلامة الذهبي التحرير وكذا طبع قاموس اللغة العربية للفيروزبادي ومقامات البلاغة للعلامة أبي القاسم الحريري وفتاوي الحامدية للعلامة ابن عابدين خاتمة محققي الحنفية . وقد جعلت لمبيع تلك الكتب ثلاثة مواعيد . الأول من خمسة عشر شعبان الى غاية شوال سنة ١٢٩٨ . والثاني من ابتداء ذى القعدة من هذا العام الى نهايته . والثالث من بعد ذلك الى ماشاء الله . ولمن يدفع ثمن عشر نسخ نقداً من الصحافيين والكتبة فى كل مئة قرش خمسة قروش ودفع الثمن يكون إما بالمطبعة الكاستلية او بمحل نجله نسيم كاستلي على يسار الذاهب الى الامام الحسين .

لغز

بقلم لسان الانشاء وترجمان الأدب
الشيخ حفني ناصف
بمدرسة المعلمين المصرية

ماذا يقول ذوو الروية والنقد . واهل الحل والعقد . فى اسم ثلاثى الحروف . شكله معروف من حسبه باربعين . كان من الصادقين . وكم من فئة . تحسبه ستمائة . وهو فى حساب العرب . اعلى من الذهب . كما انه الى الفرش . اقرب منه الى العرش . تهتف بذكره الاطفال . وتستميت فى طلبه الرجال . وضيء الغره . متساوى الطره . إلا انه جامد الطبع . مختلف الوضع . ان عاملته باللين فسد سيره . وبدون الضرب لا يستقيم امره . يدركه الغربى فى الشرق . ويطير ثلثاه فى البرق . ومن رام تعريفه ، واستطلاع طلعته الشريفة . فانه علم يصرفه النحوى والشاعر . مع ان وزن الفعل فيه ظاهر . وهو لا يجهله احد . ولا يخلو منه بلد . بل يوجد فى اغلب الدور . وينتزع من القشور . ينفع لبكاء الصبيان . وتعاطيه مفرج للاحزان . من تناوله فى الصباح والمساء . هابته الاعداء وتناوله فى رمضان . غير مفطر للانسان . يحبس بلا ذنب . وكم يعنف بالضرب . يرسل عليه شواظ من نار ونحاس . تحرسه انت وهو لك من الحراس . اذا سوبق سبق . ومتى اطلق انطلق . وها انا قد صرحت به او كدت . وبالغت فى بيانه وزدت . فتكرموا بالاجابة يا اخوان الاصابة .

(حفنى ناصف)

باب التقريظ والانتقاد
شكر القبول

طبعنا من العدد الأول فوق الثلاثة الاف ولم يرتجع الينا إلا خمسة اعداد فنشكر للمتفضلين بالقبول عنايتهم بصحبة هذا الخادم الضعيف وقد طلب منا العدد الأول جملة ممن لم يصلهم وسنجيب الطلب باعادة طبعه عندما يقف الطلب ونعلم المقدار اللازم لأهل الادب ايدهم الله .

رواية الكونت مونتغوميري

رواية فريدة فى بابها قل ان ينسج ناسج على منوالها عربها من الفرنسوية الكاتب البليغ المتفنن حضرة قيصر افندى زينيه فنقلتها جريدة الاهرام الوضاء شذرات متتابعة ثم اعتنى حضرة صاحب الجريدة المذكورة بجمعها بعد ذاك التفريق فاكتست بذلك رونقا جديدا وقد أهدانا منها نسخة فكررنا قراءتها علما بان المكرر احلى وعلى هذا نحث احباء الآداب على اقتنائها ومطالعتها ترويحا للاذهان وتنبيها للافكار .

باب الأخبار العلمية
المصباح الكهربائي

ورد فى المفيد

قالت صحيفة ريبوبليك ما مفاده من المحقق ان النور الكهربائي سيستعمل فى الاستضاءة بدل الغاز الجارى التنوير به فى الشوارع وفى الظن انه لا يمكن للانسان ان يستغنى به عن الغاز كلية لان الضوء الكهربائى يستخرج من الجواهر القابلة للاحتراق واستخراجه من احتراق الغاز اوفر من استخراجه من غيره وانما نشا تاخير كثرة اجراء تجاربه لما يلزم لذلك من المصاريف الكثيرة لانه يستلزم احراق القدر الوافر من الجواهر القابلة لذلك .

واستخراج الكهرباء المذكور بواسطة المسمى جهاز جرام الذى تحركه الة بخارية فبواسطة تحريك هذا الجهاز تستخرج الروح الكهربائية الكامنة فى الفحم الحجرى ولكن من الاجتهاد وتتابع التجارب ظهرت لاستخراجه قاعدة تقريبية وذلك انه اذا وجد جهاز جيد واف بالمرام جيد المتانة متقن التركيب لا يحتاج إلا لحرارة قليلة غير مستلزمة كثرة المصاريف بما ان قوة الحصان فى الالات الجسيمة لا تحرق فى الساعة الواحدة إلا كيلو جراما من الفحم ولاشك ان هذا النور سيكون قريب الاستعمال فى استضاءة المدن العظيمة باوربا لكن من الملاحظات التى يجب التنبه لها انه اذا اعدت الة عظيمة للاستضاءة كالمزمع استعماله فى ربع مدينة لو ندرة يخشى من انقلاب النور ظلاما دفعة واحدة متى حصل فى جهاز الآلة المذكورة ادنى حادث فانه ينشا عنه تعطيل فى الكهرباء فينقطع النور .

فلذا نقول ان الاحسن استبدال هذه الجهازات الجسيمة والالات العظيمة التى هم شارعون فى اعمالها بغيرها صغيرة جدا يساعد بعضها بعضا فى نشر الضوء بحيث انه اذا تعطل ضوء هذا الجهاز كان غيره موجودا فلا يترتب على تعطيل هذه الآلة الصغيرة ما يترتب على تعطيل تلك الآلة الكبيرة .

وقد اراد المسيو ايرتون ان يعلم الفرق بين الة الاستضاءة بالكهرباء التى يديرها البخار وبين الة النور الكهربائى التى يديرها الغاز ومكث يشغلهما مدة ثلاثمائة يوم بحيث ان أوقات الشغل فى كل يوم كانت لا تزيد على عشر ساعات فمجموع مدة شغل الواحدة فى الثلاثمائة يوم ثلاثة الاف ساعة وقد بلغ ما انفقه على الة البخار ٩ الاف وخمسمائة فرنك فى المدة المذكورة وما انفقه على الة الغاز احد عشر الف فرنك ومائة فكانت زيادة نفقة الة الغاز على الة البخار الفا وستمائة فرنك .

الشاعر المفلق السيد صالح بك مجدي


السيد صالح مجدي بك ٤٢٧

الهلال AL-HILAL

الجزء الرابع عشر — السنة السابعة

(١٥ ابريل (نيسان) سنة ١٨٩٩) (٥ ذي الحجة سنة ١٣١٦) (٨ برموده سنة ١٦١٥)

باب أشهر الحوادث وأعظم الرجال

السيد صالح مجدي بك

غمنا جدا وفاة الشاعر المفلق السيد صالح بـك مجـدى .
وسنذكر ترجمته .

الوطن ١٢ نوفمبر ١٨٨١

يابني الأوطان هيـا خيموا فوق الثريا
واهجروا النوم ملية واطعنوا الضد الابيا
واجدعوا انف الممانـع واستعدوا للكفـاح
فى مساهـا والصبـاح واطلقوا خيل الفلاح
فى ميادين النجـاح وادفعوها فى المعامع .

السيد صالح مجدى

ترجمة الأستاذ وطسن

نعت الينا الجرائد الاميركانية وفاة الفلكي الشهير الاستاذ جمس وطسن استاذ الفلك فى المدرسة الدولية الجامعة بوسكنسن ومدير مرصد وشنطون .

ولد هذا الرجل العظيم فى كندا سنة ١٨٢٨ وكان ابواه اميركانيين فرجعا به الى الولايات المتحدة وهو صغير السن ووضعاه فى المدرسة الدولية الجامعة فى مشيغان وهو فى الخامسة عشرة من عمره فنال رتبة بكالوريوس فى التاسعة عشرة وصار استاذاً للفلك ومدرساً للرياضيات فى تلك المدرسة فى الحادية والعشرين . واكتشف وهو فيها ثلاثا وعشرين نجيمة من السيارات الصغار . ورجح وجود السيار فلكان بل اثبته . ومما يدل على المنزلة التى كانت لهذا الرجل بين علماء الأرض المراتب والالقاب التى وجهت اليه جزاء لاكتشافاته ومبتكراته العلمية فانه جعل عضواً فى مجمع العلوم سنة ١٨٦٧ . ومنحته مدرسة ليبسك الجامعة لقب دكتور فى الفلسفة . واجازه مجمع العلوم الفرنساوي بنيشان الذهب وجعل عضوا فى مجمع العلوم الملكي الايطالي كل ذلك سنة ١٨٧٠ . ومنحته مدرسة يل الكلية لقب دكتور فى الفلسفة سنة ١٨٧١ ووجه اليه من الدولة العلية والدولة المصرية نيشان المجيدية العالى الشان سنة ١٨٧٥ . وعين حكما على الجوائز فى معرض سنة ١٨٧٦ . وجعل عضواً فى مجمع الفلسفة الاميركاني سنة ١٨٧٧ . وكثيرا ما كانت الحكومة الاميركانية تسلم اليه إدارة الاعمال العظيمة مما يتعلق بعلم الهيئة . وقد ارسلته الى باكين فى الصين لمراقبة عبور الزهرة على وجه الشمس الذى حدث سنة ١٨٧٤ فمر على سوريا وزار مرصد المدرسة الكلية فاخلف لنا من الاسف اشده ، ومات بالنزلة فى ٢٣ ت سنة ١٨٨٠ وهو يبنى مرصداً بديعاً لرصد الشمس .

الإمام محمد عبده
١٨٤٥ - ١٩٠٥

● المع المجددين الاسلاميين فى القرن الثالث عشر الهجرى واكثرهم شجاعة .

● ولد فى قرية مصرية ودرس فى الأزهر ، وجمع بين الاهتمام بالعلوم الدينية والعلوم الطبيعية والتاريخية .

● تعرف بالمصلح الاسلامي الكبير جمال الدين الافغاني عام ١٨٧٢ وتوثقت صلته به ، فتأثر بافكاره التجديدية ، ووجهه الى الكتابة فى الصحف .

● تولى رئاسة تحرير مجلة « الوقائع المصرية » عام ١٨٨٠ ، فحولها من نشرة رسمية الى مجلة حية تحفل بالمقالات الفكرية والادبية .

● اشترك فى الثورة العرابية ، ونفي على أثر فشلها الى بيروت ، ثم عاد ليعمل بالقضاء ، وأصبح فى الحقبة الأخيرة من حياته مفتيا للديار المصريـة .

● جمع الدكتور محمد عمارة آثاره فى ستة مجلدات نشرت فى السبعينيات .

الوقائع المصرية

● اقدم صحيفة عربية حية . أصدرها محمد على الكبير لتكون اللسان الرسمي للحكومة المصرية تنشر على صفحاتها قراراتها وقوانينها .

● صدرت فى البداية فى قسمين احدهما باللغة العربية والآخر باللغة التركية ، ثم ما لبث القسم التركي أن انكمش حتى اختفى .

● اهتمت فى فترات متفاوتة بنشر الاخبار والمقالات والفصول المترجمة ، فضلا عن قرارات الحكومة وتعليماتها .

● حددت شخصية رئيس تحريرها طابعها ، فحين يكون اديبا او كاتبا يطغى القسم الادبي على الجزء المخصص للقوانين ، وحين يكون موظفاً أو إداريا تضمحل صفحات الأدب .

● من بين من تولوا رئاسة تحريرها الطهطاوي والشدياق ومحمد عبده وعبد الكريم سلمان وسعد زغلول وابراهيم الهلباوي .

● فى أعقاب الوحدة المصريـة السورية ، صدر قرار بتخصيصها لنشر القرارات الوزارية المحلية ، اما القوانين فقد استحدثت لها مجلة جديدة باسم « الجريدة الرسمية » .

لباب السؤال والاقتراح

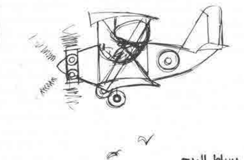
جناب الخ ... ذكرتم فى مقالة حاسة السمع فى راس الصفحة ١٩٨ من السنة الماضية «إذا علقت ساعتان دقاقتان على حائط وكان رقاصاهما متساويين طولا وحرك رقاص الواحدة ولم يحرك رقاص الثانية لا يلبث طويلا حتى يشرع يتحرك من نفسه مجاراة لرقاص الاولى » فنرجوكم أن تعيدوا النظر فى هذه المسئلة لانها غريبة جدا ولم نسمع بها من قبل ولا شاهدناها قط مع اننا رأينا ساعات كثيرة معلقة بعضها متحرك وبعضها واقف والواقف لا يتحرك من تلقاء نفسه .

ساعاتي

المقتطف : اننا اعتمدنا فى ما اثبتناه على عالم من اكبر علماء هذا الزمان فى فن الطبيعة وهو الاستاذ تندل الذائع الصيت ولا نرتاب فى صحته ذلك فضلا عن وضوح تعليله . اما قولكم انكم لم تشاهدوا ذلك مع انكم رايتم ساعات كثيرة فالظاهر ان عدم مشاهدتكم له كان لتفاوت رقاصات تلك الساعات طولا .

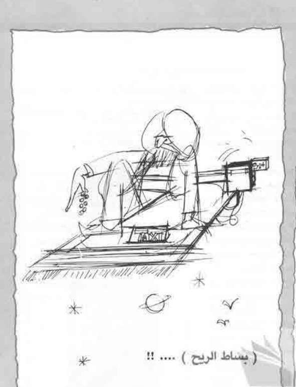






بساط الريح

ـ بعت البساط .. وأصبحت على الحديدة .. !!



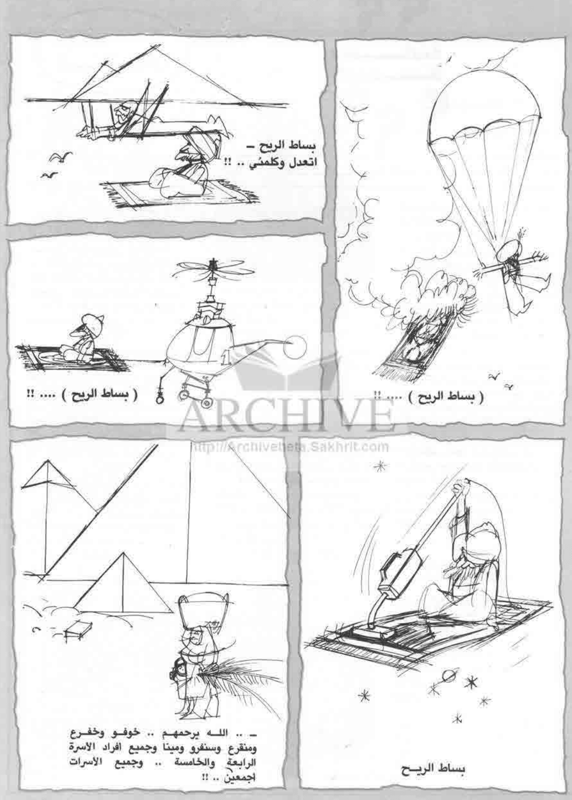
(بساط الريح) .... !!



أشتريت ناطحة سحاب .. أفريقيـة ... !!



ـ تشتري سمك .. في ميه .. ؟



(بساط الريح) ..... !!
بساط الريح —
اتعدل وكلمني .. !!
(بساط الريح) .... !!
بساط الريـح
— .. اللـه يرحمهـم .. خوفـو وخفـرع
ومنقرع وسنفرو ومينا وجميع افراد الأسرة
الرابعة والخامسة .. وجميع الأسرات
اجمعين .. !!

الورقة الأخيرة

علمتني الحياة

عبد الله الشيتي
الكويت



● علمتني الحياة ، أن الناس اثنان : ظالم ومظلوم . وأنا اخترت الثانية ، فليختر سواي الأولى !

● سالوني في إحدى الاذاعات : من مطربتك المفضلة . فاجبت فيروز . قالوا : ثم من .. قلت لم انته بعد من سماع فيروز .... !

● لو سالتني ما اجمل الأشياء ؟ .. لأجبتك جواب ناظم حكمت : اجمل الأيام التي لم نعشها بعد . وأجمل الزهور التي لم نقطفها بعد . وأجمل الأطفال الذين لم يولدوا بعد . وأجمل البحار التي لم نزرها بعد ..

ولو اصررت ياصديقي على معرفة رايي انا ، لقلت : اجمل مافي الحياة الحب قبل أن ياخذ طريقه الى ... المأذون ؟

● اتدرون من هي المراة الشرقية .. ؟

انها في هذا الزمان ، التي تقلد المراة الغربية .

● حسنا ، قالت لي نفسي وجنازة تمر امامي : كيف تفلسف الموت .. ؟

قلت : عقاب ضروري للبشر ، حتى لا ياكل بعضهم بعضا !

● والصحة الجيدة ..

اقول : يتلفها الفقر كما يتلفها ... الغنى !

● هل تأملتم قليلا في حكاية برناردشو مع حارس المقبرة ..؟

ذات يوم مر (شو) في واحدة من مقابر لندن فراى في بابها حارسا مسلحا يحرسها فساله :

ـ ماذا تفعل هنا يافتى ؟

قال ـ احرس المقبرة ياسيدي ..!

فقال له ـ وممن تحرسها ؟ إن الذين في داخلها لا يريدون الخروج منها ، والذين هم خارجها لا يريدون الدخول اليها .. !!

● هل ادلكم على اقسى انواع الطلاق في الحياة الزوجية ..؟

انه ولا مؤاخذة (الطلاق العاطفي) ... !

● ادباء هذه الأيام اثنان في رايي : واحد يكتب بصعوبة فنقرؤه بسهولة ، وآخر يكتب بسهولة فنقرؤه بصعوبة !

● ظنني البعض ذات يوم انني كاتب مسرحي ! فسالوني : ماهي الدراما في رأيك ؟

قلت ـ أن تزورك حماتك ! قالوا : والكوميديا .. قلت : أن تزورها انت ؟

● اتدرى ما اجمل تجربة تعلمتها من الناس .... ؟

انها تجربة (ابعد عن الشر وغن له) ومن يومها وصوتي في الغناء اجمل من صوت ام كلثوم او (ابو كلثوم) وديع الصافي .!

● البيت الذى تمارس فيه الدجاجة عمل الديك يحل فيه الخراب ! انها حكمة ذهبية ـ مع ارتفاع اسعاره ـ مهداة الى كل دجاجة ، اعني كل زوجة . !!

● كان الشاعر احمد الصافي النجفي يقول : إذا ربح الأديب «بيانصيب» شككت بانه حقا اديب . !